مَسَائِلُ العَقِيْدَةِ

الَّتِي قَرَّرَهَا الأَئِمَّةُ المَالِكِيَّةُ

تأليف

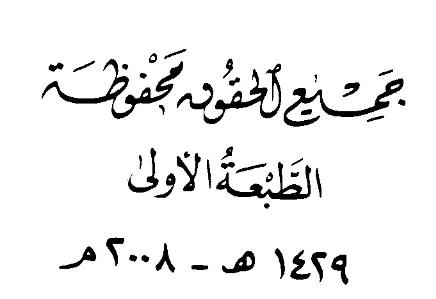
أبي عبد الله محمد عبد الله الحمادي

قرأه وقدم له

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

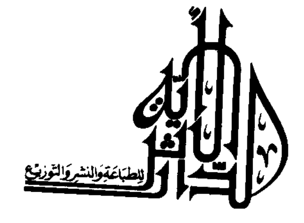
الدار الأثرية


بسم الله الرحمن الرحيم



الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م



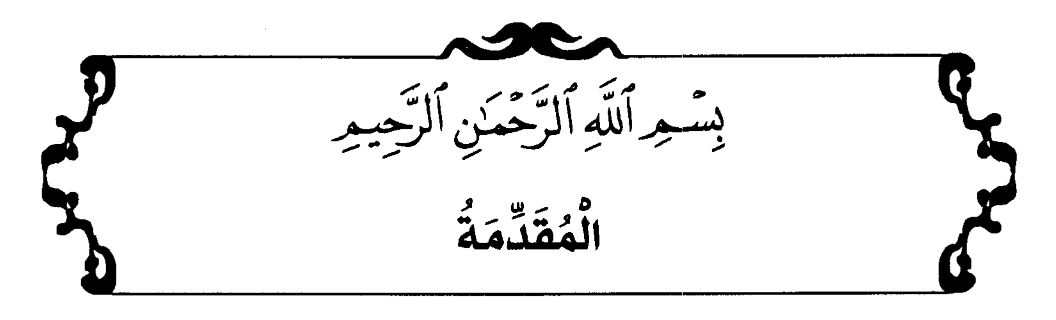
عمّان - الأردن - تلفاكس : ٦٥٦٥٨٠٤٥ / ٠٠٩٦٢

خلوي : ٧٩٥٩٤٣٤٥٦ / ٠٠٩٦٢ - ص.ب : ٩٢٥٥٩٥ - الرمز البريدي : ١١١٩٠

الرمز الإلكتروني : alatharya1423@yahoo.com

مَسَائِلُ الْعَقِيدَةِ

الَّتِي قَرَّرَهَا الْأَئِمَّةُ الْمَالِكِيَّةُ



إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

خرَّج الإمام مسلم في «الصحيح» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرَّتْ عيناه، وعلا صوتُه، واشتدَّ غضبه حتى كأنه مُنذِرُ جيشٍ، يقول: **صبحكم ومساكم**، ويقول: **بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين**، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى، ويقول: **أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، ثم يقول: أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك مالًا فلأهله، ومن ترك دَيْنًا أو ضياعًا فإليَّ وعليَّ**»[1].

وبعد...

فهذا جزء فيما عليه إمام الهدى، إمام أهل السنة والجماعة، أهل الحديث والأثر، الإمام المبجل: مالك بن أنس الأصبحي رحمه الله، إمام دار الهجرة النبوية على ساكنها أشرف الصلاة وأتمّ التسليم.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب (١٣) تخفيف الصلاة والخطبة (٢/ ٥٩٢) (رقم ٨٦٧).

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ في الصدر الأول من الإسلام سنة ثلاث وتسعين من الهجرة، فلقي أبناء الصحابة من المهاجرين والأنصار، ولقي الكبار من التابعين والعلماء والزهاد والصالحين، فتأدب بآدابهم، وتخلق بأخلاقهم، وأخذ علم الكتاب والسنة من أفواههم.

خرَّج الترمذيُّ في «السنن» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل، يطلبون العلم فلا يجدون أحدًا أعلم من عالم المدينة**»[(١)].

قال أبو عيسى الترمذي: «**هذا حديث حسن**».

وقد روي عن ابن عيينة أنه قال في هذا، سُئِلَ من عالم المدينة؟ فقال: إنه مالك بن أنس.

قال الترمذي: «وسمعتُ يحيى بن موسى يقول: قال عبد الرزاق: هو مالك بن أنس والعُمري»[(٢)].

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا ذكر العلماء فمالك النجم.

وقال: مالك مُعَلِّمي وعنه أخذت العلم.

وقال: لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز.

وقال: ما في الأرض كتاب في العلم أكثر صوابًا من موطأ مالك.

قال القاضي محمد بن أحمد بن عمرو المالكي: حدثني المفضل بن

---

(١) سنن الترمذي، كتاب العلم، باب (١٩) ما جاء في عالم المدينة (٥/ ٤٧) رقم (٢٦٨٠).

(٢) هو عبد العزيز بن عبد الله من ولد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

محمد بن حرب المدني قال: أول من عمل كتابًا بالمدينة على معنى الموطأ ـ مِن ذِكرِ ما اجتمع عليه أهل المدينة ـ عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون، وعمل ذلك كلامًا بغير حديث، فأتي به مالك فنظر فيه، فقال: ما أحسن ما عمل، ولو كنت أنا الذي عملت لبدأت بالآثار، ثم شددت ذلك بالكلام.

قال: ثم إن مالكًا عزم على تصنيف «الموطأ»، فصنَّفه، فعمل من كان في المدينة يومئذ من العلماء الموطآت، فقيل لمالك: شغلت نفسك بعمل هذا الكتاب وقد شركك فيه الناس، وعملوا أمثاله؟!

فقال: ائتوني بما عملوا فأتي بذلك، فنظر فيه ثم نبذه، وقال: لتعلمن أنه لا يرتفع من هذا إلا ما أريد به وجه الله، قال: فكأنما ألقيت تلك الكتب في الآبار، وما سمع لشيء منها بعد ذلك[١].

وقال النسائي: أُمناء الله على علم رسول الله ﷺ ثلاثة: شعبة، ومالك، ويحيى القطان.

وكان الأوزاعي إذا ذكر مالكًا قال: عالم العلماء ومفتي الحرمين.

وقال يحيى القطان: مالك إمام يُقْتَدَى به.

قال الذهبي رحمه الله: وقد اتفق لمالك مناقب ما علمتها اجتمعت لغيره.

إحداها: طول العمر وطول الرواية.

وثانيتها: الذهن الثاقب والفهم وسعة العلم.

---

(١) التمهيد لابن عبد البر (١/ ٨٦).

وثالثها: اتِّفاق الأئمة على أنه حجة صحيح الرواية.

ورابعتها: تجمعهم على دينه وعدالته واتباعه السنن، وخامستها: تقدمه في الفقه والفتوى وصحة قواعده[١].

وقد عاش ﷺ ستا وثمانين سنة، وتوفي ﷺ سنة تسع وسبعين بعد المائة من الهجرة.

❖ سبب اختيار الموضوع:

وكان السبب في تأليف هذا الجزء هو ما يجده كل محب للسنة من الأقوال الغريبة المخالفة لمذهب السلف، والتي تنسب إلى إمام عظيم كالإمام مالك ﷺ، ولا ينقضي العجب حين تنسب إليه على أنها مذهبه ودينه وقوله مع أنه منها بريء[٢].

---

(١) تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي ﷺ (١/ ٢١٢).

(٢) يمكنك أن تقرأ للسبكي حيث يقول في «مفيد النعم ومبيد النقم»: وهؤلاء الحنفية، والشافعية، والمالكية، وفضلاء الحنابلة يد واحدة كلهم على رأي أهل السنة والجماعة، يدينون بطريقة شيخ السنة أبي الحسن الأشعري، لا يحيد عنها إلا رعاع من الحنفية، والشافعية، لحقوا بأهل الاعتزال، ورعاع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، وبرأ الله المالكية فلم ير مالكي إلا أشعري العقيدة ا.هـ

قلت: كلام السبكي منقوض، وليس له زمام ولا خطام، فلن تجد لمالك أو لأصحابه كابن القاسم، وأشهب، وابن عبد الحكم، وابن وهب، وأعلام مذهبه المتقدمين، كسحنون وابن أبي زيد فمن فوقهم قولًا يوافقون فيه الأشعري، فيما خالف فيه السلف والجماعة، **بل كل ما يتفرد به الأشعري من الأقوال المخالفة لمذاهب أهل السنة، تجد أن أئمة المالكية على خلافه، وعلى تضليل قائله. فهذا هو المذهب، وهو المعتمد الذي يعض عليه طالب النجاة.**

ثم كيف يقول المالكية بقول الأشعرية والمالكية من أكثر المذاهب ذمًّا لعلم الكلام المحدث الذي هو أساس مذهب الأشعرية، بل مضى المالكية قرونًا يحاربون =

وكان الحامل على هذه النسبة الباطلة هي ظن البعض ممن لم يوفق للسنة المحضة أن الإمام مالكًا كان كذلك على هذا الباطل المزعوم، وقد أخطؤوا مرتين:

المرة الأولى: في ظنهم أن ما هم عليه من مخالفة السنة هو الحق والهدى.

والمرة الأخرى: هي أن مالكًا رحمه الله كان على قولهم وطريقتهم.

وجلاء لهذه الشبهة، وإبانة للسبيل الصحيحة، لا بد من كشف أمرين اثنين أيضًا.

فالأول هو بيان أن ما هم عليه من ظن الضلالة حقًّا هو في نفسه خطأ غير صواب، وذلك من خلال النظر في أدلة الكتاب والسنة، والنظر في الحجج والبراهين الدالة على فساد هذه الضلالة وهذه البدعة.

= **علم الكلام والجدل حتى دخل على المتأخرين منهم، ثم انظر إلى إثبات المالكية صفة العلو لله تعالى، وأنه على العرش، بل صرح أئمتهم كابن أبي زيد بأنه بذاته على العرش، فهل الأشعرية على هذه العقيدة، وهل يثبت الأشعرية صفة العلو لله تعالى، وأنه في السماء مستوٍ على عرشه!! أم أن منتحل هذه العقيدة عندهم مجسم كافر.**

فالمذهب للمتقدمين وليس ما تلقفه بعض المتأخرين من المالكية عن غيرهم، فخالفوا فيه أسلافهم، وحادوا عن قواعد المذهب وأصوله القديمة، **فهذه الأقوال المحدثة تنسب إليهم على أنها قولهم ولا تنسب إلى المذهب على أنها قوله أو قول أصحابه وأربابه المتقدمين، وذلك لأن أرباب المذهب ومن أقاموا عماده، ونسجوا رواقه، كانوا مجانبين لهذه الأقوال مصرحين بخلافها.**

وما يقال في مذهب مالك يقال مثله في مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد رحمهم الله تعالى أجمعين.

الأمر الثاني: لا بد من كشف أن ما ينسبونه إلى السلف الصالح - والإمام مالك رحمه الله كابر من أكابرهم - قد أخطؤوا فيه النقل عنهم أيضًا، وأن الأمر ليس كما يظنونه، بل الإمام مالك رحمه الله وغيره من أئمة السلف جميعهم متفقون على ذم البدع كلها، وعلى أن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، كما نطق بذلك الشرع المطهر.

وهذه هي طريقة القرآن في محاجة المعاندين، ممن انتسب إلى شريعة إبراهيم عليه السلام معظمًا له، ثم هو مع ذلك مقيم على الوثنية والإشراك بالله جل وعلا، أو هو مقيم على عبادة عيسى أو عزير عليهما السلام من دون الله تعالى، فأبان الله تعالى أن الخليل إبراهيم عليه السلام الذي يتشرَّفون بالنسبة إليه، ويزعمون أنهم على ملته، لم يكن على زعمهم ومعتقدهم، بل كان مخالفًا لهم مضلِّلًا لشركهم ووثنيتهم، قال جل شأنه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران ٦٧]، وقال جل شأنه: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة ١٤٠]

ثم أبان جلَّ شأنه دعوة نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام، إمعانًا في تبرئته عليه السلام مما تنسبه إليه هذه الطوائف الضالة، فأخبر سبحانه أن دين إبراهيم كان قائمًا على إخلاص الدين لله، والوحدانية له، لا على الوثنية أو الإشراك الذي عليه المشركون من جاهليي العرب، أو ما عليه اليهود والنصارى من عبادتهم لأنبيائهم وأحبارهم ورهبانهم، قال سبحانه: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن

كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾ [العنكبوت ١٦ ـ ١٨] وأخبر سبحانه أن إبراهيم عليه السلام حاج قومه في الله، من أجل أنهم عبدوا غير الله خوفًا ورجاءً ومحبةً، فقال سبحانه مخبرًا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام ٧٩ ـ ٨٢]، وأخبر سبحانه أن إبراهيم عليه السلام وصى بنيه بهذا الدين، ووصّاهم بكلمة التوحيد، التي مقتضاها إخلاص العبادة للحي القيوم سبحانه ونبذ كل ما يعبد من دونه، قال جل شأنه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف ٢٦ ـ ٢٨].

فأبان جل شأنه شريعة إبراهيم عليه السلام، بل طريقة جميع أنبيائه ورسله عليهم السلام ليقيم بذلك الحجة على أتباعهم، أنكم إن كنتم تنتسبون إلى هؤلاء الأنبياء، فهذه هي الطريقة الصحيحة التي كان عليها أولئك الأخيار والصلحاء والأنبياء من بني آدم، وليس ما تزعمونه أنتم من الطرق الباطلة، فإنهم لم يكونوا كذلك أبدًا.

قال شيخ الحرمين أبو الحسن الكرجي من فقهاء الشافعية[١] ـ وقد ألف كتابًا فيما عليه الأئمة الأربعة أبوحنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل رحمهم الله ـ : إن في النقل عن هؤلاء إلزامًا للحجة على كل من ينتحل مذهب إمام يخالفه في العقيدة، فإن أحدهما لا محالة يضلل صاحبه أو يبدِّعه أو يكفره، فانتحال مذهبه ـ مع مخالفته له في العقيدة ـ مستنكر والله شرعًا وطبعًا، فمن قال: أنا شافعي الشرع أشعري الاعتقاد، قلنا له: هذا من الأضداد، لا بل من الارتداد، إذ لم يكن الشافعي أشعري الاعتقاد. ومن قال: أنا حنبلي في الفروع معتزلي في الأصول؛ قلنا: قد ضللت إذًا عن سواء السبيل فيما تزعمه، إذ لم يكن أحمد معتزلي الدين والاجتهاد[٢].

ولقد صدق الكرجي رحمه الله، ففي النقل عن مالك رحمه الله وأصحابه إلزام لمن يزعم أنه على مذهبهم، وأنه يتدين بقولهم، ويتخلق بأخلاقهم وآدابهم .

وأيضًا من زعم موافقته لمالك رحمه الله ثم خالفه في الأصول، فإنه لا شك مضلِّل لمالك من حيث يدري أو لا يدري، فإن المخالفة في الضلالة لن تعدو أن تكون إما كفرًا، أو ضلالة، أو جهالة.

---

(١) الإمام الفقيه الشافعي محمد بن عبد الملك شيخ الكرج وعالمها ومفتيها ولد سنة (٤٥٨هـ) وتوفي سنة (٥٣٢هـ)، قال السمعاني: وله القصيدة في السنة نحو مائتي بيت فيها عقيدة السلف، وله تصانيف في المذهب والتفسير كتبت عنه، وقال الذهبي: هذه القصيدة مشهورة عند الخاصة والعامة في بلاد المشرق طبقات الشافعية لابن كثير (٢/ ٦٠٦)، طبقات الشافعية الكبرى (٦/ ١٣٧) العرش للذهبي (٢/ ٣٦٨).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ١٤٥).

وقد حصل والله هذا التضليل لأئمة المذهب وساداته المالكية ممن للأسف هو منتسب إليه، وممن يتديَّن بقول مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، فضلَّل الخلف السلف، بل وصل إلى التكفير والجهالة، وسوف أضرب على ذلك ثلاثة أمثلة:

المثال الأول: الإمام المبجل وشيخ الإسلام في زمانه **أبو محمد ابن أبي زيد القيرواني** رَحِمَهُ اللَّهُ(١)، إمام المالكية في وقته، إذ لم يكن له في

---

(١) الإمام العلامة القدوة الفقيه، عالم أهل المغرب، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي ويقال له: مالك الصغير. وكان أحد من برز في العلم والعمل. قال القاضي عياض: وكان أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ، إمام المالكية في وقته وقدوتهم، وجامع مذهب مالك، وشارح أقواله. وكان واسع العلم كثير الحفظ والرواية، وكتبه تشهد له بذلك، فصيح القلم ذا بيان ومعرفة بما يقوله، ذابًّا عن مذهب مالك، قائمًا بالحجة عليه، بصيرًا بالرد على أهل الأهواء، يقول الشعر ويجيده، ويجمع إلى ذلك صلاحًا تامًا، وورعًا وعفة، وحاز رئاسة الدين والدنيا، وإليه كانت الرحلة من الأقطار، ونجب أصحابه وكثر الآخذون عنه. وهو الذي لخَّص المذهب، وضمّ كسره، وذبّ عنه. وملأت البلاد تواليفه. عارض كثير من الناس أكثرها. فلم يبلغوا مداه، مع فضل السبق، وصعوبة المبتدأ، وعرف قدره الأكابر. قال الشيرازي: وكان يعرف بمالك الصغير.قال عياض: له كتاب النوادر والزيادات على المدونة، مشهور. أزيد من مائة جزء. وكتاب مختصر المدونة، مشهور، وعلى كتابيه هذين المعوَّل بالمغرب في التفقه - توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في سنة (٣٨٦ هـ).

ولأجل إمامته رَحِمَهُ اللَّهُ وشهرته في الآفاق انتسبته الأشعرية، وزعمت أنه كان أشعري العقيدة، على مذهب أبي الحسن الأشعري، وهذا خلاف الصواب، ومما يبين فساد نسبته للأشعرية أن علم الأشعرية قائم على علم الكلام الفلسفي، ومن تأمل كلام ابن أبي زيد رَحِمَهُ اللَّهُ في ذم الكلام وأهله، علم أن ابن أبي زيد براء من الأشعرية وطريقتهم المبتدعة، ومن تأمل ما يثبته ابن أبي زيد من صفات الباري سبحانه، علم أن ابن أبي زيد مخالف لطريقة الأشعرية.

وغاية ما يحتج به هؤلاء الذين ينسبون ابن أبي زيد للأشعرية إنما هو ما نقله =

....

= ابن عساكر في تبيينه من ذب ابن أبي زيد عن أبي الحسن الأشعري ودفاعه عنه.

وهذا من أضعف وجوه الاستدلال، فشهرة معتقد ابن أبي زيد أجل من أن ينسب للأشعرية بمثل هذا النقل، ثم هو كان في مقام الرد على المعتزلي، الذي كان يكفر أبا الحسن الأشعري، ولم يكن قد بلغ ابن أبي زيد عن أبي الحسن ما يخالف السنة وأهلها، أو لعل الذي بلغ ابن أبي زيد عن أبي الحسن الأشعري إنما هو مذهبه الأخير الذي وافق فيه الحنابلة وأهل السنة، وهذا جلي وواضح، فإن المعتزلة إنما عادت الأشعري ونابذته ونقمت عليه وكفرته بعد ما فارق معتقدهم، ورجع إلى معتقد أهل السنة والجماعة، وصرح بأنه على عقيدة الإمام أحمد رحمه الله، انظر عقيدة الأشعري فيما يلي ص (١٧٢).

وأمر آخر أن ابن أبي زيد صرح بعدم تقليده للأشعري، فقد قال ما نصه تبيين كذب المفتري (ص ٣٧٦): «وأبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل به يقتدى، وقد أنكر هذا، وما أنكر أبو عبد الله أنكرناه، فكيف يسعك أن تكفر رجلًا مسلمًا بهذا، ولا سيما رجل مشهور إنه يرد على أهل البدع وعلى القدرية الجهمية، متمسك بالسنن مع قول من قاله معه من البخاري وغيره، فلو ذكرت أمرًا يجب تكفير قائله عند أهل السنة كان لك ذلك، **لأنا لا نعتقد أنا نقلد في معنى التوحيد والاعتقادات الأشعري خاصة**، ولكن لا يحل لنا أن نكفره أو نبدعه إلا بأمر لا شك فيه عند العلماء، وإذا رأينا من فروع أقاويله شيئًا ينفرد به تركناه، ولا نهجم بالتضليل والتبديع بما فيه الريب، وكل قائل مسؤول عن قوله.

وبهذا يتبين أن ابن أبي زيد ليس من أتباع الأشعري، بل عرض عليه مبتدع أمر الأشعري وكفره بما لا يعلمه ابن أبي زيد رحمه الله في الأشعري، فذب عن الأشعري كما يذب عن كل مسلم لا يعلم عنه إلا خيرًا. فلا يسوغ بمثل هذا أن ينسب ابن أبي زيد إلى الأشعرية، بل لو نسبه متكلم إلى الحنابلة لكان له في ذلك وجه لتصريحه بذلك حين يقول: «**وأبو عبد الله أحمد بن حنبل به يقتدى، وما أنكره أبو عبد الله أنكرناه..**».

وقد رد نسبة ابن أبي زيد للأشعرية الإمام الحافظ أبو نصر السجزي رحمه الله في رسالته إلى أهل زبيد (ص ٢٢٥) قال: ويتعلق قوم من المغاربة علينا بأن أبا محمد بن =

العلم والإمامة نظير، ولأجل ذلك لقب بمالك الصغير، وقد ألف رسالة في العقيدة لم تتلقفها أيدي المالكية وحدهم بالقبول، بل قد تلقفتها أيدي أهل السنة جميعهم بالقبول والاستحسان، وحاولت الفرق الأخرى أن تنتحله وتستميله لمذاهبها الردية، لما قد وضع الله تعالى له من القبول في الأرض ومن العلم.

= أبي زيد وأبا الحسن القابسي قالا: إن الأشعري إمام.

وإذا بان صحة حكايتهم عن هذين، فلا يخلو حالهما من أحد وجهين: أن يدعى أنهما كانا على مذهبه، فلا يحكم بقولهما بإمامته، وإن كانت لهما منزلة كبيرة كما لم يحكم بما يقول ابن الباقلاني وأشكاله.

وإما أن يقر بأنهما مخالفان له في الاعتقاد فقولهما بعد ذلك أنه إمام لا يؤثر شيئًا يفرح به. وهذه رسالة أبي محمد بن أبي زيد في الفقه، ورسالة لأبي الحسن القابسي في الاعتقاد موجودتان، فأبو محمد قال في رسالته: إن الله فوق عرشه بائن من خلقه. وعند الأشعري أن اعتقاد هذا كفر.

وعندنا أن أبا محمد محق فيما قال، والسنة معه فيه، ولأبي محمد كتاب في إنكار الكلام والجدل والحث على الأثر واتباع السلف.

وأبو الحسن القابسي ذكر في كتابه أن الاعتماد على السمع، وإن الكلام والجدال مذموم، وذكر فيه أن لله يدين كما يقوله أهل الأثر، وعند بعض أصحاب الأشعري أن لله يد واحدة، ومن قال إن له يدي صفة ذاتيه فهو زائغ.

فبان بما ذكرنا أن هذين الشيخين رحمهما الله إن قالا ما يحكى عنهما من إمامة الأشعري فإنهما قالاه لحسن ظنهما به، لتظاهره بالرد على المعتزلة والروافض، ولم يخبرا مذهبه، ولو خبراه لما قالا ما قالاه والله أعلم.

وإذا جاز لأبي محمد أن يخالفه في كرامات الأولياء، وفي معنى الاستواء وغير ذلك، وجاز لأبي محمد مخالفته، والقول بما نطق به الكتاب وثبت به الأثر فهو غير قائل بإمامته في السنة وبالله التوفيق.

(ترتيب المدارك ٦/ ٢١٥، الديباج المذهب ١/ ٤٢٧، سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٠).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: وكان أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ، إمام المالكية في وقته، وقدوتهم، وجامع مذهب مالك، وشارح أقواله... وهو الذي لخص المذهب، وضم كسره، وذبّ عنه، وملأت البلاد تواليفه، عارض كثير من الناس أكثرها، فلم يبلغوا مداه، مع فضل السبق، وصعوبة المبتدأ، وعرف قدره الأكابر ا.هـ[(٢)].

وأقول: جاء بعض المتأخرين ممن ينتسب لمذهب مالك، فاتهم هذا الإمام بالكفر والردة عن الدين، ثم جاء فريق آخر يدافع عن هذا الإمام المبجل، وينتصر له، ولكن يا للأسف دفع عنه تهمة الكفر وعذره بالتأويل الذي لا يكفر صاحبه، ثم أوقعه في الضلالة، ثم جاء فريق آخر ينتصر لابن أبي زيد ويدفع عنه الضلالة فماذا كان!!؟ لقد نفى عنه الضلالة وعذره بالجهل فصار ابن أبي زيد جاهلًا بربه غير عالم بمن تعبده المصلّون، وبمن يسجدون له ويوحدون، ويتلون في صلاتهم كل يوم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[(٣)].

وليس هناك من سبب لهذا التكفير والتضليل والتجهيل إلا المخالفة

---

(١) الإمام العلامة الحافظ الأوحد شيخ الإسلام القاضي أبو الفضل عياض بن موسى ابن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي. ولد في سنة ست ٤٧٦هـ واستبحر من العلوم، وجمع وألف، وسارت بتصانيفه الركبان، واشتهر اسمه في الآفاق، قال خلف بن بشكوال: هو من أهل العلم والتفنن والذكاء والفهم، استقضي بسبتة مدة طويلة، حمدت سيرته فيها، ثم نقل عنها إلى قضاء غرناطة فلم يطول بها وقدم علينا قرطبة، فأخذنا عنه، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ٥٤٤هـ (سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢١٣).

(٢) ترتيب المدارك للقاضي عياض (٦/ ٢١٥).

(٣) سوف يأتي مزيد بيان حول هذه التهمة عند الكلام عن استواء الرب سبحانه على عرشه الكريم، وذلك عند قول ابن أبي زيد (بذاته) ص (١٢٦).

في الأصول، وزعم الموافقة في الفروع. إذ لم يكن لابن أبي زيد ذنب غير أنه قال: ربي الله في السماء، وأنه استوى على العرش بذاته، كما نطق بذلك القرآن، وجاءت بذلك صحاح الأخبار، وأجمع عليه السلف الأخيار، **فأي جوار هذا يا معشر المالكية!!!**

المثال الثاني: إمام المالكية وفخر الأندلس وشيخ علمائها، وكبير محدثيها، وأحفظ من كان بها للسنة: **أبو عمر ابن عبد البر القرطبي النمري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]، **قال أبو الوليد الباجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: لم يكن بالأندلس مثل

---

(١) الإمام العلامة حافظ المغرب شيخ الإسلام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي المالكي، قال الذهبي: صاحب التصانيف الفائقة، طلب العلم بعد التسعين وثلاث مئة، وأدرك الكبار، وطال عمره، وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، وجمع وصنف، ووثق وضعف، وسارت بتصانيفه الركبان، وخضع لعلمه علماء الزمان، وكان إمامًا دَيِّنًا ثقة متقنًا علامة متبحرًا صاحب سنة واتباع وكان أولًا أثريًا ظاهريًا فيما قيل، ثم تحول مالكيًا مع ميل بين إلى فقه الشافعي في مسائل، ولا ينكر له ذلك فإنه ممن بلغ رتبة الأئمة المجتهدين، ومن نظر في مصنفاته بان له منزلته من سعة العلم وقوة الفهم وسيلان الذهن، وكان في أصول الديانة على مذهب السلف، لم يدخل في علم الكلام، بل قفا آثار مشايخه رحمهم الله. توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ٤٦٣ هـ
(ترتيب المدارك ٨/ ١٢٧، الصلة لابن بشكوال ٣/ ٩٧٣، سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٥٣).

(٢) الإمام العلامة الحافظ ذو الفنون القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف التجيبي الأندلسي القرطبي، الباجي، صاحب التصانيف. ولد أبو الوليد في سنة ٤٠٣ هـ قال الأمير أبو نصر: أما الباجي ذو الوزارتين ففقيه متكلم، أديب شاعر، سمع بالعراق، ودرس الكلام وصنف...إلى أن قال: وكان جليلا رفيع القدر والخطر وقال القاضي أبو علي الصدفي: ما رأيت مثل أبي الوليد الباجي، وما رأيت أحدًا على سمته وهيئته وتوقير مجلسه. توفي في ١٩ رجب، سنة ٤٩٤هـ
(ترتيب المدارك ٤/ ٨٠٢، الصلة ١/ ٢٠٠ _ ٢٠٢، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٣٥).

أبي عمر بن عبد البر في الحديث وهو أحفظ أهل المغرب، **وقال ابن بشكوال**[١]: إمام عصره، وواحد دهره.

هذا الإمام العظيم الذي لم يعرف المغرب بعده مثيلًا، قد نسبه جماعة من المتأخرين إلى التجسيم والحشو، وهي فرية تلصق بكل من روى أحاديث الصفات وأمرها، واتبع أئمة السلف الصالح رحمهم الله.

قال أبو عبد الله القرطبي رحمه الله[٢]: وإنما حملني على ذكر هذا، لأن كثيرًا من الأصوليين وجهلة المتفقهين، يتأول على أبي عمر أنه حشوي

---

(١) الإمام العالم الحافظ الناقد المجود محدث الاندلس أبو القاسم خلف بن عبدالملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال بن يوسف بن داحة الأنصاري الأندلسي القرطبي، صاحب تاريخ الأندلس كان متسع الرواية شديد العناية بها عارفًا بوجوهها، حجة مقدمًا على أهل وقته حافظًا حافلًا أخباريًا تاريخيًا ذاكرًا لأخبار الأندلس. سمع العالي والنازل وأسند عن مشايخه أزيد من أربع مئة كتاب من بين كبير وصغير، ورحل الناس إليه وأخذوا عنه، وولي بإشبيلية قضاء بعض جهاتها نيابة عن ابن العربي وعقد الشروط ثم اقتصر على إسماع العلم وعلى هذه الصناعة، وهي كانت بضاعته، والرواة عنه لا يحصون. توفي إلى رحمة الله في ٨ من شهر رمضان ٥٧٨هـ، وله ٨٤ سنة. (سير أعلام النبلاء ٢١/ ١٤٢).

(٢) الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، قال في الديباج: كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة، أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف، جمع في تفسير القرآن كتابًا كبيرًا في اثني عشر مجلدًا سماه كتاب جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي القرآن وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعًا، أسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ ا.هـ توفي (سنة ٦٧١ هـ).

(الديباج المذهب ٣١٧ تاريخ الإسلام للذهبي وفيات ٦٧١ ـ ٦٨٠).

قاعد ومجسم ظاهر، حتى إن بعض أشياخي أخبرني عمن لقيه أنه كان يقول: ينبغي أن تقطع تلك الأوراق من كتبه أو تطمس، وهذا كلام فيه تحامل لا يصدر مثله إلا عن تجاهل بما قالته قبله العلماء، وسطرته في كتبها الأئمة الفضلاء، وإنما كان عليه أن يبين ويوضح ويعلم.

هذا الترمذي أبو عيسى قد ذكر في كتابه عن مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك، أنهم قالوا في هذه الأحاديث ـ يريد أحاديث الصفات ـ : أمروها بلا كيف، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة ا.هـ[1].

وقال أبو القاسم البرزلي رحمه الله[2]: واختار هذا المذهب ـ يعني جواز إطلاق جهة الفوق من غير تكييف ولا تحديد ـ ابن عبد البر في الاستذكار، وله فيه كلام صعب أخذ الشيوخ عليه فيه جدًّا، لأنه حمل الوارد على ظاهره، وذكر مذهبًا متدافعًا عند تحقيقه[3].

وقال: واختار هذا المذهب ابن عبد البر في الاستذكار، واشتدَّ نكير شيخنا المذكور عليه، وقال: لم يزل هذا المذهب ينكرونه عليه لحمله ما ورد على ظاهره، ولتدافع مذهبه في نفسه عند تحقيقه، وهو ظاهر كلام الشيخ في رسالته[4].

---

(1) الأسنى شرح أسماء الله الحسنى (ص ١٩٨).

(2) أبو القاسم بن أحمد بن محمد البلوي القيرواني، المعروف بالبرزلي، أحد أئمة المالكية في المغرب، حج ومر بالقاهرة سنة ٨٠٠هـ، وسكن تونس، وانتهت إليه الفتوى فيها، وكان ينعت بشيخ الإسلام، وعمر طويلًا، قال السخاوي: توفي بتونس عن مائة وثلاث سنين (الضوء اللامع ١١/ ١٣٣، الأعلام للزركلي ٥/ ١٦٨).

(3) النوازل (١/ ٣٨٧).

(4) النوازل (٦/ ١٩٩).

المثال الثالث: القاضي عياض بن موسى اليحصبي رحمه الله، الذي قال عنه الذهبي رحمه الله: الإمام العلامة، الحافظ، الأوحد، شيخ الإسلام.

هذا الإمام الذي أقام عماد المذهب، وخلّف تركة لا يستغني عنها دارس في تاريخ المالكية، لما نقل القاضي عياض جواز إطلاق الفوقية لله تعالى من غير تكييف ولا تحديد عن الفقهاء والمحدثين، وبعض المتكلمين من الأشعرية، قام بعض الفقهاء من المالكية ـ يغفر الله للجميع ـ فأطلق لسانه في القاضي عياض، فانظر ماذا قال.

قال البرزلي رحمه الله: وأنكر شيخنا الإمام عليه ما نقله عن بعض الأشعرية إنكارًا شديدًا، وقال لم يقله أحد منهم فيما علمته واستقريته من كتبهم، وسمعته يقول: القاضي ضعيف!! في علم الأصول، ويعرف ذلك من تواليفه، وكان عالمًا بالأحاديث وبرجالها وضبطها ولغاتها، مقدمًا في ذلك، فلا يلتفت لنقله عن أهل الأصول في هذه المسألة.

وأقول: الحق مع القاضي عياض رحمه الله، وقد أجاد البرزلي حين انتصر للقاضي، فقال: وكلامه في الشفاء يدل على علمه في هذا الفن وغيره وتضلعه. وما نقله عن بعض الأشعرية حكاه ابن بزيزة في شرح الإرشاد عن القابسي في مسائل الأشعرية وعن البخاري وغيره[١].

هذه ثلاثة أمثلة تكشف بجلاء أن من انتسب إلى إمام من أئمة الدين ثم خالفه في أصوله فإنه لا شك مضلل لهذا الإمام مخالف له.

قال الكرجي أبو الحسن رحمه الله: وقد افتتن أيضًا خلق من المالكية بمذاهب الأشعرية، وهذه والله سبة وعار وفلتة تعود بالوبال والنكال،

---

(١) نوازل البرزلي (٦/ ١٩٩).

وسوء الدار على منتحل مذاهب هؤلاء الأئمة الكبار، فإن مذهبهم ما رويناه من تكفيرهم الجهمية والمعتزلة والقدرية والواقفية وتكفيرهم اللفظية.

وأقول: هذا عند البعض من المتأخرين، أما الأئمة المتقدمون والمعتمد عليهم من علماء المذهب وأئمته المالكيين المحققين فإنهم كانوا على الجادة والطريقة الأثرية، لم يتأثروا بالأهواء والضلالات والبدع، ومن أراد أن تنجلي له حقيقة هذا الأمر، وهل كانوا على عقيدة الأشعرية أم ليسوا على عقيدته، فلينظر المسائل التي سوف ترد في أبواب الإيمان، والأسماء والصفات، وليقارن بين هذه المسائل والأقوال التي يجدها مسطرة، هل توافق ما عليه الخلف من مذاهب الأشعرية، أم أنها توافق ما كان عليه السلف الصالح وأئمة المذهب والسادة الفقهاء من علماء المالكية رحمهم الله.

وبمقارنة سريعة سوف يعلم العاقل اللَّبيب، أن أئمة المالكية رحمهم الله من أكثر الأئمة تصريحًا بموافقة السنة والحديث، ومخالفة البدعة والأشعرية وجميع الفرق المخالفة للسنة.

هذا وإن الذب عن المذهب الأقوال الغريبة المجافية له لهو سنة قديمة عند العلماء والأئمة المتقدمين، يذبون عنه وعن الشريعة كل ما ناقضها، هذا في كل المذاهب، وكذلك الأئمة والسادة المالكية رحمهم الله قاموا بالذب عن الإمام مالك رحمه الله ونفوا كل ما نسب إليه من الأقوال المنحرفة والمخالفة للسنة، وأبانوا حقيقة المذهب، وأنه الاتباع لرسول الله ﷺ والسلف الصالح، وعدم الابتداع في الدين أو الانتساب إلى أيّ فرقة من الفرق المبتدعة.

هذا الإمام أبو بكر الأبهري رحمه الله[١] يقول: وقد سمعت من يذكر أن لمالك بن أنس كتاب سر، وكان مالك أتقى لله عز وجل، وأجل وأعظم شأنًا من أن يتقي في دينه أحد أو يراعيه، وكان مشهورًا بهذه الحال، وأنه لا يتقي من سلطان ولا غيره، وقد نظرت في غير نسخة من كتاب السر، فوجدتها تنقض بعضها بعضًا، ولو سمع مالك إنسانًا يتكلم ببعض ما فيه لأوجعه ضربًا.

وقد حدثني موسى بن إسماعيل القاضي قال: سمعت عبد الله بن أحمد الطيالسي يقول: سألت إسماعيل بن إسحاق عن كتاب السر لمالك بن أنس، فقال: سألت أبا ثابت محمد بن عبيد الله المدني صاحب ابن القاسم هل لمالك كتاب سر؟ فقال: سألت ابن القاسم عن ذلك؟ فقال: ما نعرف لمالك كتاب سر[٢].

وقال رحمه الله: ورأيت في كتاب رجل ليس من أهل الفقه، قد نسب مالكًا إلى رأي الإباضية، والشافعي إلى رأي الرافضة، وأبا حنيفة إلى الإرجاء، ولم يحل لهذا أن ينسب هؤلاء القوم إلى دين لا يعرفون به.

فأما مالك فقد ذكرنا قوله... إلى أن قال: ولا يحل لأحد أن ينسب أحدًا إلى دين لا يعلمه، سيّما مثل مالك بن أنس في دينه وفضله

---

(١) أبو بكر الأبهري هو الإمام العلامة القاضي المحدث شيخ المالكية أبو بكر محمد ابن عبد الله بن محمد بن صالح التميمي الأبهري نزيل بغداد وعالمها، قال الدارقطني: هو إمام المالكية، إليه الرحلة من أقطار الدنيا، رأيت جماعة من الأندلس والمغرب على بابه، وقال أبو الفتح بن أبي الفوارس: كان ثقة، انتهت إليه رئاسة مذهب مالك ـ توفي سنة (٣٧٥ هـ).

(ترتيب المدارك ٤/ ٤٦٦، تاريخ بغداد ٥/ ٤٦٢، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٣٢).

(٢) شرح مختصر ابن عبد الحكم، الجامع ص ١٧٥.

وإمامته، إذ كان من أهل القرآن والحديث والفقه والورع، وهو إمام دار الهجرة وشيخ الحجاز الذي حفظ علم الحجاز وعرفه... وقد أفتى مالك نحوًا من سبعين سنة، وحدث مثلها، وحدث عنه خمسون ومائة سنة، منها خمسون سنة وهو حي، وحدث عنه جماعة من التابعين مثل الزهري ويحيى بن سعيد الأنصاري، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وحدث عنه الأئمة مثل الأوزاعي والثوري وأبي حنيفة وحملوا عنه.

كيف يحل لأحد أن يضيف مثل هذا الرجل الجليل إلى بدعة! هذا لا يسع مسلمًا فعله، وقد كان مالك شديدًا على أهل الأهواء والزيغ ينحرفون عنه، فأما أن يتعلق عليه ببدعة أو حادثة فيعوذ بالله من ذلك.

وقد كان أشد الناس اتباعًا لسلفه وشيوخه ممن أدركهم، وإنما أدرك التابعين في الأكثر، وجالسهم وأخذ عنهم، وقد كان مع ذلك معظمًا للدين وأهله، مجلًّا للعلم حتى لا يحدث إلا على طهارة، ولا يفتي إلا كذلك هذا مشهور عنه(١).

وبعد هذا كله، فجريًا على طريقة الأئمة المالكية رحمهم الله في الذب عن الإمام مالك رحمه الله، وإقامة للحجة على المتأخر في مخالفته أئمة المذهب المتقدمين، قمت بجمع ما أمكن من أقوال الإمام مالك رحمه الله وأقوال أصحابه والمتقدمين من أعلام مذهبه في أبواب السنة والبدعة والتوحيد(٢).

---

(١) المرجع السابق، ص ١٧٢.

(٢) وفي خاتمة المطاف وأثناء الطباعة للكتاب اطلعت على كتابين طبعا في الباب نفسه، الأول بعنوان: جهود علماء المالكية في تقرير توحيد العبادة، تأليف عبد الله ابن فهد العرفج، طبع بدار التوحيد للنشر ـ الرياض ـ ط١ ـ ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧ م.
والكتاب الآخر بعنوان: علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف =

فيا من رضي لدينه ودنياه، وتوثقًا لآخرته ومثواه، باختياره مالك بن أنس إن كنت على مذهبه، أو باختيار أبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل إن كنت ترى رأيهم، كيف هجرت اختيارهم في هذه المسالك الوعرة، وجعلت إمامك فيها شهواتك وبلوغ أوطارك ولذاتك ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء ٢٦]

وإني أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب من أراد الله هدايته، فيطالع فيه أقوال الأئمة الماضين من أئمة المذهب رحمهم الله، فيستنير بما كانوا عليه من اتباع السنة ومجانبة البدعة، ويأنس بهذه الأقوال في رد ما يراه من الضلالات والبدع التي قد عمت، فإن مذاهب البدع وطرقها في هذه الأزمنة قد كثرت، ومذهب الأئمة الأولين لا يكاد يعرف ـ لولا ما وعد الله به من حفظ دينه وسنة نبيه ـ وذلك بسبب غلبة الباطل، وجلبة أهله، واعتماد كثير من المتأخرين على الأقوال الضعيفة، المخالفة لأقوال الأئمة المتقدمين.

والله الهادي إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

* * *

= والقبورية والمواسم، تأليف مصطفى باحو، الناشر: جريدة السبيل ـ ط١ ـ ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، بريد إلكتروني: assabill@menara.ma

فجزى الله الأخوين خيرًا على نشر هذه العقيدة الإسلامية الصافية والدفاع عنها.

فصل في اتباع الإمام مالك رحمه الله للحديث والسنن والآثار وما كان عليه السلف الصالح

قال الإمام مالك رحمه الله في السنن: والتسليم للسنن، لا تعارض برأي، ولا تدفع بقياس، وما تأوله منها السلف الصالح تأولناه، وما عملوا به عملناه، وما تركوه تركناه، ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا، ونتبعهم في ما بينوا، ونقتدي بهم في ما استنبطوه ورأوه في الحوادث، ولا نخرج عن جماعتهم في ما اختلفوا فيه أو في تأويله(١).

وقال رحمه الله: قبض رسول الله ﷺ وقد تم هذا الأمر واستكمل، فإنما ينبغي أن تتبع آثار رسول الله ﷺ، ولا يتبع الرأي(٢).

وقال عبد الله بن وهب رحمه الله(٣): سئل مالك رحمه الله عن تخليل أصابع الرجلين في الوضوء؟

---

(١) الجامع لابن أبي زيد (ص ١٨٤).

(٢) جامع بيان العلم لابن عبد البر (٢/ ١٤٤).

(٣) عبدالله بن وهب بن مسلم الإمام شيخ الإسلام أبو محمد الفهري، مولاهم المصري الحافظ، مولده: سنة (١٢٥ هـ)، قال ابن فرحون: تفقه بمالك والليث وابن دينار وابن أبي حازم وغيرهم وقال: أدركت من أصحاب ابن شهاب أكثر من عشرين رجلًا وقال: صحبت مالكًا عشرين سنة، وقالوا: لم يكتب مالك بالفقيه لأحد إلا إلى ابن وهب، قال يحيى بن بكير: ابن وهب أفقه من ابن القاسم قال سحنون: وبلغنا أن مالكا الإمام كان يكتب إليه: إلى عبدالله بن وهب مفتي أهل مصر، ولم يفعل هذا مع غيره، قال ابن القاسم: لو مات ابن عيينة لضربت إلى ابن وهب أكباد الإبل، ما دون العلم أحد تدوينه، وقد ذكر عند مالك ابن وهب وابن القاسم، =

فقال: ليس ذلك على الناس.

فتركته حتى خف الناس عنه، فقلت له: عندنا في ذلك سنة!

قال: وما هي؟

قلت: حدثنا الليث بن سعد وعمرو بن الحارث وابن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافري عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن المستورد بن شداد القرشي قال: رأيت رسول الله ﷺ يدلك بخنصره ما بين أصابع رجليه.

قال: إن هذا الحديث حسن، وما سمعت به قط إلا الساعة.

ثم سمعته بعد ذلك سئل، فأمر بتخليل الأصابع[1].

قال أشهب رحمه الله[2]: سمعت مالك بن أنس رحمه الله يقول: إياكم والبدع.

= فقال مالك: ابن وهب عالم، وابن القاسم فقيه. وقال يوسف بن عدي: أدركت الناس: فقيهًا غير محدث ومحدثًا غير فقيه خلا عبد الله بن وهب فإني رأيته فقيهًا محدثًا زاهدًا صاحب سنة وآثار. وقال محمد بن عبد الحكم: هو أثبت الناس في مالك وهو أفقه من ابن القاسم إلا أنه كان يمنعه الورع من الفتيا. وقال أصبغ: ابن وهب أعلم أصحاب مالك بالسنن والآثار إلا أنه روى عن الضعفاء، وكان يسمى ديوان العلم وما من أحد إلا زجره مالك إلا ابن وهب فإنه كان يعظّمه ويحبه. قال أبو الطاهر بن عمرو: جاءنا نعي ابن وهب ونحن في مجلس سفيان بن عيينة، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أصيب به المسلمون عامة، وأصبت به خاصة، توفي سنة (١٩٧ هـ).

(ترتيب المدارك ٢/ ٤٢١، الديباج المذهب ١/ ٧٣، سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٢٣).

(١) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ٢٥٩) والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٧٦ ـ ٧٧) وأورده الزواوي ١٤٦

(٢) الإمام العلامة مفتي مصر، أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم =

فقيل يا أبا عبد الله وما البدع؟

قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان[١].

قال عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله[٢]: دخلت عند مالك رحمه الله، وعنده رجل يسأله عن القرآن؟

= القيسي العامري المصري الفقيه مولده سنة (١٤٠هـ)، قال الشافعي فيه: ما أخرجت مصر أفقه من أشهب، لولا طيش فيه، قال ابن عبد البر: كان فقيهًا حسن الرأي والنظر، فضله ابن عبد الحكم على ابن القاسم في الرأي، وسئل سحنون عنهما أيهما أفقه، فقال: كانا كفرسي رهان، ربما وفق هذا وخذل هذا، وربما خذل هذا ووفق هذا، ما كان أحد يناظر أشهب، إلا اضطره بالحجة حتى يرجع إلى قوله. ولقد كان يأتينا في حلقة ابن القاسم فيتكلم في أصول العلم، ويفسّر ويحتج، وابن القاسم ساكت ما يرد عليه حرفًا، وكان أشهب مهيبًا. وكان أزرق العينين فإذا كلمه إنسان في مسألة يرفع عينيه إليه إذا تعذرت المسألة. وكان يلبس قلنسوة سوداء. وكان آمرهم بمعروف وأنهاهم عن منكر، توفي سنة (٢٠٤ هـ).
(ترتيب المدارك ٢/ ٤٤٧، الديباج المذهب ١/ ٣٠٧، سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٠٠).

(١) أخرجه أبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام (٨٧٢) وأبو الفضل المقري في المنتقى من ذم الكلام ص (٨٢).

(٢) عبدالرحمن بن مهدي بن حسان بن عبدالرحمن، الإمام الناقد المجود، سيد الحفاظ، أبو سعيد العنبري ولد سنة (١٣٥هـ)، وكان إمامًا حجة، قدوة في العلم والعمل. قال الشافعي: لا أعرف له نظيرًا في هذا الشأن. قال ابن فرحون في الديباج: لازم مالكًا فأخذ عنه كثيرًا من الفقه والحديث وعلم الرجال وله معه حكايات، قال ابن المديني: كان ابن مهدي يذهب إلى قول مالك، توفي بالبصرة في جمادى الآخرة سنة (١٩٨ هـ).
ترتيب المدارك ٣/ ٢٠٢، الديباج المذهب ١/ ٤٦٣، سير أعلام النبلاء ٩/ ١٩٢.

فقال: لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد[١]؟ لعن الله عَمْرًا فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام، ولو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل[٢].

قال مطرف رحمه الله[٣]: سمعت مالكًا رحمه الله إذا ذكر عنده فلان من أهل الزيغ يقول:

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: سنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا، الأخذ بها اتباع لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد بعد هؤلاء تبديلها، ولا النظر في شيء يخالفها، من

---

(١) عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة، وأول من أحدث بدعة الاعتزال، ضلل السلف وخالف طريقة الصحابة والتابعين، وكان يشتم الصحابة، قال عبدالله بن سلمة الحضرمي: سمعت عمرو بن عبيد يقول: لو شهد عندي علي وطلحة والزبير وعثمان على شراك نعل ما أجزت شهادتهم، وقال عمرو بن النضر: سئل عمرو بن عبيد يومًا عن شئ وأنا عنده، فأجاب فيه، فقلت: ليس هكذا يقول أصحابنا، فقال: ومن أصحابك لا أبالك؟! قلت: أيوب ويونس وابن عون والتيمي، قال: أولئك أرجاس أنجاس أموات غير أحياء. وسئل عمرو بن عبيد كيف حديث الحسن عن سمرة في السكتتين؟ فقال: ما تصنع بسمرة؟ قبح الله سمرة!
(ميزان الاعتدال ٣/ ٣).

(٢) شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٧).

(٣) مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان الهلالي، أبو مصعب روى عن مالك وروى عنه أبو زرعة وأبو حاتم والبخاري، وخرج عنه في صحيحه. قال الشيرازي: تفقه بمالك، وعبد العزيز بن الماجشون. قال مطرف: صحبت مالكًا سبع عشرة سنة فما رأيته قرأ الموطأ على أحد. قال أبو العرب: وامتحن مطرف في القرآن أيام المأمون، توفي سنة (٢١٤ هـ).
ترتيب المدارك (١/ ١٢٨).

اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا[١].

قال الإمام مالك رحمه الله: من أحدث في هذه الأمة اليوم شيئًا لم يكن عليه سلفها، فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الرسالة، لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة ٣] فما لم يكن يومئذ دينًا لا يكون اليوم دينًا[٢].

وقال سحنون رحمه الله[٣]: إنما عزاؤنا في هذه الآثار، فأما المسائل

---

(١) الجامع لابن أبي زيد (ص ١٤٩) ترتيب المدارك (٢/ ٤١).

(٢) خرجه ابن حزم في الأحكام ٦/ ٢٢٥ من طريق عبد الملك بن حبيب أخبرني ابن الماجشون عن مالك

(٣) الإمام العلامة فقيه المغرب أبو سعيد عبد السلام بن حبيب التنوخي، الحمصي الأصل المغربي القيرواني المالكي، قاضي القيروان، وصاحب «المدونة» لازم ابن وهب وابن القاسم وأشهب حتى صار من نظرائهم. وساد أهل المغرب في تحرير المذهب، وانتهت إليه رئاسة العلم، وعلى قوله المعول ببلاد المغرب، وتفقه به عدد كثير. وكان موصوفًا بالعقل والديانة التامة والورع، مشهورًا بالجود والبذل، وافر الحرمة عديم النظير. قال أشهب: ما قدم علينا أحد مثل سحنون، وقال يونس ابن عبدالأعلى: سحنون سيد أهل المغرب، قال ابن عجلان الأندلسي: ما بورك لاحد بعد النبي ﷺ في أصحابه ما بورك لسحنون في أصحابه، فإنهم كانوا في كل بلد أئمة. قال أبو العرب: اجتمعت في سحنون خلال قلما اجتمعت في غيره: الفقه البارع، والورع الصادق، والصرامة في الحق، والزهادة في الدنيا، والتخشن في الملبس والمطعم، والسماحة، كان إذا قرئت عليه «مغازي ابن وهب» تسيل دموعه، وإذا قرئ عليه «الزهد» لابن وهب يبكي.، قال عيسى بن مسكين: سحنون راهب هذه الأمة، ولم يكن بين مالك وسحنون أحد أفقه من سحنون، وعن سحنون قال: إني حفظت هذه الكتب، حتى صارت في صدري كأم القرآن، توفي في شهر رجب سنة (٢٤٠ هـ).

(ترتيب المدارك «٢/ ٥٨٩، الديباج المذهب» ٢/ ٣٢، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٥).

فالله أعلم بحقيقتها(١).

كتب ابن الماجشون رحمه الله(٢) إلى عبد الله بن صالح يقول له:

أما بعد، فإني موصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره، واتباع سنة رسول الله ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون في دينهم مما قد كفوا مؤنته، وجرت فيهم سننه، ثم اعلم أنه لم تكن بدعة قط إلا وقد مضى قبلها ما هو عبرة فيها، ودليل عليها، فعليك بلزوم السنة، فإنها لك بإذن الله عصمة، فإن السنة إنما جعلت عصمة ليستن بها، ويقتصر عليها، فإنما سنها من قد علم ما في خلافها من الزلل والخطأ والحمق والتعميق.

فارض لنفسك بما رضوا به لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم على كشفها كانوا أقوى، وبفضل لو كان فيها أحرى، وإنهم لهم السابقون.

فلئن كان الهدى ما أنتم عليه، لقد سبقتموهم إليه، ولئن حدث حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم.

---

(١) جذوة المقتبس للحميدي ص ١٤١.

(٢) عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون، قال الذهبي: الإمام المفتي الكبير أبو عبد الله المدني، الفقيه، والد المفتي عبد الملك بن الماجشون صاحب مالك، قال ابن وهب: حججت سنة ثمان وأربعين ومائة، وصائح يصيح: لا يفتي الناس إلا مالك، وعبد العزيز بن أبي سلمة. قال ابن حبان في كتاب الثقات: مات سنة ست وستين ومائة، وكان فقيهًا، ورعًا، متابعًا لمذاهب أهل الحرمين، مفرعا على أصولهم، ذابًا عنهم.
(تهذيب الكمال ١٨/١٥٨، سير أعلام النبلاء ٧/٣٠٩).

ولقد وصفوا منه ما يكفي، وتكلموا منه بما يشفي، فما دونهم مقصر، ولا فوقهم محسر، لقد قصر دونهم أناس فجفوا، وطمع آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدًى مستقيم[1].

* * *

(١) الإبانة لابن بطة، كتاب القدر ٢/ ٢٤٧، رقم (١٨٥٣)، وابن قدامة في ذم التأويل (ص ٣١).

منزلة عمل السلف عند الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ

روى أشهب عن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيمن بلغه شيء يحبه فسجد شكرًا لله، قال: لا يفعل، ليس مما مضى من أمر الناس.

قيل له إن أبا بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فيما يذكرون سجد يوم اليمامة شكرًا لله[1] أفسمعت ذلك؟

قال: لا، ما سمعت ذلك، وأنا أرى أن قد كذبوا على أبي بكر، وهذا من الضلال أن يسمع المرء الشيء فيقول: هذا شيء لم نسمع له خلافًا.

فقيل له: إنما نسألك لنعلم رأيك، فنرد ذلك به.

فقال: نأتيك بشيء آخر أيضًا لم تسمعه مني، قد فتح الله سبحانه على النبي ﷺ، وعلى المسلمين بعده، أفسمعت أن أحدًا منهم فعل مثل هذا؟

إذا جاءك مثل هذا مما قد كان في الناس، وجرى على أيديهم، لا يسمع عنهم فيه شيء، فعليك بذلك، فإنه لو كان لذكر، لأنه من أمر الناس الذي قد كان فيهم، فهل سمعت أن أحدًا منهم سجد، فهذا إجماع إذا جاءك أمر لا تعرفه، فدعه.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الصلاة، باب (٨٠٨) في سجدة الشكر (٢/ ٥٤٣)، رقم (٨٤٩٠) وعبد الرزاق في المصنف (٣/ ٣٥٨) رقم (٥٩٦٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٣٧١) وعزاه ابن القيم كما في زاد المعاد (١/ ٣٦٢) إلى سنن سعيد بن منصور، وإسناده ضعيف، في إسناده رجل لم يسم.

قال عنه ابن القاسم[١] في المجموعة: وقد فعله بعض أمراء بني أمية، ولم يكن معه فقه[٢].

قال الإمام أبو الوليد بن رشد رحمه الله[٣]: نَهْيُ مالك رحمه الله عن سجود الشكر في هذه الرواية، مثل ما له في المدونة من كراهة ذلك، والوجه في ذلك أنه لم يره مما شرع في الدين فرضًا ولا نفلًا، إذ لم يأمر بذلك النبي ﷺ، ولا فعله، ولا أجمع المسلمون على اختيار فعله.

والشرائع لا تثبت إلا من أحد هذه الوجوه، واستدلاله على أن رسول الله ﷺ لم يفعل ذلك، ولا المسلمون بعده، بأن ذلك لو كان لنقل صحيح، إذ لا يصح أن تتوفر دواعي المسلمين على ترك نقل شريعة من

(١) عبد الرحمن بن القاسم أبو عبد الله العتقي المصري صاحب الإمام مالك، قال النسائي: ما أحسن حديثه وأصحه عن مالك، ليس يختلف في كلمة، ولم يرو أحد الموطأ عن مالك أثبت من ابن القاسم، وليس أحد من أصحاب مالك عندي مثله، قيل له: فأشهب؟ قال: ولا أشهب ولا غيره، هو عجب من العجب، الفضل والزهد وصحة الرواية وحسن الدراية وحسن الحديث، حديثه يشهد له، قال ابن حارث: هو أفقه الناس بمذهب مالك، وقال أبو إسحاق الشيرازي: صحب مالك عشرين سنة، ولد سنة (١٣٢، وتوفي في صفر سنة ١٩١ هـ).
(ترتيب المدارك ٢ /٤٣٣، سير أعلام النبلاء ٩ / ١٢٠).

(٢) النوادر والزيادات (١/ ٥٢١)، في البيان والتحصيل(١/ ٣٩٢).

(٣) الإمام العلامة شيخ المالكية قاضي الجماعة بقرطبة أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي، قال ابن بشكوال: كان فقيهًا عالمًا حافظًا للفقه مقدمًا فيه على جميع أهل عصره، عارفًا بالفتوى، بصيرًا بأقوال أئمة المالكية، عاش سبعين سنة، ومات في ذي القعدة سنة (٥٢٠ هـ).
سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٠١، الصلة لابن بشكوال ٢/ ٥٧٦، الديباج المذهب ص٢٤٨

شرائع الدين وقد أمروا بالتبليغ، وهذا أيضًا من الأصول[1].

❋ ❋ ❋

كراهة الإمام مالك رحمه الله فعل أمر لم يكن عليه السلف

عن حميد بن الأسود أن رجلًا أتى الإمام مالك رحمه الله فقال: يا أبا عبد الله من أين أحرم؟

قال: من ذي الحليفة، من حيث أحرم رسول الله ﷺ.

قال: إني أريد أن أحرم من عند القبر، يعني مسجد رسول الله ﷺ.

قال: لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة.

قال: وأي فتنة في هذا؟! إنما هي أميال أزيدها؟

(١) البيان والتحصيل (١/ ٣٩٢).

قال القاضي عبد الوهاب في المعونة (٣/١٧٤٦): فصل: خبر الآحاد لعمل أهل المدينة:

إذا روي خبر من أخبار الآحاد في مقابلة عملهم المتصل، وجب اطِّراحه والمصير إلى عملهم، لأن هذا العمل طريقته طريق النقل المتواتر، فكان إذا أولى من أخبار الآحاد... وليس هذا القول بأنا لا نقبل الخبر حتى يصحبه العمل في شيء، لأنه لو ورد خبر في حادثة لا نقل لأهل المدينة فيه لقبلناه، وإذن كنا نطرحه إذا عاد برفع نص، وهذا مذهب السلف وأكابر التابعين، مثل سعيد بن المسيب إذ أنكر على ربيعة معارضته إياه في المعاقلة، وأبي الزناد، وأبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيرهم. انتهى

وللدكتور حسان بن محمد فلميات المدرس بكلية التربية، جامعة الملك عبد العزيز، بحث بعنوان: خبر الواحد إذا خالف عمل أهل المدينة. طبع في دار البحوث الإسلامية وإحياء التراث ـ دبي ـ ط١ ـ ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ، إني سمعت الله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور ٦٣](١).

روى علي بن يونس المدني قال: كنت جالسًا عند مالك، فإذا سفيان بن عيينة بالباب يستأذن، فقال مالك: رجل صاحب سنة أدخلوه، فدخل، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقال مالك: وعليكم السلام يا أبا محمد ورحمة الله وبركاته، فصافحه مالك، وقال: يا أبا محمد لولا أنها بدعة لعانقناك.

فقال سفيان بن عيينة: عانق خير منك ومنا النبي ﷺ.

قال مالك: جعفر؟

قال: نعم.

قال: ذلك حديث خاص يا أبا محمد، ليس بعام.

قال سفيان: ما يعم جعفر يعمنا إذا كنا صالحين، وما يخصه يخصنا، أفتأذن لي أن أحدث في مجلسك؟

قال: نعم يا أبا محمد.

---

(١) خرجه ابن بطة في الإبانة (القسم الأول ١/ ٢٦١ (٩٨)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٦) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (١/ ١٨٩) والخلال في الجامع (الباعث على إنكار البدع ٢١) وابن العربي في أحكام القرآن (٣/ ٤٣٢) وابن حزم في الإحكام ٦/ ٥٦، ٨/ ٣٥، والبيهقي في المدخل إلى السنن (٢٣٦) والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ١٤٦) والهروي في ذم الكلام (٤٦٣) لشاطبي في الاعتصام ٢/ ٥٢، والونشريشي في المعيار (١١/ ١١٦).

قال: حدثني عبد الله بن طاوس عن أبيه عن عبد الله بن عباس قال لما قدم جعفر بن أبي طالب من الحبشة اعتنقه النبي ﷺ وقبَّل بين عينيه، وقال: جعفر أشبه الناس بي خلقًا وخلقًا.

يا جعفر ما أعجب ما رأيت بأرض الحبشة؟

قال: يا رسول الله بينا أنا أمشي إذا سوداء على رأسها مكتل فيه بر، فصدمها رجل على دابته، فوقع مكتلها وانتشر برها، فأقبلت لتجمعه من التراب وهي تقول: ويل للظالم من ديان يوم القيامة، ويل للظالم من المظلوم يوم القيامة، ويل للظالم إذا وضع الكرسي للفصل يوم القيامة.

فقال النبي ﷺ: **لا يقدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها من قويّها حقه غير متعتع**[(١)].

ثم قال سفيان: قدمت لأصلِّي في مسجد النبي ﷺ وأبشرك برؤيا رأيتها.

قال مالك: قامت بشارتك، خير إن شاء الله.

---

(١) حديث (لا يقدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها من قويّها حقه غير متعتع) حديث صحيح، خرجه عثمان بن سعيد الدارمي في النقض على المريسي، وابن أبي شيبة وأبو يعلى والروياني (المطالب العالية ٣٣١٥) والبزار (مختصر الزوائد ١٢٤٩) وغيرهم من طريق سعيد بن سليمان عن منصور بن أبي الأسود عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: لما قدم جعفر من الحبشة، قال له النبي ﷺ: ما أعجب ما رأيت بالحبشة؟ فذكر نحوًا من حديث سفيان بن عيينة.
ورجاله ثقات، على اختلاط عطاء بن السائب. غير أن له شاهدًا من حديث الربيع ابن خثيم عن أبي الزبير عن جابر بنحوه، أخرجه ابن ماجة (٤٠١٠)، وأبو يعلى في المسند (٢٠٠٣)، قال البوصيري: إسناده حسن.، وصححه الألباني في التعليق على السنة لابن أبي عاصم (٥٨٢).

قال سفيان: رأيت كأن قبر النبي ﷺ انشق، فأقبل الناس يهرعون من كل جانب، والنبي ﷺ يرد بأحسن رد، قال سفيان: فأتي بك والله أعرفك في منامي كما أعرفك في يقظتي، فسلمت عليه، فرد عليك السلام، ثم رمى في حجرك بخاتم نزعه من أصبعه، فاتق الله فيما أعطاك، فبكى مالك بكاءً شديدًا.

قال سفيان: السلام عليكم.

قال: خارج الساعة؟

قال نعم، فودَّعه مالك وخرج(١).

قال أبو مصعب: قدم علينا ابن مهدي فصلَّى، ووضع رداءه بين يدي الصف، فلما سلم الإمام رمقه الناس بأبصارهم، ورمقوا مالكًا وكان قد صلَّى خلف الإمام، فلما سلم قال: من ههنا من الحرس، فجاء نفسان فقال: خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه، فحبس، فقيل له: إنه ابن مهدي، فوجه إليه وقال له: أما خفت الله واتقيته أن وضعت ثوبك بين يديك في الصف، وشغلت المصلين بالنظر إليه، وأحدثت في

---

(١) روى القصة ابن بطال في شرح صحيح البخاري (٩/ ٤٨) وابن عبد ربه في العقد الفريد (٢/ ٢٨٩) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٨/ ٣٦٥) والحافظ ابن حجر في لسان الميزان (٦/ ٤١) مسندًا من طريق سعيد بن إسحاق عن علي بن يونس المديني به، مقتصرًا على قوله ﷺ (جعفر أشبه الناس بي خلقًا وخلقًا) وليس فيه تمام القصة. قال الحافظ ابن حجر: وهذا السند من سفيان فصاعدًا على شرط الصحيح، لو كان الراوي عن سفيان موثوقًا به، فلهذا قال الذهبي: إن السند مظلم، يعني من دون ابن عيينة.
وأورد القصة ابن رشد في (البيان والتحصيل ١٧/ ٨٨ ـ ٨٩)، والمالكي، في (رياض النفوس ١/ ٢٩٢) من دون إسناد، وفي ذم الكلام للهروي نحو هذه الحادثة (٥/ ٩٣) رقم (٨٨٣).

مسجدنا شيئًا ما كنا نعرفه، وقد قال النبي ﷺ: **«من أحدث في مسجدنا حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»**.

فقال ابن مهدي: يا أبا عبد الله إنه كان يومًا حارًّا كما رأيت، فثقل ردائي عليّ.

فقال: آالله ما أردت بذاك الطعن على من مضى والخلاف عليهم؟!

فقال ابن مهدي: آلله.

فقال: خلِّياه[1].

فصل في كراهة الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ البدع كلها، وكل بدعة ضلالة، ولا بدعة حسنة في الدين

قال ابن رشد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمعلوم من مذهب مالك إنكار هذه المحدثات كلها[2].

وقال شهاب الدين القرافي[3]: اعلم أن الأصحاب فيما رأيت

(١) ترتيب المدارك (٢/ ٤٠).

(٢) البيان والتحصيل (١٧/ ١٢١).

(٣) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن يلين الصنهاجي البهنسي المصري: الإمام العلامة وحيد دهره وفريد عصره أحد الأعلام المشهورين انتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وجد في طلب العلوم فبلغ الغاية القصوى، فهو الإمام الحافظ والبحر اللافظ المفوه المنطيق والآخذ بأنواع الترصيع والتطبيق، دلت مصنفاته على غزارة فوائده وأعربت عن حسن مقاصده، جمع فأوعى وفاق أضرابه جنسًا ونوعًا. كان إمامًا بارعًا في الفقه والأصول والعلوم العقلية وله معرفة بالتفسير وتخرج به جمع من الفضلاء، توفي سنة (٦٨٤ هـ) (الديباج المذهب ص ٣٧).

متفقون على إنكار البدع، نص على ذلك ابن أبي زيد وغيره[١].

قال أشهب رحمه الله: **وقد كان مالك يكره كل بدعة وإن كانت في خير**[٢].

وكان الإمام مالك رحمه الله كثيرًا ما ينشد:

وخير أمور الدين ما كان سنةً وشرُّ الأمور المحدثات البدائعُ[٣]

وقال رحمه الله: لو أن العبد ارتكب الكبائر بعد أن لا يشرك بالله شيئًا ثم نجا من هذه الأهواء والبدع والتناول لأصحاب رسول الله ﷺ، أرجو أن يكون في أعلى درجة الفردوس، مع النبيّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وذلك أن كل كبيرة فيما بين العبد وبين الله ﷻ فهو منه على رجاء، وكل هوى ليس منه على رجاء، إنما يهوي بصاحبه في نار جهنَّم، من مات على السنة فليبشر، من مات على السنة فليبشر، من مات على السنة فليبشر[٤].

ووقف رضي الله عنه عند زمزم، فقال: أيها الناس! من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنا أعرِّفه بنفسي، فأنا مالك بن أنس، أنا النذير لكل من حجَّ هذا البيت وهو على بدعة، فلا يعني نفسه باطلًا[٥].

---

(١) الفروق(٤/ ١٥٧).

(٢) البدع والنهي عنها لابن وضاح القرطبي (ص ٩١).

(٣) الانتقاء لابن عبد البر (ص ٣٦)، الاعتصام للشاطبي (١/ ١١٥)، ترتيب المدارك(٢/ ٣٨)، نفح الطيب (٥/ ٣٠٧).

(٤) ذم الكلام للهروي (٥/ ٧٦) رقم (٨٦٥)، ترتيب المدارك (٢/ ٤٩).

(٥) أورده عثمان فودي في إحياء السنة (ص ٦١)، والزرويلي في رسالته في البدعة (ص٢٢١).

أخرج أبو الفضل المقري عن أشهب قال: سمعت مالك بن أنس يقول: إياكم والبدع، فقيل يا أبا عبد الله وما البدع؟

قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته، وكلامه، وعلمه، وقدرته، ولا يسكتون عمّا سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان(١).

وقال الحافظ أحمد بن يحيى بن أحمد الضبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢):

وقال أبو عمر في كتاب بيان العلم له: أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع، أشعريًا كان أو غير أشعري، ولا تقبل له شهادة في الإسلام، ويهجر ويؤدب على بدعته، فإن تمادى عليها استتيب منها(٣).

وقال القاضي إسماعيل المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): ظاهر القرآن يدل على أن

---

(١) ذم الكلام للهروي (٥/ ٧٠) رقم (٨٥٨)، المنتقى من ذم الكلام ص (٨٢).

(٢) أحمد بن يحيى أبو العباس الضبي الأندلسي. أخذ عن أبي عبد الله بن حميد وحج فأخذ عن أبي الطاهر بن عوف المالكي، وإسماعيل بن قاسم الزيات. ونسخ بخطه ما لا ينحصر. وحدث. وعاش بضعًا وأربعين سنة. سقط عليه حائط بمرسية فاستشهد في ربيع الآخر سنة ٥٥٩هـ (التكملة لكتاب الصلة ١/ ٢٤٢).

(٣) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص ١٥٧)، جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٢).

(٤) الإمام العلامة، الحافظ، شيخ الإسلام أبو إسحاق، إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن محدث البصرة حماد بن زيد بن درهم الأزدي، مولاهم البصري، المالكي، قاضي بغداد، وصاحب التصانيف.مولده سنة (١٩٩هـ)، واعتنى بالعلم من الصغر. تفقه به مالكية العراق.قال أبو بكر الخطيب: كان عالمًا متقنًا فقيهًا، شرح المذهب واحتج له، وصنف «المسند» وصنف علوم القرآن، وجمع حديث أيوب، وحديث مالك. ثم صنف «الموطأ»، وألف كتابا في الرد على =

كل من ابتدع في الدين بدعة من الخوارج وغيرهم، فهو داخل في هذه الآية[١].

وقال ابن بطال المالكي ﷺ[٢]: وقال أبو عبيد: البدع والأهواء كلها نوع واحد في الضلال كما قال ابن مسعود: كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[٣].

عن عبد الله بن عمر أنه قال: كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة[٤].

= محمد بن الحسن، يكون نحو مئتي جزء ولم يكمل.استوطن بغداد، وولي قضاءها إلى أن توفي. وتقدم حتى صار علمًا، ونشر مذهب مالك بالعراق. توفي (سنة ٢٨٢هـ).

(ترتيب المدارك ٤/ ٢٧٦، الديباج المذهب ١/ ٢٨٢، سير أعلام النبلاء ١٣ / ٣٣٩).

(١) الاعتصام للشاطبي (١/ ٨١).

(٢) الشيخ العلامة الفقيه أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك البكري القرطبي، قال ابن بشكوال: كان من أهل العلم والمعرفة والفهم، مليح الخط حسن الضبط، عني بالحديث العناية التامة، وأتقن ما قيد منه، واستقضي بلورقة، توفي في ليلة الأربعاء آخر يوم من صفر سنة (٤٤٩هـ) (ترتيب المدارك ٤/٨٢٧، سير أعلام النبلاء ١٨/٤٧).

(٣) شرح صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج، (٨/ ٥٨٨).

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح الاعتقاد (١/ ٩٢)، وابن بطة في الإبانة(١/١/٣٣٩، رقم ٢٠٥) والبيهقي في المدخل رقم (١٩١) من طرق عن شبابة بن سوار عن هشام ابن الغاز عن نافع عن ابن عمر به، وأخرجه محمد بن نصر في السنة رقم (٨٣) من طريق إسحاق أنبا وكيع عن هشام بن الغاز أنه سمع نافعًا يقول قال ابن عمر به.

وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات مشهورون، وقد ذكره أبو بكر الأثرم في رسالته إلى أهل الثغر كما في طبقات الحنابلة (١/ ٢٥). =

وقال حذيفة ﷺ: **كل عبادة لم يتعبدها أصحاب النبي ﷺ، فلا تتعبدوها، فإن الأول لم يدع للآخر مقالًا، فاتقوا الله يا معشر القرّاء وخذوا بطريق من كان قبلكم**(١).

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: إنما هما اثنتان؛ الهدى، والكلام، فأحسن الكلام كلام الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، ألا إياكم والمحرمات والبدع، فإن شرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة ضلالة، وفي رواية عنه: كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار(٢).

وكان معاذ بن جبل ﷺ يقول في كل مجلس يجلسه: الله تعالى حكم عدل مقسط تبارك اسمه، هلك المرتابون، إن من ورائكم فتنًا يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن، حتى يأخذه الرجل والمرأة، والحرّ والعبد، والصغير والكبير.

فيوشك الرجل أن يقرأ القرآن في ذلك الزمان، فيقول: قد قرأت القرآن، فما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن، ثم يقول: ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره، فإياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة.

اتقوا زيغة العالم، فإن الشيطان يلقي على في الحكيم كلمة الضلالة، ويلقي المنافق كلمة الحق.

= ورواه شيخ الإسلام أبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام (٢٧٦) من طريق علي بن سهل ثنا شبابة به مرفوعًا. وهذا الرفع خطأ، والله أعلم.

(١) الحوادث والبدع للطرطوشي ص ١٤٩)، الأمر بالإتّباع للسيوطي (ص ٦٢).

(٢) خرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٠٧٦) ومن طريقه الطبراني في الكبير (٩/ ٩٨ ـ ٨٥١٨)، وخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢٥) وابن بطة في الإبانة (١٩٨).

قيل: وما يدرينا رحمك الله أن المنافق يلقي كلمة الحق، وأن الشيطان يلقي على في الحكيم كلمة الضلالة؟

قال: اجتنبوا من كلمة الحكيم كل متشابه، الذي إذا سمعته قلت: ما هذه؟ ولا يثنيك ذلك عنه، فإنه لعله أن يراجع، وتلقى الحق إذا سمعته، فإن على الحق نورًا[١].

عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: جلست إلى شيبة بن عثمان في المسجد الحرام، فقال لي: جلس إليّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه مجلسك هذا، فقال: لقد هممت أن لا أترك فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها يعني الكعبة.

قال شيبة فقلت: إنه كان لك صاحبان فلم يفعلاه؛ رسول الله ﷺ، وأبو بكر رضي الله عنه، فقال عمر: هما المرءان اقتدي بهما، أخرجه البخاري في الصحيح[٢].

وروى طاوس أن حفصة وابن مطيع وعبد الله بن عمر كلموا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا: لو أكلت طعامًا طيبًا كان أقوى لك على الحق؟

قال: أكلكم على هذا الرأي؟

قالوا: نعم

قال: قد علمت أنه ليس منكم إلا ناصح، ولكن تركت صاحبي

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (١/ ١٧٣).

(٢) كتاب الحج، باب (٤٨) باب كسوة الكعبة (رقم ١٥٩٤).

على جادة فإن تركت جادتهما لم أدركهما في المنزل، قال: وأصاب الناس سنة فما أكل عامئذ سمنًا ولا سمينًا حتى أحيا الناس[1].

* * *

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(٩/ ٤٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق(٤٤/ ٢٩١).

فصل: سد الإمام مالك رحمه الله أبواب البدع ونهيه عن أشياء من المباحات خشية أن تتخذ سنة

قال أشهب رحمه الله: ولقد كان مالك رحمه الله يكره المجيء إلى بيت المقدس خيفة أن يتخذ ذلك سنة، وكان يكره مجيء قبور الشهداء، ويكره مجيء قباء خوفًا من ذلك، وقد جاءت الآثار عن النبي ﷺ بالرغبة في ذلك، ولكن لما خاف العلماء عاقبة ذلك تركوه[١].

قال محمد بن مسلمة[٢]: ولا يؤتى شيء من المساجد يعتقد فيه الفضل بعد الثلاثة مساجد إلا مسجد قباء، ويكره أن يعمد له يومًا بعينه يؤتى فيه، خوفًا من البدعة، وأن يطول بالناس الزمان فيجعل ذلك عيدًا يعتمد، أو فريضة تؤخذ، ولا بأس أن يؤتى في كل حين ما لم تجئ فيه بدعة[٣].

ذكر الإمام أبو بكر الطرطوشي المالكي رحمه الله[٤] جملة من بدع

(١) البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص ٩١).

(٢) محمد بن مسلمة أبو هشام المخزومي المدني نزيل دمشق، الفقيه النسابة روى عن مالك بن أنس وتفقه به، روى عنه أبو حاتم وهارون بن عبد الله الحمال وأبو زرعة الدمشقي وغيرهم، قال الشيرازي: جمع العلم والورع، وقال أبو حاتم: أحد فقهاء المدينة من أصحاب مالك وكان من أفقههم.
ترتيب المدارك (٣/ ١٣١)، الديباج المذهب (٢/ ١٥٦).

(٣) الحوادث والبدع (ص ١٠٨).

(٤) الإمام العلامة القدوة الزاهد شيخ المالكية أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان الفهري الأندلسي الطرطوشي، قال ابن بشكوال: كان إمامًا عالمًا، =

....

= عاملًا زاهدًا، ورعًا دينًا متواضعًا، متقشفًا متقللًا من الدنيا، راضيًا منها باليسير، توفي سنة (٥٢٠هـ).

قال الذهبي: أنبأنا ابن علان عن الخشوعي عن الطرطوشي، أنه كتب هذه الرسالة جوابًا عن سائل سأله من الأندلس، عن حقيقة أمر أبي حامد الغزالي، مؤلف «الإحياء»، فكتب إلى عبدالله بن مظفر: سلام عليك، فإني رأيت أبا حامد، وكلمته، فوجدته امرءًا وافر الفهم والعقل، وممارسة للعلوم، وكان ذلك معظم زمانه، ثم خالف عن طريق العلماء، ودخل في غمار العمال،ثم تصوف، فهجر العلوم وأهلها، ودخل في علوم الخواطر، وأرباب القلوب، ووساوس الشيطان، ثم سابها، وجعل يطعن على الفقهاء بمذاهب الفلاسفة، ورموز الحلاج، وجعل ينتحي عن الفقهاء والمتكلمين، ولقد كاد أن ينسلخ من الدين.

قال الحافظ أبو محمد: إن محمد بن الوليد هذا ذكر في غير هذه الرسالة كتاب «الإحياء». قال: وهو ـ لعمرو الله ـ أشبه بإماتة علوم الدين، ثم رجعنا إلى تمام الرسالة.

قال فلما عمل كتابه «الاحياء»، عمد فتكلم في علوم الأحوال، ومرامز الصوفية، وكان غير أنيس بها، ولا خبير بمعرفتها، فسقط على أم رأسه، فلا في علماء المسلمين قر، ولا في أحوال الزاهدين استقر، ثم شحن كتابه بالكذب على رسول الله ﷺ، فلا أعلم كتابًا على وجه بسيط الأرض أكثر كذبًا على الرسول منه، ثم شبكه بمذاهب الفلاسفة، ورموز الحلاج، ومعاني رسائل إخوان الصفا، وهم يرون النبوة اكتسابًا، فليس النبي عندهم أكثر من شخص فاضل، تخلق بمحاسن الأخلاق، وجانب سفسافها، وساس نفسه حتى لا تغلبه شهوة، ثم ساق الخلق بتلك الأخلاق، وأنكروا أن يكون الله يبعث إلى الخلق رسولًا، وزعموا أن المعجزات حيل ومخاريق، ولقد شرف الله الإسلام، وأوضح حججه، وقطع العذر بالأدلة، وما مثل من نصر الإسلام بمذاهب الفلاسفة، والآراء المنطقية، إلا كمن يغسل الثوب بالبول، ثم يسوق الكلام سوقًا يرعد فيه ويبرق، ويمني ويشوق، حتى إذا تشوفت له النفوس، قال: هذا من علم المعاملة، وما وراءه من علم المكاشفة لا يجوز تسطيره في الكتب، ويقول: هذا من سر الصدر الذي نهينا عن إفشائه، =

الأذكار والأدعية ثم قال: اعلم أن الحرف الذي يدور عليه هذا المذهب إنما هو حماية الذرائع، وألا يزاد عليه في الفروض ولا في السنن المسننة، وألا يعتقد أيضًا في النوافل المبتدأة أنها سنن مؤقتة[١].

= وهذا فعل الباطنية وأهل الدغل والدخل في الدين يستقل الموجود ويعلق النفوس بالمفقود، وهو تشويش لعقائد القلوب، وتوهين لما عليه كلمة الجماعة، فلئن كان الرجل يعتقد ما سطره، لم يبعد تكفيره، وإن كان لا يعتقده، فما أقرب تضليله.

وأما ما ذكرت من إحراق الكتاب، فلعمري إذا انتشر بين من لا معرفة له بسمومه القاتلة، خيف عليهم أن يعتقدوا إذًا صحة ما فيه، فكان تحريقه في معنى ما حرقته الصحابة من صحف المصاحف التي تخالف المصحف العثماني،،، ثم قال: وإني لعلى عزم أن أنفرد له فأستخرج جميع هفواته وأوضح سقطاته وأبيّنها حرفًا حرفًا، وفي دونه من الكتب غنية وكفاية لإخواننا المسلمين وطبقات الصالحين، ومعظم من وقع في عشق هذا الكتاب رجال صالحون لا معرفة لهم بما يلزم العقل وأصول الديانات ولا يفهمون الإلهيات، ولا يعلمون حقائق الصفيات، ولا يخبرون شياطين الإنس الذين انتدبوا للطعن في الدين وتوهين عمود الإسلام وتعطيل الصانع وإفساد المعجزات، فمن لم يكن عنده تمييز لهذه الأبواب من الذب عن دين الله تعالى ونصرة شريعته لم ينبغ له أن يقفو ما ليس له به علم، يمدح على غير علم، ويذم على غير علم والسلام.

وذكر نحوًا من هذه الرسالة لسان الدين الخطيب في (الإحاطة في أخبار غرناطة ١/ ٤٣٧) وزاد على قوله قول ابن رشد فقد نقل عنه قوله: فقال: وأما أبو حامد، فإنه طم الوداي على القرى، ولم يلتزم طريقة في كتبه، فنراه مع الأشعرية أشعريًا، ومع المعتزلة، معتزليًا، ومع الفلاسفة فيلسوفًا، ومع الصوفية، صوفيًا، حتى كأني به:

يوما يمان إذا لاقيت ذا يمن... وإن لقيت معديًا فعدنان

ثم قال: والذي يجب على أهل العلم أن ينهوا الجمهور عن كتبه، فإن الضرر فيها بالذات، والمنفعة بالعرض.

الديباج المذهب (١/ ١٤٤)، الصلة (١/ ١٨٦)، الإحاطة في أخبار غرناطة (١/ ٤٣٧)، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٩٠)، المعيار المعرب (١٢/ ١٨٦).

(١) الحوادث والبدع للطرطوشي (ص٦٦).

وسئل الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ عن المغازي أترى أن تكتب؟

فأنكر ذلك، وقال: ما أدركت الناس يكتبونها.

فقيل له: من الناس أهل الفقه؟

قال: نعم، ولا أرى أن تكتب، ولا أحب أن أكتبها، ولا أبتدع ذلك، وما وجدت الناس أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين، القاسم وسعيد وسالم يكتبونها، ولقد أدركت شيخًا كبيرًا قد زاد على المائة خمس سنين، ما يقبل منه حديثه ويعاب ذلك على من يقبله ويجرح[(١)].

* * *

---

(١) البيان والتحصيل لابن رشد (١٧/ ٣٢).

فصل في تغير الزمان وذهاب السنن وانتشار البدع

قال الإمام مالك رحمه الله: دخلت يومًا على ابن هرمز، فذكر شرائع الإسلام وما انتقص منه، وما يخاف من ضيعته، وإن دموعه لتسيل على لحيته[١].

وقال: وأخبرني من دخل على ربيعة[٢] فوجده يبكي، فقال: ما يبكيك؟ أدخلت عليك مصيبة؟!! قال: لا، ولكن استفتي من لا علم عنده، وظهر في الإسلام أمر عظيم![٣].

قال دراج أبو السمح: يأتي على الناس زمان يسمن الرجل راحلته حتى تعقد شحمًا، ثم يسير عليها في الأمصار حتى تعود نقصًا، يلتمس من يفتيه بسنة قد عمل بها فلا يجد من يفتيه إلا بالظن.

قال ابن وضاح[٤] سنة إحدى وثمانين ومائتين: سمعت سحنونًا

---

(١) الحوادث والبدع للطرطوشي (ص ١٤٥).

(٢) ربيعة بن أبي عبدالرحمن فروخ الإمام مفتي المدينة، وعالم الوقت أبو عبد الرحمن القرشي التيمي المشهور بربيعة الرأي، وكان من أئمة الاجتهاد. تفقه عليه مالك بن أنس، قال يعقوب بن شيبة: ثقة ثبت، أحد مفتي المدينة.، وقال أحمد بن عبدالله العجلي في تاريخه: حدثني أبي قال: قال ربيعة: وسئل كيف استوى؟ فقال: الكيف غير معقول، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق، توفي سنة (١٣٦ هـ) سير أعلام النبلاء (٦/ ٨٩).

(٣) الحوادث والبدع للطرطوشي (ص ١٤٥).

(٤) الإمام الحافظ محدث الأندلس أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع المرواني مولى صاحب الأندلس عبدالرحمن بن معاوية الداخل. ولد سنة تسع وتسعين ومئة. =

يقول منذ خمسين سنة ـ في الحديث الذي جاء «يسمن الرجل راحلته حتى تعقد شحمًا» ـ قال سحنون ﷺ: إني أظن أنا في ذلك الزمان، فطلبت أهل السنة في ذلك فكانوا كالكوكب المضيء في ليلة مظلمة.

قال ابن وضاح: فإذا طلبت الشيء الخالص ليس تجده، وإذا كان مختلطًا فهو الكامل.

قال محمد بن وضاح: كتاب الله قد بدل، وسنة رسول الله ﷺ قد غيرت، ودماء قد سفكت، وكرائم قد سبيت، وحدود قد عطلت، وترأّس أهل الباطل، وتكلَّم في الدين من ليس من أهل الدين، وخاف البريء، وأمن النطيف، وحكم في أمر المسلمين وسود فيهم من هو مسخوط فيهم[1].



= سمع: يحيى بن معين وقيل: إنه ارتحل قبل ذلك في حياة آدم بن أبي إياس فلم يسمع شيئًا، وقد ارتحل إلى العراق والشام ومصر، وجمع فأوعى، روى عنه خلق كثير، قال ابن حزم: كان يواصل أربعة أيام. وقال ابن الفرضي: كان عالمًا بالحديث، بصيرًا بطرقه وعلله، كثير الحكاية عن العباد، ورعًا، زاهدًا، صبورًا على نشر العلم، متعففًا، نفع الله أهل الأندلس به، وكان ابن الحباب يعظمه، ويصف عقله وفضله، ولا يقدم عليه أحدًا، غير أنه ينكر رده لكثير من الحديث.قال ابن الفرضي: كان كثيرًا ما يقول: ليس هذا من كلام النبي ﷺ في شئ، ويكون ثابتًا من كلامه. قال: وله خطأ كثير محفوظ عنه، ويغلط ويصحف، ولا علم له بالعربية، ولا بالفقه. توفي في المحرم (سنة ٢٨٧).

(ترتيب المدارك ٤/ ٤٣٥، الديباج المذهب (٢/ ١٧٩، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٤٥).

(١) البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص ٥٤).

فصل في ذم الإمام مالك رحمه الله علم الكلام المحدث

قال الإمام مالك رحمه الله: لو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل(١).

وقال رحمه الله: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب(٢).

وقال رحمه الله: إن أهل بلدنا يكرهون الجدال والكلام والبحث والنظر إلا فيما تحته عمل، وأما ما سبيله الإيمان به واعتقاده والتسليم له فلا يرون فيه جدالًا ولا مناظرة(٣).

قال أبو طالب المكي رحمه الله: كان مالك أبعد الناس من مذاهب المتكلمين، وألزمهم لسنة السالفين من الصحابة والتابعين(٤).

قال الإمام أبوعمر بن عبد البر رحمه الله: أجمع أهل الفقه والآثار في جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ، ولا يعدون عند الجميع في طبقات العلماء، وإنما العلماء أهر الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه في الاتفاق والميز والفهم(٥).

---

(١) شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٧).
(٢) ذم الكلام وأهله للهروي (٥/ ٧١).
(٣) خرجه ابن عبد البر في الاستذكار (٨/ ١١٨).
(٤) ترتيب المدارك (٢/ ٣٩).
(٥) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٢).

وقال رحمه الله: والذي قاله مالك عليه جماعة الفقهاء والعلماء قديمًا وحديثًا من أهل الحديث والفتوى، وإنما خالف ذلك أهل البدع المعتزلة وسائر الفرق، وأما الجماعة على ما قال مالك، إلا أن يضطر أحد إلى الكلام فلا يسعه السكوت إذا طمع بردّ الباطل وصرف صاحبه عن مذهبه، أو خشي ضلال عامة أو نحو هذا[١].

قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم رحمه الله[٢]: قال لي الشافعي: يا محمد إن سألك رجل عن شيء من الكلام فلا تجبه، فإنه إن سألك عن دية، فقلت: درهمًا أو دانقًا، قال لك: أخطأت، وإن سألك عن شيء من الكلام فزللت قال لك: كفرت[٣].

قال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يوم ناظر حفص الفرد قال لي: يا أبا موسى! لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الكلام، لقد سمعت من حفص كلامًا لا أقدر أن أحكيه.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٣٨

(٢) محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أبو عبد الله الإمام شيخ الإسلام، سمع من أبيه وابن وهب وأشهب وابن القاسم، قال ابن حارث: كان من العلماء الفقهاء مبرزًا من أهل النظر والمناظرة والحجة فيما يتكلم فيه ويتقلده من مذهبه، وإليه كانت الرحلة من المغرب في العلم والفقه من الأندلس. قال أبو عمر بن عبد البر: كان فقيهًا نبيلًا جليلًا، وجيهًا في زمانه. قال الشيرازي: إليه انتهت الرياسة بمصر. قال ابن أبي دليم: كان فقيه مصر في عصره على مذهب مالك، وصحب الشافعي، فرسخ في مذهبه. وربما تخير قوله عند ظهور الحجة له. وكانت له مناظرة في الفقه. قال الكندي: كان أفقه أهل زمانه، وإليه انتهت الفتيا بمصر، وناظره ابن ملول صاحب سحنون، فقال: صاحبكم أعلم من سحنون.
(سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٩٧، ترتيب المدارك ٣/ ٢٦٤).

(٣) ذم الكلام للهروي (٦/ ٧٨).

وقال يونس رحمه الله: ذكر لي الشافعي كثيرًا مما جرى بينه وبين حفص الفرد يوم كلَّمه، ثم قال لي: اعلم أني اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط، ولأن يبتلى المرء بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام.

وقال أبو ثور: سمعت الشافعي يقول: ما أحد ارتدى بالكلام فأفلح.

وقال إسماعيل بن يحيى: كان الشافعي مذهبه الكراهية في الخوض في الكلام.

قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: لو علم الناس ما في الكلام في الأهواء لفرّوا منه كما يفرّ من الأسد.

قال المزني: كنت أنظر في الكلام قبل أن يقدم الشافعي، فلما قدم الشافعي أتيته، فسألته عن مسألة في الكلام، فقال لي: تدري أين أنت؟!

قال: قلت نعم، أنا في المسجد الجامع بالفسطاط.

فقال لي أنت في تاران!![1]

قال: ثم ألقى علي مسألة في الفقه، فأجبت فيها، فأدخل شيئًا أفسد جوابي، فأجبت بغير ذلك، فأدخل شيئًا أفسد جوابي، فجعلت كلما أجبت بشيء أفسده، قال: ثم قال لي: هذا الفقه الذي فيه الكتاب والسنة، وأقاويل الناس، يدخله مثل هذا، فكيف الكلام في رب العالمين الذي الزلل فيه كفر، فتركت الكلام وأقبلت على الفقه.

---

(١) قال أبو القاسم: الراوي عن المزني: وتاران موضع في بحر القلزم، لا يكاد تسلم منه سفينة.

وقال الزعفراني: سمعت الشافعي يقول: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يفلح صاحب كلام أبدًا، ولا تكاد ترى أحدًا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل[(١)].

وقال القاضي أبو الوليد بن رشد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فمن الحق الواجب على من ولاه أمر المسلمين أن ينهى العامة والمبتدئين عن قراءة مذاهب المتكلمين من الأشعريين، ويمنعهم من ذلك غاية المنع مخافة أن تنبو أفهامهم عن فهمها فيضلّوا بقراءتها، ويأمرهم أن يقتصروا فيما يلزمهم اعتقاده على الاستدلال الذي نطق به القرآن، ونبه الله عباده في محكم التنزيل، إذ هو بين واضح لائح يدرك ببديهة العقل بأيسر تأمل في الحين، فيبادروا بعد إلى تعلم ما يلزمهم من التفقه فيه من أحكام الوضوء والصلاة والزكاة والصيام وسائر الشرائع والأحكام ومعرفة الحلال في المكاسب من الحرام[(٢)].

قال البرزلي: ما ذكره ـ يعني ابن رشد ـ من هذه الطائفة حمل بعضهم ذلك على قول الإمام أبي المعالي في الإرشاد: أول ما يجب على العاقل البالغ باستكماله من البلوغ أو الحكم شرعًا القصد إلى النظر المفضي إلى العلم بحدوث العالم... ثم ذكر نحوه عن الباقلاني...

---

(١) كل هذه الآثار المروية عن الشافعي وأحمد بن حنبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا صحاح خرجها ابن عبد البر في الجامع في بيان العلم وفضله (٢/ ٩٣٩)، والهروي في ذم الكلام وأهله (٦/ ٥٢).

(٢) فتاوى ابن رشد (٢/ ٩٦٦).

ثم قال: قال المازري[(١)]: أردت اتباعه ـ يعني اتباع هذه الطريقة ـ فرأيت في نومي كأني أخوض بحرًا من ظلام، فقلت هذه والله قولة الباقلاني[(٢)].

وقال الشافعي: لو أن رجلًا أوصى بكتبه من العلم لآخر، وكان فيها كتب الكلام، لم تدخل في الوصية، لأنه ليس من العلم[(٣)].

وقال أبو بكر بن خويز منداد المالكي رحمه الله[(٤)]: كتب الكلام لا

---

(١) الشيخ الإمام العلامة البحر المتفنن، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر المازري المالكي، مصنف كتاب «المعلم بفوائد شرح مسلم» ومصنف كتاب «إيضاح المحصول في الأصول، وله تواليف في الأدب، وكان أحد الأذكياء الموصوفين والأئمة المتبحرين، وله شرح كتاب «التلقين» لعبد الوهاب في عشرة أسفار، هو من أنفس الكتب. مولده بمدينة المهدية من إفريقية، وبها مات في ربيع الأول (سنة ٥٣٦هـ).

(سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٠٤، الديباج المذهب ٢/ ٢٥٠ ـ ٢٥٢).

(٢) نوازل البرزلي ٦/ ٢١٣

(٣) أخرجه ابن عبد البر في الجامع في بيان العلم وفضله (٢/ ٩٣٩)، والهروي في ذم الكلام وأهله (٦/ ٥٢

(٤) محمد بن أحمد بن عبد الله الفقيه أبو بكر بن خويزمنداد المالكي صاحب أبي بكر الأبهري قال في شجرة النور الزكية: الإمام العالم المتكلم الفقيه الأصولي. من كبار المالكية العراقيين، صنف كتابًا كبيرًا في الخلاف وآخر في أصول الفقه، وكتاب أحكام القرآن، ينقل عنه من كتبه أكثر من جاء بعده من المالكية كابن عبد البر والقرطبي وابن العربي، وكان لا يرى التقليد، نقل عنه ابن عبد البر قوله: التقليد معناه في الشرع الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه، وهذا ممنوع منه في الشريعة، والاتباع ما ثبت عليه حجة» وقال في موضع آخر من كتابه: «كل من اتبعت قوله من غير أن يجب عليك قبوله لدليل يوجب ذلك فأنت مقلده، والتقليد في دين الله غير صحيح وكل من أوجب عليك الدليل اتباع قوله فأنت متبعه والاتباع في الدين مسوغ والتقليد ممنوع»، ولأجل هذا قال الشيرازي عنه: وله اختيارات وتأويلات =

يجوز تملكها، والإجارة فيها باطلة، ومتى وجدت وجب إتلافها بالغسل والحرق، ومثله كتب الأغاني واللّهو... قال: وكتب الكلام فيها الضلال والبدع والإلحاد في أسماء الله تعالى وصفاته، والكفر بتأويل القرآن وتحريفه عن مواضعه، فلا يجوز بقاؤها في ديار المسلمين لئلا تضل الجاهل.

فإن قيل: بعضها حق، لأنكم لا بد لاصقون ببعض أقسام الكلام!

فجوابه: إن هذا خطأ علينا لأنا لا ننتسب للكلام ولا لأهله، ونحن منهم براء، ولو تشاغل سني بالكلام لكان مبتدعًا، والسني هو المنتسب للسلف الصالح، وكلهم زجروا عن الخوض في مثل هذا. والخائضون في مثل هذا هم من سائر أهل البدع، ويكفي الخروج إلى البدعة مسألة واحدة يلحد فيها، فكيف وقد وقروا ظهورهم وأوبقوا نفوسهم[1].

سئل إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة ﷺ عن الكلام في الأسماء والصفات؟

= على المذهب خالف فيها المذهب في الفقه والأصول.

وكانت بينه وبين الباجي أبي الوليد نفرة، فقد قال عنه أبو الوليد إنه مجهول، وقال إن أحدًا من أئمتنا البغداديين لم يذكره. وقد رد هذا القاضي عياض فقال في مقدمة ترتيب المدارك(١/ ٢١): وكذلك ذكر ـ يعني الباجي ـ في ابن خويز منداد وهو في شهرته وكثرة تصانيفه بحيث لا ينكر أنه مجهول، وقال إن أحدًا من أئمتنا البغداديين لم يذكره، قال عياض: وهذا الشيرازي قد ذكره في كتابه وهذا أبومحمد عبد الوهاب يحكي عنه، ويقول فيه: وقال أبو عبد الله المصري.

ترتيب المدارك ٧/ ٧٧، تاريخ الإسلام للذهبي (وفيات ٣٩٠) ص ٢١٧، لسان الميزان ٧/ ٣٥٩، شجرة النور الزكية ص ١٠٣

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٢)، نوازل البرزلي ٦/ ٢١٤

فقال: بدعة ابتدعوها، ولم تكن أئمة المسلمين من الصحابة والتابعين، وأئمة الدين أرباب المذاهب مثل مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والشافعي، وأبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد بن الحسن، وأحمد بن حنبل، وإسحاق الحنظلي، ويحيى بن يحيى، وعبد الله بن المبارك، ومحمد بن يحيى، يتكلمون في ذلك، بل ينهون عن الخوض فيه، ويدلون أصحابهم على الكتاب والسنة، فإياك والخوض فيه، والنظر في كتبهم بحال، يعني المتكلمين، والله أسأل أن يعيذنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن[١].

وقال عبد الواحد بن علي المراكشي[٢] ـ يصف المغرب العربي أيام دولة المرابطين ـ : ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام، وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام، وكراهة السلف له، وهجرهم من ظهر عليه شيء منه، وأنه بدعة في الدين، وربما يرجع أكثره إلى اختلال في العقائد في أشباه لهذه الأقوال، حتى استحكم في نفسه ـ يعني الأمير ـ بغض علم الكلام وأهله، فكان يكتب عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه، وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه[٣].

وسأل أبو محمد بن أبي زيد أبا عمر أحمد بن محمد بن سعدي

---

(١) اعتقاد الإمام الشافعي لأبي الحسن الهكاري (ت ٤٨٦هـ) ص ٢٩

(٢) عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي ولد بمراكش، وتعلم بفاس والأندلس، ورحل إلى مصر سنة (٦١٣ هـ) وحج سنة (٦٢٠ هـ) وتجول في بعض بلدان المشرق، وأملى كتابه «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» إجابة لطلب وزير من خاصة الناصر العباسي، سنة ٦٢١هـ الأعلام للزركلي (٤/ ١٧٦).

(٣) المعجب (ص ٢٣٦).

المالكي رحمة الله عليهم[١] عليهم عند وصوله إلى القيروان من ديار المشرق، وقد كان أبو عمر دخل بغداد في حياة أبي بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأبهري ﷺ، فقال له يومًا: حضرت مجالس أهل الكلام؟

قال: بلى حضرتهم مرتين، ثم تركت مجالستهم، ولم أعد إليها.

فقال له أبو محمد: ولم؟

فقال: أما أول مجلس حضرته، فرأيت مجلسًا قد جمع الفرق كلّها المسلمين من أهل السنة والبدعة، والكفار من المجوس والدهرية والزنادقة واليهود والنصارى، وسائر أجناس الكفر، ولكل فرقة رئيس يتكلم على مذهبه ويجادل عنه.

فإذا جاء رئيس من أي فرقة كان، قامت الجماعة إليه قيامًا على أقدامهم حتى يجلس فيجلسون بجلوسه، فإذا غص المجلس بأهله، ورأوا أنه لم يبق أحد ينتظرونه، قال قائل من الكفار:

قد اجتمعتم للمناظرة فلا يحتج علينا المسلمون بكتابهم ولا بقول نبيِّهم، فإنا لا نصدق بذلك، ولا نقرّ به، وإنما نناظر بحجج العقل، وما يحتمله النظر والقياس، فيقولون نعم، لكم ذلك.

---

(١) أحمد بن محمد بن سعدي أبو عمر، فقيه فاضل محدث، رحل قبل الأربعمائة، فلقي أبا محمد بن أبي زيد بالقيروان، وأبا بكر محمد بن عبد الله الأبهري بالعراق وغيرهما، ورجع إلى الأندلس وحدث، قال الحميدي: وبقي أبو عمر بن سعدي بعد الأربعمائة، وقد رأيت سماعه في بعض كتب المصريين من أبي محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن النحاس المصري سنة تسع وأربعمائة بخط أبي محمد بن النحاس، فدل على أنه عاد إلى مصر بعد تلك الرحلة القديمة أيام الفتن الكائنة بالمغرب.
بغية الملتمس (ص ١٥٥)، جذوة المقتبس (ص ١٠١)، توضيح المشتبه (٥/ ٩٩).

قال أبو عمر: فلما سمعت ذلك، لم أعد إلى ذلك المجلس، ثم قيل لي: مجلس آخر للكلام، فذهبت إليه فوجدتهم على مثل سيرة أصحابهم سواء، فقطعت مجالس الكلام ولم أعد إليها.

قال ابن أبي زيد: ورضي المسلمون بهذا من الفعل والقول!؟

قال أبو عمر: هذا الذي شاهدت منهم.

فجعل أبو محمد يتعجب من ذلك، وقال: ذهب العلماء وذهبت حرمة الإسلام وحقوقه، وكيف يبيح المسلمون المناظرة بين المسلمين وبين الكفار، وهذا لا يجوز أن يفعل لأهل البدع الذين هم مسلمون، ويقتدون بالنبي ﷺ، وإنما يدعى من كان على بدعة من منتحلي الإسلام إلى الرجوع إلى السنة والجماعة، فإن رجع قبل منه وإن أبى ضربت عنقه.

وأما الكفار فإنما يدعون إلى الإسلام، فإن قبلوا كف عنهم، وإن أبوا وبذلوا الجزية في موضع يجوز قبولها كف عنهم وقبل منهم، وأما أن يناظروا على أن لا نحتج عليهم بكتابنا ولا بنبينا فهذا لا يجوز، إنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم قال أبو محمد: بنو أمية لم يكن فيهم قط خليفة ابتدع في الإسلام بدعة، وكان أكثر عمالهم وأصحابهم ولايتهم العرب، فلما زالت الخلافة عنهم بالمشرق ودارت إلى بني العباس قامت دولتهم بالعجم، وكانت الرئاسة فيهم وفي قلوب أكثر الرؤساء منهم الكفر والبغض للعرب ودولة الإسلام، فأحدثوا في الإسلام الحوادث التي تؤذن بهلاك الإسلام، ولولا الله تعالى وعد نبيه ﷺ أن ملته وأهلها هم الظاهرون إلى يوم القيامة لأبطلوا الإسلام، ولكنهم ثلموه وهدموا أركانه، والله منجز وعده إن شاء الله تعالى.

فأول الحوادث التي أحدثوها إخراج كتب اليونانية إلى أرض الإسلام، وترجمت بالعربية، وشاعت على أيدي المسلمين.

وسبب خروجها من أرض الروم إلى بلد الإسلام يحيى بن خالد بن برمك(١)، وذلك أن كتب اليونانية كانت ببلد الروم، وكان ملك الروم خاف على الروم إن نظروا في كتب اليونانية تركوا دين النصرانية، ويرجعون إلى اليونانية فتتشتت كلمتهم وتتفرق جماعتهم.

فجمع الكتب في موضع وبنى عليها بناءً مطمسًا بالحجارة والجص حتى لا يوصل إليها، فلما أفضت رئاسة دولة بني العباس إلى يحيى بن خالد، وكان زنديقًا، بلغه خبر الكتب التي في المبنى ببلد الروم، فصانع ملك الروم الذي كان في وقته بالهدايا، ولا يلتمس منه حاجة، فلما أكثر عليه جمع الملك بطارقته، وقال لهم: إن هذا الرجل خادم العربي قد أكثر علي من هداياه، ولا يطلبني حاجة وما أراه يلتمس إلا حاجة، وأخاف أن تكون حاجة تشق علي، وقد شغل بالي.

فلما جاءه رسول يحيى، قال له: قل لصاحبك إن كانت له حاجة فليذكرها، فلما أخبر الرسول يحيى رده إليه، وقال له حاجتي الكتب التي

---

(١) يحيى بن خالد بن برمك الوزير الكبيرأبو علي الفارسي، قال الذهبي: من رجال الدهر حزمًا ورأيًا وسياسةً وعقلًا، وحذقًا بالتصرف، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليرّبيه ويثقّفه ويعرّفه الأمور، فلما استخلف رفع قدره ونوّه باسمه وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة وصير أولاده ملوكًا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه وذهبت دولة البرامكة، قيل: إن أولاد يحيى قالوا له وهم في القيود مسجونين: يا أبة! صرنا بعد العز إلى هذا! قال: يا بني دعوة مظلوم غفلنا عنها، لم يغفل الله عنها.

(سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٣٢).

تحت البناء يرسلها إليّ، أخرج فيها بعض ما أحتاج وأردها إليه، فلما قرأ الرومي كتابه استطار فرحًا، وجمع البطارقة والأساقفة والرهبان، وقال لهم: قد كنت ذكرت لكم عن خادم العربي أنه لا يخلو من حاجة، وقد أفصح بحاجته، وهي أخف الحوائج عليّ، وقد رأيت رأيًا فاسمعوه، فإن رضيتموه أمضيه، وإن رأيتم خلافه تشاورنا في ذلك حتى تتفق كلمتنا، فقالوا: وما هو؟

قال: حاجته الكتب اليونانية يستخرج منها ما أحب ويردّها.

قالوا: فما رأيك؟

قال: قد علمت أنه ما بنى عليها من كان قبلنا إلا أنه خاف إن وقعت في أيدي النصارى وقرؤوها كان سببًا لهلاك دينهم وتبديل جماعتهم، وأنا أرى أن أبعث بها إليه وأسأله أن لا يردها، يبتلون بها ونسلم من شرِّها، فإني لا آمن أن يكون من بعدي من يجترئ على إخراجها إلى الناس، فيقعوا فيما خيف عليهم.

فقالوا: نعم الرأي ما رأيت أيها الملك، فأمضه فبعث بالكتب إلى يحيى بن خالد، فلما وصلت إليه جمع عليها كل زنديق وفيلسوف، فمما أخرج منها كتاب حد المنطق.

قال أبو محمد: وقل من أمعن النظر فيه وسلم من الزندقة.

قال أبو محمد: ثم جعل يحيى المناظرة في داره والجدال فيما لا ينبغي، فيتكلم كل ذي دين في دينه، ويجادل عليه آمنا على نفسه[(١)].

(١) مختصر الحجة على تارك المحجة (٢/ ٦٥٨)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص ١٥٥)، ترجمة أحمد بن محمد بن سعدى، وجذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس (ص ١٠١).

كتب سحنون إلى عبد الملك بن الماجشون رحمه الله[(١)]، يذكر ما حدث عندهم من الكلام في التشبيه والقرآن، ويسأله الجواب عليه.

وكتب إليه عبد الملك مرة: من عبد الله بن الماجشون إلى سحنون بن سعيد، سلام عليكم فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد، وفقنا الله وإياكم لطاعته، سألتني عن مسائل ليست من شأن أهل العلم والعمل بها جهل، فيكفيك من مضى من صدر هذه الأمة أنهم اتبعوا بإحسان ولم يخوضوا في شيء منها، وقد خلص الدين إلى العذراء في خدرها، فما قيل لها كيف ولا من أين؟ فاتبع لما اتبعوا، واعلم أنه العلم الأعظم الذي لا يشاء الرجل أن يتكلم في شيء من هذا، فيكب فيهوى في نار جهنم[(٢)].

قال أبو صالح كاتب الليث: أملى علي عبد العزيز بن الماجشون

---

(١) عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي سلمة كنيته أبو مروان كان عبد الملك فقيهًا فصيحًا، دارت عليه الفتوى في أيامه إلى موته، وعلى أبيه قبله فهو فقيه ابن فقيه. قال مصعب: عبد الملك مفتي أهل المدينة في زمانه. وكان ضرير البصر، ويقال عمي آخر عمره. وبيته بيت علم وخير بيت بالمدينة، قال ابن حارث: كان من الفقهاء المبرزين، وأثنى عليه سحنون وفضله، وقال: هممت أن أرحل إليه وأعرض عليه هذه الكتب، فما أجاز منها أجزت وما رد رددت. وأثنى عليه ابن حبيب كثيرًا، وكان يرفعه في الفهم على أكثر أصحاب مالك قال القاضي إسماعيل: عبد الملك عالم بقول مالك في الوقوف. وكان يقول بعد أن كف بصره هلم إلي سلوني عن معضلات المسائل. وذكر إسماعيل القاضي في المبسوط بعض كلامه، ثم قال ما أجزل كلامه، وأعجب تفصيلاته، وأقل فضوله. وتفقه به خلق كثير، وأئمة جلة كأحمد بن المعذل وابن حبيب وسحنون. توفي سنة اثنتي عشرة. وقيل أربع عشرة ومائتين
(ترتيب المدارك ٣ / ١٣٦).

(٢) ترتيب المدارك (٣ / ١٣٦).

قال: احذروا الجدل، فإنه يقربكم إلى كل موبقة، ولا يسلمكم إلى ثقة، ليس له أجل ينتهى إليه، وهو يدخل في كل شيء، فاتخذوا الكف عنه طريقًا، وإن الجدل والتعمق هو جور السبيل، وصراط الخطأ. فلا تحسبن التعمق في الدين رسخًا، فإن الراسخين في العلم هم الذين وقفوا حيث تناهى علمهم، واحذرهم أن يجادلوك بتأويل القرآن واختلاف الأحاديث عن رسول الله ﷺ وتجادلهم فتزل كما زلوا، وتضل كما ضلوا، فقد كفتك السيرة ـ يعني سيرة السلف ـ مؤنتها، وأقامت لك منها ما لم تكن لتعدله برأيك، ولا تتكلفن صفة الدين لمن يطعن في الدين ولا تمكنهم من نفسك، إنما يريدون أن يفتنوك، أو يأتون بشبهة فيضلوك، ولا تقعد معهم. قال الله ﷻ: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام ٦٨] ولعمري إن صفة الدين لبينة، وإن سبله لواضحة، وإن مأخذه لقريب لمن أراد الله هداه، ولم تكن الخصومة والجدل هواه[(١)].

قال الحسن بن عبد العزيز الجروي: أخبرني رجل أثق به، قال: قلت لعبد الملك الماجشون: أوصني قال: إياك والكلام، فإن لآخره أول سوء[(٢)].

سئل الإمام الفقيه الأجل الحافظ قاضي الجماعة أبو الوليد بن رشد رضي الله عنه فيما يقوله أهل الكلام بعلم الأصول من الأشعرية ومذهبهم، فإنهم يقولون: إنه لا يكمل الإيمان إلا به، ولا يصح الإسلام إلا باستعماله ومطالعته وتحقيقه، وإنه يتعين على العالم والجاهل قراءته ودراسته، فهل يصح ذلك وفقك الله من قولهم؟ وأن المسلمين مندوبون

---

(١) الإبانة لابن بطة، كتاب القدر (٢/ ٢٤٧)، رقم (١٨٥٣).

(٢) الإبانة لابن بطة، كتاب الإيمان (٢/ ٥٣٦) رقم (٦٦٧).

إلى قولهم ومجبورون على مذهبهم أم لا يسوغ لهم ذلك، ولا يلزمهم البحث عليه والطلب له؟ وإن من قولهم أيضًا: إنه لا ينبغي لأحد من المسلمين في أول ابتدائه لتبصرته بأمر دين الله ودخوله في معرفة ما يقيم به أمر صلاته المفروضة عليه من وضوء وصلاة أن يتعلم شيئًا من ذلك إلا بعد نظره وقراءته لعلم أصولهم واقتدائه بمذهبهم، ومتى خالف ذلك من قولهم كفروه، وهو وفقك الله مع جهله ربما أخرجه ذلك إلى التعطيل وتكسيله عن أداء المفروض عليه.

بيِّن لنا وفقك الله ذلك كله، وفسِّره لنا وأوضحه مشروحًا موفقًا لذلك مأجورًا إن شاء الله ﷻ....

فأجاب رَحِمَهُ الله بأن قال:

تصفحت ـ عصمنا الله وإياك من الآراء المغوية والفتن المحيرة، وأعاذنا وإياك من حيرة الجهل وتعاطل الباطل، ورزقنا وإياك الثبوت على السنة والتمسك بها، ولزوم الطريقة المستقيمة التي درج عليها السلف، وانتهجها من بعدهم صالح الخلف ـ سؤالك هذا ووقفت عليه.

وما ذكرته فيه عن الطائفة المائلة إلى أهل الكلام بعلم الأصول على مذهب الأشعرية من أنه لا يكمل الإيمان إلا به، ولا يصح الإسلام إلا باستكماله ومطالعته لا يقوله أحد من أئمتهم، ولا يتأوله عليهم إلا جاهل غبي، إذ لو كان الإيمان لا يكمل، والإسلام لا يصح إلا بالنظر والاستدلال من طريق العقل على القوانين التي رتبها أهل الكلام على مذهب الأشعرية والمناهج التي نهجوها على أصولهم من وجود الأعراض بالجواهر واستحالة بقائها فيها، وما أشبه ذلك من أدلة العقول التي يستدلون بها لبيَّن ذلك النبي ﷺ للناس، وبلغه إليهم كما أمره الله

تعالى في كتابه حيث يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة ٦٧].

فلما علمنا يقينًا أنه ﷺ لم يدع الناس في أمر التوحيد وما يجب عليهم من الاعتقاد فيه إلى الاستدلال بالأعراض وتعلقها بالجواهر، ولا أن أحدًا من أصحابه تكلم بذلك إذ لم يروِ عنه ﷺ ولا عن واحد منهم كلمة واحدة فما فوقها من هذا النمط من الكلام، من طريق تواتر ولا آحاد من وجه صحيح ولا سقيم، علمنا أنه ﷺ وهم رضي الله عنهم عدلوا عنه إلى ما هو أولى وأبين وأجلى وأقرب إلى الأفهام، لسبقه إليها بأوائل العقول وبدائهها.

وهو ما أمر الله به من الاعتبار بمخلوقاته في غير ما آية من كتابه، إذ لم يمت ﷺ حتى بين للناس ما نزل إليهم، وبلغ إليهم ما أمر ببيانه لهم، وتبليغه إليهم، فقال ﷺ في خطبة الوداع وفي مقامات له شتى بحضرة عامة أصحابه: (ألا هل بلغت؟)(١).

فكان الذي أنزل إليه من الوحي، وأمر بتبليغه هو كمال الدين وتمامه، لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة ٣]

فلا حاجة لأحد في إثبات التوحيد وما يجب لله من الصفات، ويجوز عليه منها ويستحيل وصفه بها إلى أحد سوى ما أنزله الله في كتابه، وبيَّنه على لسان رسوله من الآيات التي نبه عليها وأمر بالاعتبار بها، من ذلك قوله ﷻ: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات ٢١]

ثم قال رحمه الله: إلى آخر الآيات، وإلى ما أشبه ذلك من الأدلة

---

(١) خرجه البخاري ١٠٢، ومسلم ١٦٧٩.

الواضحة والحجج اللائحة التي يدركها كافة ذوي العقول، وعامة من لزمه حكم الخطاب وهي في القرآن أكثر من أن تحصى، فلا يمكن أن تستقصى، يثبت عنده وجود الصانع الحكيم، ثم يتيقن وحدانيته وعلمه وقدرته وإرادته بما شاهده من اتساق أفعاله على الحكمة واطرادها في سبلها، وجريها على طرقها، وعلم سائر صفاته توقيفًا عن الكتاب المنزل الذي بان حقه وعن النبي المرسل الذي ظهر صدقه، بما ظهر على يديه من المعجزات الخارقة للعادات.

فكان الاعتماد على هذا الاستدلال الذي نطق به القرآن وعول عليه سلف الأمة هو الواجب، إذ هو أصح وأبين في التوصل إلى المقصود وأقرب، لأنه نظر عقلي بديهي مركب على مقدمات من العلم لا يقع الخلف في دلالتها.

وأما الاستدلال على ذلك بطريقة المتكلمين من الأشعرية ـ وإن كانت من طرق العلم الصحيحة ـ فلا يؤمن من العنت على راكبها والانقطاع على سالكها، ولذلك تركه السلف المتقدم من أئمة الصحابة والتابعين، ولم يعولوا عليه لا لعجزهم عنه، فقد كانوا ذوي عقول وافرة وأفهام ثاقبة، ولم يأت آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها.

فمن الحق الواجب على من ولاه أمر المسلمين أن ينهى العامة والمبتدئين عن قراءة مذاهب المتكلمين من الأشعريين، ويمنعهم من ذلك غاية المنع مخافة أن تنبو أفهامهم عن فهمها، فيضلوا بقراءتها، ويأمرهم أن يقتصروا فيما يلزمهم اعتقاده على الاستدلال الذي نطق به القرآن، ونبه الله عباده في محكم التنزيل، إذ هو بين واضح لائح يدرك ببديهة العقل بأيسر تأمل في الحين، فيبادروا بعد إلى تعلم ما يلزمهم من التفقه

فيه من أحكام الوضوء والصلاة والزكاة والصيام وسائر الشرائع والأحكام، ومعرفة الحلال في المكاسب من الحرام.

وأما من شدا في الطلب، وله حظ وافر من الفهم فمن الحظ له أن يقرأها إذا وجد إمامًا يفتح عليه منغلقها، لأنه يزداد بقراءتها والوقوف عليها بصيرة في اعتقاده، ويعرف بذلك فساد مذاهب أهل البدع واضمحلال شبههم، فيمكنه الرد عليهم، ويحوز بذلك وجه الكمال في العلم، ويدخل في الصنف الذي عناهم النبي ﷺ بقوله: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**»(١).

هذا الواجب فيما سألت عنه لا ما حكيته عن الطائفة المذكورة من أنه يتعين على العالم والجاهل قراءة مذاهب المتكلمين من الأشعريين، والبداية بذلك قبل تعلم ما يقيم به أمر الله من وضوئه وصلاته وسائر العبادات المفترضة عليه، ويكفرون من خالف ذلك، وما الكفر إلا في اعتقاد ما ذهبوا إليه من ذلك، لأنهم إذا لم يصلوا ولا صاموا ولا حجّوا حتى يعرفوا الله تعالى من تلك الطريقة الغامضة البعيدة، قد لا يصلون إلى معرفته من تلك الطريقة إلا بعد المدة الطويلة، أو تنبو أفهامهم عنها جملة فيمرقون عن الدين ويخرجون عن جماعة المسلمين أعاذنا الله من الشيطان الرجيم، ولا نكب بنا عن المنهج المستقيم، برحمته إنه منعم كريم، وبالله التوفيق لا شريك له(٢).

وسئل فقيه تازى ومفتيها الفقيه أبو عبد الله محمد بن

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة (٣٤) والبيهقي في السنن (٣/ ٢٢) وإسناده صحيح.

(٢) فتاوى ابن رشد (٢/ ٩٦٦).

عبد المؤمن رحمه الله[1] عن طائفة جزناية من أخماس تازى، ونص السؤال من أوله إلى آخره: الحمد لله، سيدي رضي الله عنكم، جوابكم في قوم فارقوا الجماعة ويكفرون المسلمين، ولا يأكلون ذبائحهم ولا يصلون خلفهم، ويقولون من لم يؤمن بالمهدي بن تومرت[2] فهو كافر، ويفضلونه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويقولون من لم يعلم اثني عشر بابًا من التوحيد فهو كافر، وينقضون الوضوء بلمس ذوات المحارم، ويقولون من حلق ما تحت اللحية فهو مجوسي، بينوا لنا الردّ عليهم في ذلك وما يلزمهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري العلامة الفاضل الدراكة المتفنن الجامع لأنواع الفضائل، رحل للمشرق وأخذ عن أعلام منهم أبو عبد الله المعروف بابن الكمال القسنطيني.
ترجمته في توشيح الديباج (ص ٢١٠)، ونيل الابتهاج (ص ٤٥٦)، وكفاية المحتاج (ص ٣٥٥)، شجرة النور الزكية (ص ٣١٦).

(٢) محمد بن عبد الله بن تومرت البربري المصمودي الخارجي بالمغرب، رحل من السوس الأقصى شابًا إلى المشرق، فحج وتفقه وحصل أطرافًا من العلم، وكان قوي النفس، عمالا على الملك، غاويًا في الرياسة والظهور، ادعى أنه علوي حسني، وأنه الإمام المعصوم المهدي، وكان لهجًا بعلم الكلام، خائضًا في مزال الاقدام، ألّف عقيدة لقّبها بالمرشدة، فيها نفي الصفات، حمل عليها أتباعه، وسماهم الموحدين، ونبز من خالف المرشدة بالتجسيم، وأباح دمه، قال: اليسع بن حزم: سمى ابن تومرت المرابطين بالمجسمين، وما كان أهل المغرب يدينون إلا بتنزيه الله تعالى عما لا يجب وصفه بما يجب له، مع ترك خوضهم عما تقصر العقول عن فهمه، إلى أن قال: فكّفرهم ابن تومرت لجهلهم العرض والجوهر، وأن من لم يعرف ذلك، لم يعرف المخلوق من الخالق، وبأن من لم يهاجر إليه ويقاتل معه فإنه حلال الدم والحريم، وذكر أن غضبه لله وقيامه حسبة، توفي (سنة ٥٢٢هـ).
ترجمته: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٤١

فأجاب رحمه الله بما نصه:

...... وأما قولهم إن من لم يعلم اثني عشر بابًا من التوحيد فهو كافر، فقد خالفوا في ذلك أئمة الهدى مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأبو يوسف، نقل الغزالي وهو شيخ الهدى قال: اختلف في الاشتغال بعلم الكلام، فقيل فرض كفاية، وقيل يحمله من قام به، وقيل فرض عين، وقيل حرام وأن التقليد يجزئ، وإلى هذا ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف رحمهم الله... ثم نقل الآثار الواردة عنهم في ذلك، ثم قال:

قال الغزالي: والصحابة مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم لعلمهم بما يتولد عنه من الشر، ولو كان الاشتغال بهذا العلم واجبًا وهو من الدين لكان ذلك أهم ما يأمر به النبي ﷺ، ويعلم طريقته ويثني على أربابه كما علّم سائر أمور الديانات، بل نهاهم عن الكلام في القدر، وقال: «**إذا ذكر القدر فأمسكوا**»[1] وعلى هذا استمر الصحابة رضي الله عنهم، فالزيادة على الأستاذ طغيان وظلم، وهم الأساتذة والقدوة، ونحن الأتباع والتلامذة، فهؤلاء فقهاء الأمصار رضي الله عنهم متفقون على أن التقليد يجزئ، والدليل على أن التقليد يجزئ من طريق الأثر والنظر، ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله**»[2] فكان يكتفي منهم بكلمة

---

(١) قال العلامة الألباني رحمه الله: روي من حديث ابن مسعود، وثوبان، وابن عمر، وطاووس مرسلًا، وكلها ضعيفة الأسانيد، ولكن بعضها يشد بعضًا. السلسلة الصحيحة (١/ ٤١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب (١٧) فإن تابوا وأقاموا الصلاة (١/ ٥١) رقم (٢٥) ومسلم (١/ ٥٣) رقم (٢٢) من حديث عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ =

التوحيد، وإن كانوا من البدو الأجلاف الذين لا يعرفون النظر، ولو كان لا يجتزئ بالتقليد ولا بد من المعرفة لما أقرهم ﷺ على ذلك.

وأجمع المتقدمون على قبول كلمتي الشهادة من غير زيادة عليها، ويلزم من يقول إنه لا بد من المعرفة أن النصراني إذا قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم مات من حينه قبل أن تتمكن منه معرفة أنه مات كافرًا، ولا يرثه المسلمون، وإنما يرثه النصارى.

وقد انعقد الإجماع على أنه مات مؤمنًا، وميراثه للمسلمين، ويلزم على القول بوجوب المعرفة من جهة النظر الدور المحال، لأن معرفة الإيجاب متوقفة على معرفة الموجب، ومعرفة الموجب متوقفة على معرفة النظر المتوقف على إيجابه[1].



= قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا.. الحديث.

(١) المعيار المعرب (٢/٤٥٦).

فصل: قول الإمام مالك رحمه الله أن الإيمان قول وعمل

قال عبد الله بن نافع: كان مالك رحمه الله يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص(١).

وقال ابن وهب: سئل مالك بن أنس عن الإيمان؟ فقال: قول وعمل(٢).

وقال ابن القاسم رحمه الله: قلنا لمالك: الإيمان قول وعمل، أو قول بلا عمل؟ قال مالك: بل قول وعمل(٣).

وقال أشهب رحمه الله: قال مالك: أقام الناس يصلون نحو بيت المقدس ستة عشر شهرًا، ثم أمروا بالبيت الحرام، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة ١٤٣] يعني صلاتكم إلى بيت المقدس، قال مالك: وإني لأذكر هذه الآية قول المرجئة: إن الصلاة ليست من الإيمان(٤).

وقال معن بن عيسى رحمه الله: سمعت مالك بن أنس وسأله رجل عن

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٢١٣) والآجري في الشريعة (ص ١١٨) واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (رقم ١٧٤٢) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٣٧) وابن عبد البر في الانتقاء (ص٣٥).

(٢) الانتقاء لابن عبد البر (ص٣٣).

(٣) البيان والتحصيل (١٨/ ٥٨٥).

(٤) ابن عبد البر في الانتقاء (٣٤).

الإيمان؟ فقال: الإيمان قول وعمل(١).

وقال سويد بن سعيد رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعت مالك بن أنس، وحماد بن زيد، وسفيان بن عيينة، والفضل بن عياض، وذكر أقوامًا غيرهم، قال: وجميع من حملت عنهم العلم يقولون: الإيمان قول وعمل(٢).

وقال الوليد بن مسلم: سمعت الأوزاعي، ومالك بن أنس، وسعيد بن عبدالعزيز، ينكرون قول من يقول: إن الإيمان قول بلا عمل، ويقولون: لا إيمان إلا بعمل، ولا عمل إلا بإيمان(٣).

وقال يحيى بن سليم: سألت عشرة من الفقهاء عن الإيمان؟ فقالوا: قول وعمل، ثم ذكرهم حتى قال: وسألت مالك بن أنس؟ فقال: قول وعمل(٤).

وقال أبو سلمة الخزاعي: قال مالك بن أنس: الإيمان المعرفة، والإقرار، والعمل(٥).

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: قال غير واحد سمعت مالكًا يقول: الإيمان قول وعمل(٦).

وقال شيخ المالكية ابن أبي زيد القيرواني والملقب بمالك الصغير: الإيمان قول باللسان، وإخلاص بالقلب، وعمل بالجوارح،

---

(١) ابن عبد البر في الانتقاء (٣٤).

(٢) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٣٨٥).

(٣) رواه الطبري في صريح السنة (ص ٢٥).

(٤) رواه الآجري في الشريعة (ص ١٣١).

(٥) رواه الخلال في السنة رقم (١٠٠٦).

(٦) ترتيب المدارك (٢/ ٤٣).

يزيد بزيادة الأعمال، وينقص بنقص الأعمال، فيكون فيها النقصان، وبها الزيادة، ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل. ولا قول ولا عمل إلا بنية[١].

قال القاضي عبد الوهاب رحمه الله[٢] في الشرح: هذا الذي قاله هو مذهب أهل السنة والسلف الصالح[٣].

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي المالكي الشهير بابن أبي زمنين: ومن قول أهل السنة أن الإيمان إخلاص لله بالقلوب، وشهادة بالألسنة، وعمل بالجوارح، على نية حسنة وإصابة السنة[٤].

وقال ابن عبد البر: أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان[٥].

وقال: وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق

---

(١) شرح عقيدة ابن أبي زيد للقاضي عبد الوهاب (ص ٣٤٢).

(٢) الإمام العلامة شيخ المالكية أبو محمد عبد الوهاب بن علي الفقيه المالكي، صنف في المذهب كتاب التلقين وهو من أجود المختصرات، وكتاب المعرفة في شرح الرسالة، قال الخطيب البغدادي: كان ثقة، كتبت عنه ولم نلق أحدًا من المالكيين أفقه منه، ولي القضاء، وخرج في آخر عمره إلى مصر، قال الشيرازي: أدركت عبد الوهاب وسمعته يناظر، وكان قد رأى القاضي الأبهري ولم يسمع منه، وله كتب كثيرة في الفقه، خرج إلى مصر وحصل له هناك حال من الدنيا بالمغاربة، توفي سنة (٤٢٢هـ) (سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٢٩).

(٣) شرح عقيدة ابن أبي زيد للقاضي عبد الوهاب (ص ٣٤٢).

(٤) أصول السنة لابن أبي زمنين (ص ٢٠١).

(٥) التمهيد (٩/ ٢٣٨).

والشام ومصر، منهم مالك بن أنس، والليث بن سعد، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وداود بن علي، والطبري، ومن سلك سبيلهم، فقالوا: الإيمان قول وعمل، قول باللسان، وهو الإقرار، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح مع إخلاص بالنية الصادقة[١].

* * *

(١) التمهيد (٩/ ٢٣٨).

فصل: كلام الإمام مالك رحمه الله على التوحيد وأنه عبادة الله تعالى وحده دون ما سواه، وليس الخوض في علم الكلام المبتدع

سئل المزني رحمه الله عن الكلام، فقال: إني أكره هذا، بل أنهى عنه كما نهى عنه الشافعي، ولقد سمعت الشافعي[(١)] يقول:

سئل الإمام مالك عن الكلام والتوحيد، فقال رحمه الله: محال أن يظن بالنبي ﷺ أنه علَّم أمته الاستنجاء ولم يعلِّمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله، فما عصم به الدم والمال فهو التوحيد[(٢)].

قال أبو بكر الأبهري رحمه الله في شرح المختصر الكبير لابن عبد الحكم[(٣)] معلقًا على قوله: «وإنما يحلف الحالف بالله الذي لا إله إلا هو فقط».

---

(١) قال السلفي رحمه الله في قصيدة في مدح السنة واتباع السلف:

فالشافعي أتى به عن مالك ... وذويه لا عن رأيه وتغالى
وهموا عن الأتباع والأتباع عن ... صحب الرسول رواية وسؤالا
والأصل ما كان الرسول وصحبه ... قدما عليه وما سواه فلا لا!

لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام، المجلد الرابع، الرسالة رقم (٤٢)

(٢) أخرجه أبو الفضل المقري في المنتقى من ذم الكلام ص (٩٢، ونقله السبكي في طبقات الشافعية (٩/ ٤٠).

(٣) عبد الله بن عبد الحكم بن أعين، الإمام الفقيه، مفتي الديار المصرية أبو محمد المالكي، قال الشيرازي: وإليه أفضت الرئاسة بمصر بعد أشهب. وكان =

قال رحمه الله: إنما قال ذلك لأن اليمين إنما هي بالله عز وجل، وهو أن يذكر الله ويوحده، وينفي غيره، وذلك هو التوحيد لا غير ذلك من ذكر صفاته لأنها تكثر فوجب أن يقتصر على ذكر اسم الله عز وجل وأسمائه وحده دون غيره من غير ذكر صفاته والله أعلم.

وقال أبو عمرو الداني رحمه الله[(١)]:

والتوحيد له هو الإقرار بأنه ثابت موجود، وواحد معبود، على ما ورد به قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة ١٦٣][(٢)].

وقال ابن سريج[(٣)] إمام الشافعية، وقد سئل عن التوحيد؟ فقال:

= أعلم أصحاب مالك بمختلف قوله. وروى عن ابن وهب وابن القاسم، وأشهب كثيرًا. وصنف كتابًا اختصر فيه أسمعته، ثم اختصر منه كتابًا صغيرًا وعلى هذين الكتابين مع غيرهما معول المالكيين من البغداديين، في المدارسة وإيّاهما شرح أبو بكر الأبهري وغيرهما، بل وغير واحد من العراقيين وأهل المشرق توفي في شهر رمضان سنة (٢١٤ هـ).

(ترتيب المدارك ٢/ ٥٢٣، الديباج المذهب ١/ ٤١٩، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٢٠).

(١) هو الإمام الحافظ المجوِّد المقرئ الحاذق، عالم الأندلس أبو عمرو عثمان بن سعيد الأمولي الأندلسي، القرطبي ثم الداني، قال ابن فرحون: عثمان بن سعيد بن عثمان الأموي المقرئ المعروف بابن الصيرفي من أهل قرطبة يكنى أبا عمرو سمع أبي الحسن القابسي وابن أبي زمنين وخلق كثير وعدد عظيم. وكان أحد الأئمة في علم القرآن، روايته وتفسيره ومعانيه وإعرابه، قال المغامي: كان أبو عمرو مجاب الدعوة مالكي المذهب، توفي سنة (٤٤٤ هـ).

(الديباج المذهب ٢/ ٨٤، جذوة المقتبس ص ٢٨٦، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٧٧).

(٢) الرسالة الوافية ص ٤٦

(٣) الإمام شيخ الإسلام فقيه العراقين أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي القاضي الشافعي، ولد سنة بضع وأربعين ومائتين، كان يقول: قل ما رأيت =

توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، وتوحيد أهل الباطل من المسلمين؛ الخوض في الأعراض والأجسام، وإنما بعث النبي ﷺ بإنكار ذلك(١).

وقال أبو زكريا السلماسي(٢) في ذكر اعتقاد الأئمة مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد:

جمل الاعتقاد المجمع عليها نقلها الخلف عن السلف، أجمع عليها الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وأئمة الأمصار من الفقهاء أصحاب الحديث، وأرباب الورع، والتقوى المصنفين في علم الكتاب والسنة حجاز ويمنًا وشامًا وعراقًا وفارس وخراسان وما وراء النهر وثغور الشام وأذربيجان وأران وديار ربيعة ومضر؛ أجمعوا أن الواجب على المكلف: يعلم بقلبه ويقر بلسانه أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة ١٦٣] وقال تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ [الصافات ١ ـ ٤] وقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء ٢٢] وقال تعالى: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون ٩١](٣).

= من المتفقهة من اشتغل بالكلام فأفلح، وقد عده الذهبي أحد المجددين على رأس الثلاثمائة توفي سنة (٣٠٦هـ).
(سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٠١، طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٢١ ـ ٣٩).

(١) أحاديث في ذم الكلام لأبي الفضل المقرئ ص ٨٦

(٢) الواعظ الكبير أبو زكريا يحيى بن إبراهيم السلماسي، قال ابن الجوزي: قدم بغداد، ووعظ بها، وكان له القبول التام، ثم غاب عنها نحوًا من أربعين سنة ثم قدم توفي سنة (٥٥٠ هـ).
(سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٧٠، تاريخ الإسلام وفيات ٥٤١ ـ ٥٥٠).

(٣) منازل الأئمة الأربعة للسلماسي (ص ١٠٤).

وقال الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله: اعلموا ـ أرشدكم الله تعالى ـ أن لا إله إلا الله هي العروة الوثقى، ومركب النجاة، وسفينة نوح، من عدل عنها هلك، ومن ركبها خلص ونجا، وهي قطب الإسلام، وقاعدة الأديان، وما خلق الجنّ والإنس إلا ليعبدوه بها.

ثم ذكر الأحاديث مبتدئًا بحديث «أمرت أن أقاتل الناس...» ثم قال: وحسبك شرفًا وإجلالًا لهذه الكلمة أن النبي ﷺ قال «**لقِّنوا موتاكم لا إلٰه إلّا الله**»(١).

فمفتاح الدخول في الإسلام: لا إله إلا الله، وخاتم الخروج من الدنيا والقدوم على الله تعالى: لا إله إلا الله(٢).

قال الإمام البخاري رحمه الله في الصحيح: كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ثم روى حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: «لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن قال له: «**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى**».

وفي رواية في كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله**».

وفي رواية في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا: «**إنك ستأتي قومًا أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**».

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب (١) تلقين الموتى لا إله إلا الله، (٢/ ٦٣١) رقم (٩١٦).

(٢) الدعاء المأثور وآدابه (ص ١٨٧)، نقله عنه عبد الله بن فهد العرفج أثابه الله، في رسالة: جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة (ص ٤١).

قال الحافظ ابن حجر: ووجه الجمع بينها - يعني الألفاظ الواردة - أن المراد بالعبادة التوحيد، والمراد بالتوحيد الإقرار بالشهادتين[١].

وأخرج مسلم حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**بني الإسلام على خمسة: على أن يوحد الله، وإقام الصلاة....**» الحديث[٢].

وفي رواية: «**بني الإسلام على خمس: على أن يعبد الله ويكفر بما دونه، وإقام الصلاة...**» الحديث[٣].

وفي رواية: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وإقام الصلاة...**» الحديث[٤].

وخرج مسلم في حديث ابن عمر أن جبريل سأل النبي ﷺ عن الإسلام فقال: «**أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وتقيم الصلاة...**» الحديث[٥].

ورواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن جبريل سأل النبي ﷺ عن الإسلام فقال: «**الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة المكتوبة...**» الحديث[٦].

* * *

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٣٦٧).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب (١٩) حديث رقم (١٦) (١/ ٤٥).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب (١٩) حديث رقم (١٦) (١/ ٤٥).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب (١٩) حديث رقم (١٦) (١/ ٤٥).

(٥) أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب (١) بيان الإيمان والإسلام رقم (١).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان باب (٣٧) سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام (١/ ٩٧) رقم (٥١).

فصل: في فضل كلمة التوحيد

قال الإمام مالك رحمه الله عمن مات من أهل الكتاب: إذا قال لا إله إلا الله عن تعليم صلي عليه(١).

وسئل ابن القاسم رحمه الله عن نصرانية عرض عليها ختنها الإسلام، فأجابت وغسلت ثيابها، وقالت كيف أقول؟ فقال قولي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى روح الله وكلمته، فقالت ذلك كله، ثم ماتت، فدفنت في قبور النصارى، قال أرى أن تنبش وتغسل ويصلَّى عليها، وتدفن مع المسلمين إلا أن تكون تغيرت(٢).

أخرج البخاري في الصحيح(٣) عن عبادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**».

* * *

(١) النوادر والزيادات (١/ ٦٠٠).
(٢) النوادر والزيادات (١/ ٦٣٢).
(٣) صحيح البخاري رقم (٣٢٥٢).

فصل: في تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، وأن الإله هو المعبود

قال الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة ١٦٣].

قال أبو بكر بن العربي رحمه الله[١]: هذه الآية هي أصل في التوحيد، ويتعلق بها مسائل ومنها: بيان معنى الإله، فالإله هو المعبود، وهي الفائدة التي خلق لأجلها الخلق: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات ٥٦][٢].

فلا إله إلا الله نفي لكل إله سواه بجميع المعاني، وقوله «وحده» تأكيد للنفي من كل وجه، وقوله «لا شريك له» إشارة إلى نفي أن يكون هو جعله معينًا أو ظهيرًا كما كانت العرب تقول لبيك لا شريك لك، إلا

---

(١) العلامة الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي ولد سنة (٤٦٨هـ) ورحل مع أبيه إلى المشرق وتخرَّج بأبي حامد الغزالي والعلامة أبي زكريا التبريزي والفقيه أبي بكر الشاشي وجمع وصنف وبرع في الأدب والبلاغة وبعد صيته وأدخل الأندلس علمًا شريفًا واسنادًا منيفًا وكان متبحرًا في العلم ثاقب الذهن عذب العبارة موطأ الأكناف كريم الشمائل كثير الأموال ولي قضاء إشبيلية فحمد وأجاد السياسة وكان ذا شدة وسطوة، وكان أبو بكر أحد من بلغ رتبة الاجتهاد وصنف في الحديث والفقه والأصول وعلوم القرآن والأدب والنحو والتواريخ، واتسع حاله وكثر أفضاله ومدحته الشعراء وعلي إشبيلية سور أنشأه من ماله، قال ابن بشكوال: توفى ابن العربي بالعدوة بفاس في ربيع الآخر سنة (٥٤٣ هـ).
(سير أعلام النبلاء ٢٠/١٩٧، الديباج المذهب ص ٢٥٢).

(٢) قانون التأويل لابن العربي ص ٣٠٠

شريكًا هو لك تملكه وما ملك[١].

وقال القرافي رحمه الله: والإله المعبود، وليس المراد نفي المعبود كيف كان، لوجود المعبودين في الوجود، كالأصنام والكواكب، بل ثم صفة مضمرة تقديرها لا معبود مستحق للعبادة إلا الله، ومن لم يضمر هذه الصفة لزمه أن يكون تشهّده كذبًا[٢].



(١) المسالك في شرح موطأ مالك (٣/ ٤٢٩).

(٢) الذخيرة للقرافي (٢/ ٥٧).

فصل: حفظ الإمام مالك ﷺ جناب التوحيد وسد ذريعة الإشراك بالله

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي ﷺ: اعلم أن الحرف الذي يدور عليه هذا المذهب إنما هو حماية الذرائع(١).

وقال أبو عبد الله المازري ﷺ: أصل مذهب مالك حماية الذرائع(٢).

وقال أبو عبد الله القرطبي ـ صاحب التفسير المشهور ـ: التمسك بسد الذرائع وحمايتها هو مذهب مالك وأصحابه(٣).

قال الإمام مالك ﷺ: وما كان من التماثيل والصور في الطست والإبريق والأسرة والقباب، فإن كان خرطت خرطًا فهي أشدّ. وبلغني أن أول ما اتخذت الصور في موت نبي، فصوّر لهم ليأنسوا بصورته، فما زال ذلك حتى صار إلى أن عبدت(٤).

أخرج الطبري ﷺ في التفسير في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ الآية [نوح ٢٣] عن محمد بن قيس قال: كانوا قوما صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا

---

(١) الحوادث والبدع للطرطوشي (ص ٦٦).

(٢) المعيار المعرب (١٢/ ٣٦٢).

(٣) التفسير (١٢/ ٥٧).

(٤) الجامع لابن أبي زيد (ص ٢٦١).

قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صوَّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوَّروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر فعبدوهم(١).

قال أبو عبد الله القرطبي في شرح حديث: «**لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها**»(٢): أي لا تتخذوها قبلة، فتصلوا عليها، أو إليها كما فعل اليهود والنصارى، فيؤدي إلى عبادة من فيها، كما كان السبب في عبادة الأصنام، فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك وسد الذرائع المؤدية إلى ذلك(٣).

وقال أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي رحمه الله(٤) بعد ذكر حديث عائشة رضي الله عنها في ذكر كنيسة الحبشة(٥):

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٠٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٦١٤)، والنسائي (٧٥٢) من حديث أبي مرثد الغنوي

(٣) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٨٠).

(٤) أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر أبو العباس الأنصاري الأندلسي ثم القرطبي المالكي الفقيه، من أعيان فقهاء المالكية نزل الإسكندرية واستوطنها ودرس بها. وكان من الأئمة المشهورين والعلماء المعروفين جامعًا لعلوم منها: علم الحديث والفقه والعربية وغير ذلك وله على كتاب صحيح مسلم شرح أحسن فيه وأجاد سماه المفهم، ولد بقرطبة (سنة ٥٧٨ هـ)، وتوفي رحمه الله بالإسكندرية رابع ذي القعدة (سنة ٦٥٦هـ).
(الديباج المذهب ١/ ٣٨، نفح الطيب ٢/ ٦١٥).

(٥) المقصود ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة) أخرجه البخاري (٤٠٩) ومسلم (٨٢٢).

قال رحمه الله: إنما فعل ذلك أوائلهم ليأنسوا برؤية تلك الصورة ويتذكروا بها أحوالهم الصالحة، فيجتهدون كاجتهادهم، ويعبدون الله تعالى عند قبورهم، فمضت لهم بذلك أزمان، ثم إنهم خلف من بعدهم خلف جهلوا أغراضهم ووسوس لهم الشيطان، أن آباءهم وأجدادهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظِّمونها فعبدوها.

فحذَّر النبي ﷺ عن مثل ذلك، وشدَّد النكير والوعيد على فعل ذلك، وسدَّ الذرائع المؤدِّية إلى ذلك، فقال: «**اشتدَّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، أي أنهاكم عن ذلك، وقال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**»[١].

ولهذا بالغ المسلمون في سدِّ الذريعة في قبر رسول الله ﷺ، فأعلوا حيطان تربته، وسدّوا المداخل إليها وجعلوها محدقة بقبره ﷺ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة، إذ كان مستقبل المصلّين، فتتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرَّفوهما حتى التقيا على زاوية مثلث من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره، ولهذا الذي ذكرناه كله قالت عائشة: **ولولا ذلك لأبرز قبره**[٢]. انتهى كلام القرطبي[٣].

---

(١) خرجه مالك في الموطأ (٥٩٣) من حديث عطاء بن يسار عن النبي ﷺ مرسلًا، ورواه البخاري (٣٧٦٥) ومسلم (٣٣٤٨) من حديث همام عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ

(٢) قول عائشة رضي الله عنها في الصحيح (٤٠٨٧) قالت: قال النبي ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: (لعن الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) قالت عائشة: لولا ذلك لأبرز قبره، خشي أن يتخذ مسجدًا.

(٣) المفهم شرح مسلم (٢/ ١٢٩).

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: سئل مالك عن الصورة في البيت، فقال لا تنبغي، فقال له رجل عراقي: يا أبا عبد الله هو ذا في بيتك صورة! قال: أنا ساكن فيه منذ كذا، ما رأيته قط، قم فحكها، فأخذ قناة فلف عليها خرقة ثم حكها[(١)].

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا جعل المصحف في القبلة ليصلي له فلا خير فيه، وإن كان ذلك موضعه فلا بأس به، وأكره الصلاة إلى حجر منفرد في الطريق تشبيهًا بالأنصاب، وأما أحجار كثيرة فجائز[(٢)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وإنما بنى عمر بن عبد العزيز القبر هذا البناء حين كان الناس يصلون إليه وجعلوه مصلًّى، فأنا أكره أن يجعل المصحف في القبلة ليصلّى إليه، ولا أحبّ ذلك، وأما إن كان موضعه أو ذلك الموضع أحفظ له أو معلق له، ليس يجعل لمكان الصلاة إليه، فلا أرى بذلك بأسًا[(٣)].

قال ابن رشد رَحِمَهُ اللَّهُ: أما الصلاة إلى قبر النبي ﷺ فهو محظور لا يجوز، لما جاء عن النبي ﷺ من قوله: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتدّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[(٤)].

فبناه عمر بن عبد العزيز محددًا على هيئته لا يمكن من صلّى إلى

---

(١) ترتيب المدارك (١/ ١٣٠).

(٢) ذكره في التاج والإكليل (١/ ٥٥٢).

(٣) البيان والتحصيل (١٧/ ٦٢٥).

(٤) خرجه مالك في الموطأ (٥٩٣) من حديث عطاء بن يسار عن النبي ﷺ مرسلا، ورواه البخاري (٣٧٦٥) ومسلم (٣٣٤٨) من حديث همام عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ

القبلة استقباله، وأما المصحف فكره القصد بالصلاة إليه على ما قاله في هذه الرواية، ومثله في المدونة سواء، لأن ذلك بدعة وبالله تعالى التوفيق(١).

روى القاضي عياض رحمه الله عن بعض أصحاب الشيخ أبي إسحاق الجبنياني رحمه الله(٢) قال: لما حججت أتيت معي بحصيات من حصى المسجد الحرام، فقلت لأبي إسحاق: إني أتيت معي بحصيات من حصى المسجد الحرام، أتحب أن أعطيك منهن شيئًا تسبح بهن؟ فقال لي: يا أحمق، ارم بهن، فعلى أقل من هذا عبدت الحجارة(٣).

وقال ابن الحاج المالكي رحمه الله(٤): روى أشهب عن مالك أنه يكره الدفن في المسجد، فيحتمل ذلك أنه دفن فيه، وربما تحت مسجد،

(١) البيان والتحصيل (١٧/ ٦٢٥).

(٢) إبراهيم بن أحمد بن علي بن مسلم البكري، أحد أئمة المسلمين، وأبدال أولياء الله الصالحين حسن الضبط في نقله، وتصحيحه للكتب، وحافظًا إذا حفظ شيئًا قلما ينساه، وكان من أعلم الناس باختلاف العلماء، عالمًا بعبارة الرؤيا ولا يفتي فيها، من العباد والصالحين، مستجاب الدعوة قال القابسي: الجبنياني إمام يقتدى به، وكان أبو محمد ابن أبي زيد يعظّم من شأنه ويقول طريق أبي إسحاق خالية لا يسلكها أحد في الوقت. (ترتيب المدارك ٦/ ٢٢٢).

(٣) ترتيب المدارك (٦/ ٢٤٣).

(٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن الحاج قاضي الجماعة بقرطبة، والمعتمد على فتواه بعد وفاة ابن رشد صاحبه، قال عياض: أحد الفقهاء الفضلاء، تفقه بشيوخ بلده، وقال ابن بشكوال: كان من جلة الفقهاء وكبار العلماء معدودًا في المحدثين والأدباء، بصيرًا بالفتيا، رأسًا في الشورى، وكانت الفتوى في وقته تدور عليه لمعرفته وثقته وديانته، وتقلد القضاء بقرطبة مرتين، توفي سنة (٤٥٨هـ).
(الغنية للقاضي عياض ص ٤٧، والصلة لابن بشكوال ٢/ ٥٨٠).

فيؤدي إلى أن يعبد ذلك القبر[١].

وقال أبو الوليد الباجي رحمه الله: وقد روى أشهب عن مالك أنه لذلك كره أن يدفن في المسجد، وهذا وجه يحتمل أنه إذا دفن في المسجد كان ذريعة إلى أن يتخذ مسجدًا، فربما صار مما يعبد[٢].

وقال ابن حبيب: وسئل مالك عن الطعام يتصدق به النصارى عن موتاهم، فكره للمسلم قبوله، وقال: لأنه يعمل تعظيمًا لشركهم[٣].

وقال الإمام أبو عمر بن عبد البر رحمه الله بعد أن ذكر حديث عائشة: لعن الله اليهود والنصارى[٤].

لهذا الحديث والله أعلم، ورواية عمر بن عبد العزيز له أمر في خلافته أن يجعل بنيان قبر رسول الله ﷺ محددًا بركن واحد، لئلا يستقبل القبر فيصلَّى إليه[٥].

وقال الإمام أبو الوليد ابن رشد رحمه الله: إن فات ـ يعني صلاة الجنازة ـ لم يصل عليه لئلا يكون ـ الحديث والله أعلم، ورواية عمر بن عبد العزيز ـ ذريعة الصلاة على القبور، وهو مذهب أشهب وسحنون[٦].

* * *

---

(١) نوازل البرزلي (١/ ٥٠٣).

(٢) المنتقى شرح الموطأ (١/ ٤٢٦).

(٣) النوادر والزيادات لابن أبي زيد (٤/ ٣٦٨).

(٤) حديث عائشة: أن النبي ﷺ قال: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قالت عائشة: ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي عليه أن يتخذ مسجدًا) أخرجه البخاري (١٢٤٤)، ومسلم (٨٢٣).

(٥) الاستذكار (٨/ ٢٤٤).

(٦) مقدمة ابن رشد (ص ١٧٤).

فصل: نهي الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن التلفظ بألفاظ تشبه ألفاظ الجاهلية

وكره الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يقول الرجل للغيم والسحابة ما أخلفها للمطر(١).

قال أبو عمر بن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا من قول مالك مع روايته: (إذا أنشأت بحرية)(٢)، يدل على أن القوم احتاطوا فمنعوا الناس من

---

(١) الاستذكار لابن عبد البر (٧/ ١٥٨).

(٢) يعني ما خرجه مالك في الموطأ (٥١٧) قال يحيى حدثني مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا أنشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة. ومعناه إذا ظهرت السحابة من جهة البحر، ثم تيممت جهة الشمال، فهذا أوان المطر الغديق.
وهذا الحديث لا يصح، قال ابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ٣٨٠): هذا حديث لا أعرفه بوجه من الوجوه في غير الموطأ، إلا ما ذكره الشافعي في كتاب الاستسقاء عن إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى عن إسحاق بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: (إذا نشأت بحرية ثم استحالت شآمية فهو أمطر لها).
وابن أبي يحيى مطعون عليه متروك وإن كان فيه نبل ويقظة، اتهم بالقدر والرفض وبلاغ مالك خير من حديثه والله أعلم.
قلت: وقد خرجه ابن أبي الدنيا في جزء المطر والبرق والرعد (٤١)، والطبراني فيما عزاه إليه الهيثمي مجمع الزوائد (٢/ ٢١٧) وأبو الشيخ في العظمة (٧٢٣) من طريق: محمد بن عمر الواقدي، نا عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة، قال: سمعت عوف بن الحارث، يقول: سمعت عائشة زوج النبي ﷺ، تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا أنشأت السماء بحرية ثم تشاءمت فتلك عين، أو قال: عام غديقة، يعني: مطرًا كثيرًا والواقدي ضعيف.

الكلام بما فيه أدنى متعلق من أمر الجاهلية بقولهم مطرنا بنوء كذا وكذا[١].

قال أبو العباس القرطبي في «المفهم»: في شرح حديث زيد بن خالد الجهني[٢]: ظاهره أنه الكفر الحقيقي، لأنه قابل به المؤمن الحقيقي، فيحمل على من اعتقد أن المطر من فعل الكواكب وخلقها لا من فعل الله تعالى، كما يعتقده بعض الجّهال من المنجمين والطبائعيين والعرب، فأما من اعتقد أن الله تعالى هو الذي خلق المطر واخترعه ثم تكلم بذلك القول فليس بكافر، ولكنه مخطئ من وجهين:

أحدهما: أنه خالف الشرع، فإنه قد حذر من ذلك الإطلاق.

وثانيهما: أنه تشبه بأهل الكفر في قولهم، وذلك لا يجوز، لأنا قد أمرنا بمخالفتهم، فقال: **(خالفوا المشركين)**[٣] **(وخالفوا اليهود)**[٤]

---

(١) الاستذكار لابن عبد البر ٧/١٥٨

(٢) حديث زيد بن خالد الجهني قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: أتدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب.
أخرجه مالك (٤٠٥) والبخاري (٨٠١)، ومسلم (١٠٤).

(٣) خرجه البخاري ٥٤٤٢ ومسلم ٣٨٢ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) خرجه أبو داود (٥٥٦) وابن حبان في الصحيح (٢٢٢٠) من حديث شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: خالفوا اليهود والنصارى فإنهم لا يصلون في خفافهم ولا في نعالهم.

ونهينا عن التشبه بهم، وذلك يقتضي الأمر بمخالفتهم في الأفعال والأقوال[١].

قال العلامة الونشريسي رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: وسئل سيدي أبو عزيز عمن يقول مثلا لولا حرثي أو تجارتي، أو نحو ذلك مما هو جار على الألسنة، بحكم العادة، هل يباح هذا الكلام أم لا؟ وهل قائله بغير اعتقاد يلزمه شيء أم لا؟ وإنما اعتقد أنه لولا الله الذي وفقني للحرث أو التجارة ما قال هذا، غير أن اللفظ المتقدم جار على اللسان من غير اعتقاد، فهل هما سواء لأجل التلفظ بذلك أم لا؟

فأجاب: الحمد لله، لا يجوز ذلك، قد نقل بعض المتأخرين أنهم يجعلون لله شريكًا، تعالى الله عن الشريك، ولكن قائله يستغفر الله، ولا يقول ذلك أكثر ويتوب من مقالته، والذي يعتقد أن الله ألهمه التجارة فإذا اعتقد ذلك فحسن، والله أعلم اهـ[٣].

وفي تفسير قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ٢٢] قال عبد الله بن عباس: الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله

---

(١) المفهم شرح صحيح مسلم (١/ ٢٥٩).

(٢) الفقيه المحصل العلامة حامل لواء المذهب على رأس التاسعة أحمد بن يحيى بن عبد الواحد، أخذ عن علماء تلمسان، ثم حصلت له كائنة من جهة السلطنة فانتهبت داره، وفر لفاس سنة (٨٧٤ هـ) فتوطنها إلى أن مات فيها. من تصانيفه: إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك، والمعيار المعرب عن فتاوى أفريقية والمغرب اثنا عشر جزءا، والقواعد في الفقه المالكية والفائق في الأحكام والوثائق والفروق.
شجرة النور الزكية (٢٧٤)، ونيل الابتهاج على الدِّيباج (ص٧٣).

(٣) المعيار المعرب (٢/ ٣٨٥).

وحياتك يا فلانة، وحياتي، وتقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها (فلان) هذا كله به شرك[١].

وعن إبراهيم النخعي أنه كان يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك، ويرخص أن يقول أعوذ بالله ثم بك، ويكره أن يقول لولا الله وفلان، ويرخص أن يقول لولا الله ثم فلان[٢].



---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١/ ٦٢) رقم (٢٢٩) وإسناده جيد.

(٢) رواه معمر في جامعه (١٩٨١١).

فصل: منع الأئمة المالكية
من التبرك بالأشجار والأحجار والقبور حماية للتوحيد

ذكر الإمام الطرطوشي رحمه الله حديث ذات أنواط[١] ثم قال:

فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، وينوطون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها[٢].

قال قتادة[٣] في قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة ١٢٥]: إنما أمروا أن يصلوا عنده، ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة ما تكلفته الأمم قبلها، ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثر عقبه

---

(١) هو حديث أَبِي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين، مرَّ بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط، يعلقون عليها أسلحتهم، فقالو: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: سبحان الله! هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده، لتركبن سنة من كان قبلكم خرجه الترمذي في السنن (٢١٠٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) الحوادث والبدع ص ٣٨

(٣) قتادة بن دعامة بن قتادة، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين أبو الخطاب السدوسي البصري مولده في (سنة ٦٠ هـ) وكان من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ. روى عنه أئمة الإسلام، قال سعيد بن المسيب لقتادة: ما كنت أظن أن الله خلق مثلك، وقال أحمد بن حنبل: كان قتادة عالما بالتفسير، وباختلاف العلماء، ثم وصفه بالفقه والحفظ، وأطنب في ذكره، وقال: قلما تجد من يتقدمه. توفي قتادة (سنة١١٨ هـ).

وأصابعه فيه، فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق[١].

قال ابن جريج: قلت لعطاء بن أبي رباح[٢]: أرأيت أحدًا يقبّل المقام أو يلمسه؟ فقال: أما أحد يعتبر به فلا[٣].

وأتى ابن الزبير على قوم يمسحون المقام، فقال: إنكم لم تؤمروا بمسحه، وإنما أمرتم بالصلاة عنده[٤].

وأخرج ابن أبي شيبه عن سعيد بن المسيب[٥]: **أنه كره أن يضع**

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (٢٠٠٢)، والأزرقي في تاريخ مكة (٢/ ٢٩).

(٢) عطاء بن أبي رباح الإمام شيخ الإسلام مفتي الحرم أبو محمد القرشي المكي، ولد في أثناء خلافة عثمان، حدث عن جماعة من الصحابة منهم عائشة، وأم سلمة، وأم هانئ، وأبي هريرة، وابن عباس، قال عمر بن سعيد بن أبي حسين، عن أمه أنها أرسلت إلى ابن عباس تسأله عن شئ، فقال: يا أهل مكة! تجتمعون علي وعندكم عطاء، قال أبو حازم: ما أدركت أحدًا أعلم بالحج من عطاء بن أبي رباح، قال إبراهيم بن عمر بن كيسان: أذكرهم في زمان بني أمية يأمرون في الحج مناديا يصيح: لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح، فإن لم يكن عطاء، فعبد الله بن أبي نجيح.، قال ابن جريج: كان المسجد فراش عطاء عشرين سنة، وكان من أحسن الناس صلاة. توفي (سنة ١١٧ هـ) (سير أعلام النبلاء ٥/ ٥).

(٣) أخرجه الفاكهي في تاريخ مكة (١/ ٤٥٨) (رقم ١٠٠٥) وعبد الرزاق في المصنف (٨٩٥٧).

(٤) أخرجه الفاكهي في تاريخ مكة (١/ ٤٥٧) رقم (١٠٠٤).

(٥) سعيد بن المسيب بن حزن بن مخزوم أبو محمد القرشي المخزومي، إمام دار الهجرة وعالم أهل المدينة وسيد التابعين في زمانه وبه تفقه الإمام مالك بن أنس، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر رضي الله عنه،رأى عمر، وسمع عثمان، وعليًا رضي الله عنه، كان عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة لا يقضي حتى يسأل سعيد بن المسيب، وكان يقول: ما كان بالمدينة عالم إلا يأتيني بعلمه، وكنت أوتى بما عند سعيد بن المسيب، توفي (سنة ٩٣هـ).
(سير أعلام النبلاء ٤/ ٤).

يده على المنبر(١).

قال ابن عبد الحكم: ولا يتعلق بأستار الكعبة عند الوداع، وكذلك عند قبر النبي ﷺ.

قال الأبهري في الشرح: إنما قال ذلك لأنه لم ينقل عن النبي ﷺ أنه فعل ذلك بأستار الكعبة، ولا نقل عن أصحابه أنهم فعلوا بعده، وليس ينبغي لأحد أن يفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ ولا أصحابه(٢).

وعن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر: **أنه كان يكره مس قبر النبي ﷺ**(٣).

عن المعرور بن سويد قال: خرجنا مع عمر في حجة حجها، فقرأ بنا في الفجر: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾ [الفيل ١] و﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ [قريش ١] فلما قضى حجة ورجع رأى الناس يبتدرون، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ، فقال: **هكذا هلك أهل الكتاب، اتخذوا آثار أنبيائهم بيعًا، من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصل، ومن لم تعرض له منكم فيه الصلاة فلا يصل**(٤).

قال سمرة بن جندب رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح ١٠]: كانت بالحديبية، فكانت هذه الشجرة يعرف موضعها ويؤتى هذا المسجد، حتى كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فبلغه أن

---

(١) المصنف (٤/ ١٢١).
(٢) شرح الأبهري على مختصر ابن عبد الحكم (٢/ ١٢٤/ ب).
(٣) رواه الذهبي في معجم الشيوخ (ص ٥٥).
(٤) الحوادث والبدع (ص ١٤٨)، مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٣٦٧).

الناس يأتونها ويصلون عندها ويعظِّمونها، فرأى أن ذلك من فعلهم حدث(١).

قال الطرطوشي: أمر عمر بن الخطاب بقطع الشجرة التي بويع النبي ﷺ تحتها، لأن الناس كانوا يذهبون تحتها، فخاف عمر الفتنة عليهم(٢).

قال ابن الحاج المالكي رحمه الله(٣): ينبه العالم غيره ويحذرهم من تلك البدع التي أحدثت هناك، فترى من لا علم عنده يطوف بالقبر الشريف كما يطوف بالكعبة الحرام، ويتمسح به ويقبله ويلقون عليه مناديلهم وثيابهم، يقصدون به التبرّك، وذلك كله من البدع؛ لأن التبرك إنما يكون بالاتباع له عليه الصلاة والسلام وما كان سبب عبادة الجاهلية للأصنام إلا من هذا الباب.

ولأجل ذلك كره علماؤنا رحمة الله عليهم التمسح بجدار الكعبة، أو بجدران المسجد، أو بالمصحف إلى غير ذلك مما يتبرك به سدًّا لهذا

---

(١) تاريخ مكة للفاكهي (٢٨١٦).

(٢) الحوادث والبدع (ص ١٤٨).

(٣) محمد بن محمد بن محمد بن الحاج، أبو عبد الله العبدري الفاسي نزيل مصر، سمع ببلاده ثم قدم الديار المصرية، وحج وسمع الموطأ من الحافظ تقي الدين عبيد الأسعردي وحدث به، ولزم الشيخ أبا محمد بن أبي جمرة، فعادت عليه بركاته وصار ملحوظًا بالمشيخة والجلالة بمصر، وجمع كتابًا سماه المدخل كثير الفوائد كشف فيه عن معايب وبدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها، وأكثرها مما ينكر وبعضها مما يحتمل، وذكره ابن الملقن في طبقات الأولياء وقال: وكان متزهدًا متعبدًا، عمر ومات في جمادى الأولى (سنة ٧٣٧هـ).
(طبقات الأولياء ص ٧٦، الدرر الكامنة ٢/ ٩٩، الوافي بالوفيات ١/ ١٠٣).

الباب ولمخالفة السنة؛ لأن صفة التعظيم موقوفة عليه ﷺ، فكل ما عظمه رسول الله ﷺ نعظِّمه ونتبعه فيه، فتعظيم المصحف قراءته، والعمل بما فيه لا تقبيله ولا القيام إليه كما يفعل بعضهم في هذا الزمان، وكذلك المسجد تعظيمه الصلاة فيه لا التمسح بجدرانه.

وكذلك الورقة يجدها الإنسان في الطريق فيها اسم من أسمائه تعالى، أو اسم نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ترفيعه إزالة الورقة من موضع المهانة إلى موضع ترفع فيه لا بتقبيلها، وكذلك الخبز يجده الإنسان ملقى بين الأرجل؛ تعظيمه أكله لا تقبيله، وكذلك الولي تعظيمه اتباعه لا تقبيل يده وقدمه، ولا التمسح به، فكذلك ما نحن بسبيله تعظيمه باتباعه لا بالابتداع عنده[١].



(١) المدخل (١/ ٢٦٣).

فصل: منع الأئمة المالكية رحمهم الله من الذّبح لغير الله تعالى

قال ابن المواز رحمه الله[(١)]: وكره مالك ما ذبحوا للكنائس أو لعيسى أو لجبريل لأعيادهم من غير تحريم، وأما ما ذبح للأصنام فمحرم لقول الله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة ٣][(٢)].

وقال عبد الملك بن حبيب رحمه الله[(٣)]: وأما ما ذبحوه لأعيادهم

(١) الإمام العلامة فقيه الديار المصرية، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن زياد الاسكندراني المالكي ابن المواز، صاحب التصانيف مولده (سنة ١٨٠ هـ) أخذ المذهب عن: عبد الله بن عبد الحكم، وعبد الملك بن الماجشون، انتهت إليه رئاسة المذهب، والمعرفة بدقيقه وجليله. قال الشيرازي: والمعول بمصر على قوله. قال ابن حارث: كان راسخًا في الفقه، وقال القاضي عياض: وله كتابه المشهور الكبير، وهو أجل كتاب ألّفه قدماء المالكيين وأصحها مسائل، وأبسطها كلامًا، وأوعبها، وذكره أبو الحسن القابسي، ورجحه على سائر الأمهات، وقال: لأن صاحبه قصد إلى بناء فروع أصحاب المذهب على أصولهم في تصنيفه، وغيره إنما قصد بجمع الروايات ونقل مقصور السماعات، ومنهم من نقل عنه الاختيارات في مشروحات أفردها وجوابات لمسائل سئل عنها، ومنهم من كان قصده الذب عن المذهب فيما فيه الخلاف، إلا ابن حبيب فإنه قصد إلى بناء المذهب عن معان تأدت إليه، وربما قنع بنص الروايات على ما فيها توفي (سنة ٢٩٦ هـ).
(ترتيب المدارك ٤/ ١٦٧، الديباج المذهب ٢/١٦٦، سير أعلام النبلاء ١٣/٦).

(٢) النوادر والزيادات (٤/ ٣٦٥).

(٣) الإمام العلامة فقيه الأندلس عبدالملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمة ابن الصحابي عباس بن مرداس السلمي العباسي الأندلسي القرطبي المالكي، أحد الأعلام، ولد في حياة الإمام مالك بعد السبعين ومئة. وأخذ عن الغاز بن قيس، =

ولكنائسهم ولعيسى وللصليب ونحوه، فيكره من غير تحريم، وإنه ليضاهي ما أهل به لغير الله، وإن أكله لمن تعظيم شركهم(1).

قال ابن حبيب: قال ابن شهاب(2): ولا ينبغي الذبح للعوامر من الجان، وقد نهى النبيﷺ عن الذبح للجان(3).

= وزياد شبطون، وصعصعة بن سلام. ثم ارتحل في حدود سنة عشر ومئتين، وحج، وحمل عن: عبدالملك بن الماجشون، ومطرف بن عبدالله اليساري، وأسد ابن موسى السنة، وأصبغ بن الفرج، وأبي صالح، وإبراهيم بن المنذر الحزامي، وعدة من أصحاب مالك والليث، ورجع إلى قرطبة بعلم جم، وفقه كثير. وكان موصوفا بالحذق في الفقه، كبير الشأن، بعيد الصيت، كثير التصانيف إلا أنه في باب الرواية ليس بمتقن، بل يحمل الحديث تهورًا كيف اتفق، وينقله وجادة وإجازة، ولا يتعانى تحرير أصحاب الحديث. صنف كتاب «الواضحة» في عدة مجلدات، كان محمد بن عمر بن لبابة، يقول: ابن حبيب عالم الأندلس، وقال أبو القاسم بن بشكوال: قيل لسحنون: مات ابن حبيب. فقال: مات عالم الأندلس! بل ـ والله ـ عالم الدنيا، مات عبدالملك بن حبيب يوم السبت لأربع مضين من رمضان (سنة ٢٣٨ هـ).
(ترتيب المدارك ٣/ ٣٠، الديباج المذهب ٢/ ٨، سير أعلام النبلاء ١٢/ ١٠٢).

(١) النوادر والزيادات (٤/ ٣٦٨).

(٢) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، الإمام العلم حافظ زمانه أبو بكر القرشي المدني نزيل الشام. روى عن ابن عمر، وجابر بن عبدالله شيئًا قليلًا، مولده (سنة ٥٠ هـ)، قال مالك رحمه الله: بقي ابن شهاب، وماله في الناس نظير. وقال الليث: عن جعفر بن ربيعة، قلت لعراك بن مالك: من أفقه أهل المدينة؟ قال: أما أعلمهم بقضايا رسول الله ﷺ، وقضايا أبي بكر وعمر وعثمان، وأفقههم فقهًا، وأعلمهم بما مضى من أمر الناس، فسعيد بن المسيب، وأما أغزرهم حديثًا فعروة، ولا تشاء أن تفجر من عبيدالله بن عبدالله بحرًا إلا فجرته وأعلمهم عندي جميعًا ابن شهاب، فإنه جمع علمهم جميعًا إلى علمه.، توفي (سنة ١٢٤ هـ).
سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٦).

(٣) النوادر والزيادات (٤/ ٣٦٩).

قال قتادة: والله ما نعلمه كان شرك قط إلا بإحدى ثلاث، أن يدعو مع الله إلها آخر، أو يسجد لغير الله أو يسمي الذبائح لغير الله[١].

أخرج مسلم في الصحيح عن أبي الطفيل عامر بن واثلة أن النبي ﷺ قال: (لعن الله من ذبح لغير الله)[٢].

* * *

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (١٣٨٢٤).
(٢) صحيح مسلم (٣٦٥٧).

فصل: منع الإمام مالك رحمه الله الحلف بغير الله تعالى لأنه من المضاهاة لله تعالى

قال الإمام مالك رحمه الله: وأكره أن يحلف أحد بحق الخاتم[١].

وقال رحمه الله: من كان حالفًا فليحلف بالله[٢].

قال سحنون: قلت أرأيت إن حلف الرجل باسم من أسماء الله، أتكون أيمانا في قول مالك، مثل أن يقول والعزيز، والسميع، والعليم، والخبير واللطيف، هذه وما أشبهها في قول مالك كل واحدة منها يمين؟

قال: نعم[٣].

وقال الإمام مالك رحمه الله: لا بأس أن يحلف النصراني في الكنيسة، ولا يحلف بغير الله[٤].

وقال سحنون رحمه الله: أرأيت إن قال وعزة الله، وكبرياء الله، وقدرة الله، وأمانة الله؟

قال: هذه عندي أيمان كلها، وما أشبهها، ولم أسمع من مالك فيها شيئًا[٥].

---

(١) الجامع لابن أبي زيد (ص ١٩٣).
(٢) المدونة (٢/ ٣٢).
(٣) المدونة ٢/ ٢٩
(٤) كتاب القضاء في البيوع من (موطأ ابن وهب ص ٨٥).
(٥) المدونة (٢/ ٢٩).

وقال ابن وهب رحمه الله: عن سفيان بن عيينة عن مسعر بن كدام عن وبرة عن همام بن الحارث أن عبد الله بن مسعود كان يقول: **لأن أحلف بالله كاذبًا أحبُّ إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا**(١).

وقال الإمام أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله: وفي غير رواية يحيى عن مالك، أنه بلغه عن ابن عباس أنه كان يقول: لأن أحلف بالله بإثم، أحبُّ إليَّ من أن أظاهر، فالمظاهرة أن يحلف بغير الله تعظيمًا للمحلوف به، فشبه خلق الله به في التعظيم، قال الله تعالى: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ﴾ [التوبة ٣٠]، ومعناه أن أحلف بالله فآثم أي فأحنث أحبُّ إليَّ من أن أحلف بغيره أبر(٢).

وقال شيخ المالكية ابن أبي زيد والملقب بمالك الصغير: قال ابن عباس: لأن أحلف بالله فآثم، أحبّ إلي من أن أضاهي، فقيل: معناه الحلف بغير الله، وقيل يعني الإلغاز والخديعة بربه، أنه حلف ولم يحلف، والأول أولى لأنه عظَّم غير الله في الحلف به، لقوله ﷻ ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [التوبة ٣٠] أي ما يشبه قولهم(٣).

قال عبد الملك بن حبيب في شرح قول ابن عباس (**لأن أحلف آثمًا أحبّ إليّ من أن أضاهي**): كان مالك يقول: المضاهاة: الإلغاز والخديعة، يريد أنه يحلف بالله وهو لا يحلف به، وليس هو ذلك عندي،

---

(١) المدونة (٢/ ٣٣)، ورواه ابن أبي شيبة (١٢٤٠٢) والطبراني في الكبير (٨٨١) وأبو الشيخ في طبقات المحدثين (١/ ٤٩٧) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٧٩) من طرق عن مسعر به. ورواه عبد الرزاق في (المصنف ١٥٩٢٩) من طريق الثوري عن أبي سلمة عن وبرة قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) الاستذكار (٥/ ٢٠٣).

(٣) النوادي والزيادات (٤/ ٦).

إنما المضاهاة أن يحلف بغير الله، لأنه إذا حلف بغير الله فقد عظم غير الله، وجعل لله شبيهًا في التّعظيم، وهو مثل قوله ﷻ: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [التوبة ٣٠] معناه يقولون قولًا يشبه قول الذين كفروا(١).

قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله: وفي هذا الحديث من الفقه أنه لا يجوز الحلف بغير الله ﷻ في شيء من الأشياء، ولا على حال من الأحوال، وهذا أمر مجتمع عليه، وقد روى سعيد بن عبيدة عن ابن عمر فيه حديثًا شديدًا أنه سمع رسول الله ﷺ يقول من حلف بغير الله فقد أشرك(٢) ذكره أبو داود وغيره(٣).

* * *

(١) تفسير غريب الموطأ (٢/ ٩٠).

(٢) أخرجه أبو داود في السنن (٢٨٢٩) والترمذي (١٤٥٥) وقال: هذا حديث حسن.

(٣) التمهيد (١٤/٣٦٦).

فصل: نهي الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ عن الطيرة

قال شيخ المالكية ابن أبي زيد[١]: وكان النبي ﷺ يكره الطيرة ويعجبه الفأل الحسن، ويكره سيّىء الأسماء وقال: **«لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»**[٢].

وسئل مالك رَحِمَهُ اللَّهُ عن الحجامة والأطلاء يوم السبت ويوم الأربعاء؟ فقال: لا بأس بذلك.

فقيل له: فتفعله أنت؟

قال: نعم وأُكثره وأَتعمَّده، وليس يوم إلا وقد احتجمت فيه، ولا أَكره شيئًا من هذا لا حجامة ولاطلاءً ولا نكاحًا ولا سفرًا في شيء من الأيام.

قال أبو الوليد بن رشد رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا كما قال إنه لا بأس بالحجامة والاطِّلاء والنكاح والسفر وغير ذلك من الأشياء في يوم السبت ويوم الأربعاء، لأن الامتناع من شيء من ذلك في يوم السبت ويوم الأربعاء

---

(١) الجامع لابن أبي زيد (ص ٢٦٧).

(٢) خرجه مالك في الموطأ كتاب الجامع، باب عيادة المريض والطيرة (٥/ ١٣٨٠) رقم (٣٤٨٣) من حديث بكير بن عبد الله بن الأشج عن ابن عطية أن رسول الله ﷺ قال: لا عدوى ولا هام ولا صفر، ولا يحل الممرض على المصح، وليحلل المصح حيث شاء فقالوا يا رسول الله وما ذاك فقال رسول الله ﷺ إنه أذى.

وخرجه البخاري (٥٣٨٠) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم كما تفر من الأسد).

من التطير الذي قد أبطله رسول الله ﷺ بقوله: «**لا طيرة**» وبقوله: «**لا عدوى ولا هام ولا صفر**».

والأصل في تطير الناس بيوم الأربعاء ما جاء من أن الأيام النحسات التي أهلك الله فيها قوم عاد بالريح، كانت ثمانية أيام أولها الأربعاء وآخرها الأربعاء. وهي الثمانية الأيام التي قال الله فيها: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ﴾ [الحاقة ٧] الآية، والأصل في تطيرهم يوم السبت أن بني إسرائيل عَدوا فيه فمسخهم الله قردةً وخنازير. قال تعالى: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾ [الأعراف ١٦٣] الآية.

ولصحة إيمان مالكٍ بالقدر، ومعرفته أن اليوم لا يضر ولا ينفع، وتصديقه بما جاء عن رسول الله ﷺ من إبطال التطير، كان لا يكره حجامة ولا نكاحًا ولا شيئًا من الأشياء في السبت والأربعاء، بل يتعمد ذلك فيهما، وكذا ينبغي لكل مسلم أن يفعل، لأن من يتطير فقد أثم[(١)].

وقال شهاب الدين القرافي رحمه الله: والطيرة حرام لما في الحديث أنه كان يحب الفأل ويكره الطيرة، ولأنها من باب سوء الظن بالله تعالى، والفرق بينهما أن التطير هو الظن السيِّىء بالله والطيرة هو الفعل المرتب عليه، ولا يكاد المتطير يسلم مما تطير منه إذا فعله، وغيره لا يتأذى به.

سئل عن ذلك بعض العلماء فقال: المتطير اعتقد أن الله يضره فضره عقوبة له على سوء الظن وغير المتطير لم يسيء ظنه بالله فلم يؤاخذه.

---

(١) البيان والتحصيل (١٧/ ٢٢).

وأصل ذلك قوله ﷺ حكاية عن الله: «**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**»(١) وفي رواية: «**فليظن بي خيرًا**».

ثم هذا المقام يحتاج إلى تحقيق؛ فإن الإنسان لو خاف الهلاك عند ملاقاة السبع لم يحرم إجماعًا، فيتعين أن الأشياء في العالم قسمان: ما جرت العادة بأنه مؤذ كالسموم والسباع ومعاداة الناس، والتخم وأكل الأغذية الثقيلة المنفخة عند سيىء الهضم ونحوها، فالخوف في هذا القسم ليس حرامًا لأنه خوف عند سبب محقق في مجاري العادات.

قال صاحب القبس: قال بعض العلماء: لا عدوي محمول على بعض الأمراض بدليل الوباء.

وقسم لم تطرد العادة بأذيته كالشق والعبور بين الغنم وشراء الصابون يوم السبت ونحوها، فهذا حرام الخوف منه لأنه سوء ظن بالله من غير سبب، ومن الأشياء ما هو قريب من أحد القسمين ولم تتمخض كالعدوى في بعض الأمراض ونحوها، فالورع ترك الخوف حذرًا من الطيرة ومن ذلك الشؤم(٢).

---

(١) أخرج البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «يقول الله ﷻ أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسهِ ذكرته في نفسي وإن ذكرني فى ملإ ذكرته فى ملإ هم خير منهم وإن تقرّب مني شبرًا تقربت إليه ذراعًا وإن تقرّب إلي ذراعًا تقربت منه باعًا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة ». وخرجه الدارمي (٢٧٨٧) من حديث واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ قال: «قال الله تبارك وتعالى: أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء».

(٢) الذخيرة للقرافي (١٣/ ٢٥٤).

ومن أنواع الطيرة فتح الختمة(١)

قال ابن الحاج رحمه الله: وأشد من ذلك التفاؤل في فتح الختمة، والنظر في أول سطر يخرج منها أو غيره، وذلك باطل وقد نهي عنه.

بيان ذلك أنه قد يخرج له منها آية عذاب ووعيد، فيقع له التشويش من ذلك، فرفع عنه ذلك حتى تنقطع عنه مادة التشويش، بل يخشى عليه أن يقع له ما هو أشد من ذلك، ويؤول أمره إلى الخطر العظيم.

ألا ترى إلى ما جرى لبعض الملوك أنه فتح المصحف، ليأخذ منه الفأل، فوجد في أول سطر منه: ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥﴾ [إبراهيم ١٥] فوجد من ذلك أمرًا عظيمًا، حتى خرج بذلك عن حال المسلمين، وجرت منه أمور لا يمكن ذكرها لمنافرتها لحال المسلمين(٢).

وقال أبو بكر الطرطوشي رحمه الله: إن أخذ الفأل بالمصحف، وضرب الرمل ونحوهما حرام، وهو من باب الاستقسام بالأزلام مع أن الفأل حسن بالسنة، وتحريره: أن الفأل الحسن هو ما يعرض من غير كسب مثل قائل يقول: يا مفلح ونحوه(٣).

والتفاؤل المكتسب حرام، كما قاله الطرطوشي في تعليقه.

وقال أبو بكر ابن العربي رحمه الله: قول الله تعالى: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ

---

(١) والمقصود به ما يفعله بعض الجهلة من الناس أنه إذا أراد فعل شيء معين، فتح أي صفحة من المصحف من دون سابق معرفة، فإذا ظهرت له آية تبشره بخير أقدم على فعل ما يريد، وإذا فتح على آية فيها وعيد وزجر وتهديد أحجم ولم يقدم، وهذا من البدع والضلالة كما سيأتي

(٢) المدخل (١/ ٤٢٦).

(٣) الذخيرة (١٣/ ٢٥٦).

﴿بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ﴾ [المائدة ٣]، وهو محرم، فسق ممن فعله، فإنه تعرَّض لعلم الغيب، ولا يجوز لأحد من خلق الله أن يتعرَّض للغيب ولا يطلبه، فإن الله سبحانه قد رفعه بعد نبيه إلا في الرؤيا.

فإن قيل: فهل يجوز طلب ذلك في المصحف؟

قلنا: لا يجوز فإنه لم يكن المصحف ليعلم به الغيب، إنما بينت آياته، ورسمت كلماته ليمنع عن الغيب، فلا تشتغلوا به، ولا يتعرض أحدكم له(١).

***

فصل: منع الإمام مالك رحمه الله من تعليق الأوتار والقلائد مخافة العين

أخرج الإمام مالك رحمه الله في الموطأ عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، قال: فأرسل رسول الله ﷺ

---

(١) أحكام القرآن (٣/ ٥٩)، قال الشيخ محمد خضر الشقيري: ومن ذلك ـ يعني من أنواع الطيرة ـ أخذ الفأل والبخت من المصحف، ولا أدري ماذا يصنع صاحب البخت إن وقف على آية ﴿فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٢٧٩] أو ﴿لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العلق ١٥] أو ﴿نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ﴾ [العلق ١٦] أو ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق ١٨] مثلًا، وفي كتاب أدب الدنيا والدين: أن الوليد بن يزيد تفاءل يومًا في المصحف، فخرج له قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾ فمزَّق المصحف، وأنشأ يقول:

أتوعد كلَّ جبار عنيدِ ... فها أنا ذاك جبّار عنيدُ
إذا ما جئت ربك يوم حشر ... فقل يا رب مزقني الوليدُ

فلم يلبث إلا أيامًا حتى قتل شر قتله، وصلب رأسه على قصره نعوذ بالله، وهذا فعل مذموم جدًا يجب تركه ومحاربته. (السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات للشقيري ص ١٩٣).

رسولًا ـ قال عبد الله بن أبي بكر: حسبت أنه قال والناس في مقيلهم ـ لا تبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت.

قال يحيى: سمعت مالك يقول: أرى ذلك من العين(١).

قال عبد الملك بن حبيب رحمه الله في قول النبي ﷺ: لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر إلا قطعت:

أما علة ذلك فمن قبل التمائم، والتمائم: كل ما علق على الإنسان أو على الفرس أو البعير، أو غيره خيفة العين أو خيفة أمر لم ينزل بعد، فتلك التميمة.

وقد نهى رسول الله ﷺ عنها في غير حديث، وهو الذي كان مالك يقول في تأويل هذا الحديث، وأنه إنما كانت قلادة تعلق على الإبل أو على الخيل خيفة العين(٢).

وقال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله: قد فسر مالك هذا الحديث أنه من أجل العين، وهو عند جماعة أهل العلم كما قال مالك، لا يجوز عندهم أن يعلق على الصحيح من البهائم أو بني آدم شيء من العلائق خوف نزول العين، لهذا الحديث(٣).

وخرج ابن وهب في الجامع عن عقبة بن عامر الجهني قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من علق تميمة فلا أتم الله عليه، ومن علق ودعة فلا ودع الله له**»(٤).

---

(١) كتاب الجامع، باب ما جاء في نزع المعاليق والجرس من العين رقم (٣٤٥٦).

(٢) تفسير غريب الموطأ ٢/ ١٤٦

(٣) التمهيد ١٧/ ١٦٠

(٤) أخرجه ابن وهب في الجامع، باب في التمائم والتولة ٢/ ١٥٧ وابن عبد الحكم =

وعن أبي قبيل المعافري، قال: حدثني رجل من بني غفار، قال: **دخلت أمي بي على رسول الله وعلي تميمة، فقطعها رسول الله ﷺ**[١].

وعن يحيى بن سعيد قال: بلغنا أن عبد الله بن مسعود دخل على بعض أهله وعليه خرزة معلقة، فقطعها، ثم قال: **إن أهل ابن مسعود لأغنياء عن الشرك**[٢].

وعن بكر بن سوادة عن رجل من صدا قال: أتينا النبي ﷺ اثنا عشر رجلًا، فبايعنا وترك منّا رجلًا لم يبايعه، فقلنا: بايعه يا نبي الله،

= في فتوح مصر ص ٢٨٩، وأحمد في المسند (٢٨/ ٦٢٣، رقم ١٧٤٠٤) وأبو يعلى (١٧٥٩) وصححه ابن حبان (٦٠٨٦) والحاكم (٤/ ٢١٦).

(١) خرجه ابن وهب في الجامع (٢/ ١٦٠) والبغوي في معرفة الصحابة (٣/ ١٩٣) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣/ ١٣٨٣) من طريق ابن لهيعة قال ثنا أبو قبيل المعافري به، وأبو قبيل هو حيي بن هانئ، تابعي يروي عن الصحابة، وثقه أحمد وابن معين وأبو زرعة، وإسناده حسن.

(٢) خرجه الإمام أحمد (٦/ ١١٠) وأبو داود (٣٨٨٣) من حديث زينب امرأة عبد الله ابن مسعود قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق، كراهية أن يهجم منا على شيء يكرهه، قالت: وإنه جاء ذات يوم فتنحنح، قالت: وعندي عجوز ترقيني من الحمرة، فأدخلتها تحت السرير، فدخل فجلس إلى جنبي فرأى في عنقي خيطًا، قال: ما هذا الخيط؟ قالت: قلت: خيط أرقي لي فيه؟ قالت: فأخذه فقطعه ثم قال: إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الرقى والتمائم والتولة شرك.

قالت: فقلت له: لم تقول هذا وقد كانت عيني تقذف، فكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها، وكان إذا رقاها سكنت؟ قال: إنما ذلك عمل الشيطان، كان ينخسها بيده فإذا رقيتها كف عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال رسول الله ﷺ: أذهب الباس رب الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا، وصححه الحاكم (٢/ ٢١٦).

قال: **«لن أبايعه حتى ينزع الذي عليه؛ إنه من كان منّا عليه مثل الذي عليه كان مشركًا ما كانت عليه»**.

قال: فنظرنا فإذا في عضده سير فيه شيء من لحا شجرة، أو شيء من شجرة[(١)].

وعن علي بن أبي طالب كان يقول: **تعليق التمائم شعبة من شعب الجاهلية**[(٢)].

وعن بكير بن عبد الله: أن أمه حدثته: أنها أرسلت إلى عائشة زوج النبي ﷺ بأخيه مخرمة، وكان يداوى من قرحة تكون بالصبيان، فلما رأته عائشة وفرغت منه رأت في رجليه خلخالي حديد، فقالت عائشة: أظننتم أن هذين الخلخالين يدفعان عنه شيئًا كتبه الله عليه، لو رأيتهما ما تداوى عندي، أو ما مس عندي، لعمري لخلخالين من فضة أطهر من هذين[(٣)].

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/ ٣٢٥) من طريق ابن وهب به عن يحيى ابن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن بكر بن سوادة به، والإسناد فيه شيء من الضعف، غير أن له شاهدًا من حديث عقبة بن عامر أخرجه الإمام أحمد (٢٨/ ٦٣٧) عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن عبد العزيز بن مسلم عن يزيد بن أبي منصور عن دخين الحجري عن عقبة بن عامر قال: إن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط، فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله بايعت تسعة وتركت هذا؟ قال: إن عليه تميمة، فأدخل يده فقطعها فبايعه وقال: من علق تميمة فقد أشرك. وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات غير دخين الحجري وهو ثقة.

(٢) أخرجه ابن وهب في الجامع (٢/ ١٦٤)، ورجاله ثقات، لكن عبد الله بن هبيرة عن علي رضي الله عنه منقطع.

(٣) أخرجه ابن وهب في الجامع (٢/ ١٦٥).

فصل: هل يجوز تعليق الرقى بعد نزول المرض إذا كان بكلام الله تعالى

قيل للإمام مالك رحمه الله : فيكتب للمحموم القرآن؟

قال: لا بأس به، ولا بأس أن يرقى بالكلام الطيب، ولا بأس بالمعاذة تعلق وفيها القرآن وذكر الله إذا خرز عليها جلدا[١].

وسئل رحمه الله عن الذي يكتب له القرآن من الحمى؟

فقال: لا بأس به، وما سمعت فيه شيئًا.

وسئل: أيرقي الرجل ويسترقي؟

فقال: لا بأس بذلك بالكلام الطيِّب.

قيل: أيعلق شيئًا من هذه الكتب أو يعلقها؟

قال كذلك أيضًا: إن كان ما لا بأس به فلا بأس بذلك[٢].

وسئل رحمه الله: عما يعلق في أعناق النساء من القرآن وهن حيض؟

فقال: ليس بذلك بأس إذا جعل في كن في قصبة حديد أو جلد يخرز عليه، وكذلك الصبيان فلا أرى بذلك بأسًا.

قلت: أرأيت إن علق هكذا ليس عليه شيء يكنه؟

فقال: ما رأيت من يفعل ذلك، وليس يفعل هذا.

---

(١) الجامع لابن أبي زيد (ص ٢٦٤).

(٢) البيان والتحصيل (١٨/ ٤٢٦).

قيل له: أفرأيت الحبلى يكتب لها الكتاب تعلقه؟

قال: أرجو أن لا يكون بذلك بأس، إذا كان ذلك من القرآن وذكر الله شيئًا معروف، وأما ما لا يدرى ما هو، والكتاب العبراني وما يعرفه فإني أكرهه(١).

قال ابن وهب رَحِمَهُ اللهُ: سمعت مالكًا يقول لا بأس بالكتاب الحسن الذي فيه ما لا ينكر، يعلق على المرضى(٢).

قال ابن وهب: وقال مالك: لا بأس أن تعلق الحائض والجنب والذي هو غير متوضئ الكتاب فيه التعوذ من القرآن، إذا كان في شيء يكنه قصبه أو يحرز عليه أدم(٣).

قال أبو عمر بن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: وكل ما يعلق بعد نزول البلاء من أسماء الله وكتابه رجاء الفرج والبرء من الله ﷻ، فهو كالرقى المباح، الذي وردت السنة بإباحته من العين وغيرها، وقد قال مالك رَحِمَهُ اللهُ: لا بأس بتعليق الكتب التي فيها أسماء الله ﷻ على أعناق المرضى على وجه التبرك بها، إذا لم يرد معلِّقها بتعليقها مدافعة العين، وهذا معناه قبل أن ينزل به شيء من العين، ولو نزل به شيء من العين جاز الرقى عند مالك(٤).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: لا أعلم خلافًا بين العلماء في جواز الرقية من العين أو الحمة، وهي لدغة العقرب وما كان مثلها، إذا كانت الرقية بأسماء الله ﷻ، ومما يجوز الرقي به، وكان ذلك بعد نزول الوجع والبلاء، وظهور العلّة والداء.

---

(١) البيان والتحصيل (١/ ٤٣٨).
(٢) شرح الأبهري على مختصر ابن عبد الحكم (ص٥٦).
(٣) شرح الأبهري على مختصر ابن عبد الحكم (ص٥٦).
(٤) التمهيد ١٧/ ١٦١

وإن كان ترك الرقى عندهم أفضل وأعلا، لما فيه من الاستيقان بأن العبد ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأنه لا يَعْـدُ شيء وقته، وأن الأيام التي قضى الله بالصحة فيها لم يسقم فيها من سبق في علم الله صحته.

ثم روى عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: **«عرضت علي الأمم، فرأيت أمتي، فأعجبتني كثرتهم قد ملؤوا السهل والجبل، قال: يا محمد إن مع هؤلاء سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب، الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»**.

فقام عكاشة فقال: يا نبي الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: **«اللهم اجعله منهم**، ثم قام آخر فقال: **ادع الله أن يجعلني منهم**، فقال: **سبقك بها عكاشة»**[١].

وروى عن الشعبي عن بريدة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا رقية إلا من عين أو حمة»**[٢].

قال أبو عمر: وأما ما روي عن النبي ﷺ، أنه قال: من علق التمائم أو عقد الرقى، فهو على شعبة من الشرك[٣] وذلك كله أن يعلق كتابًا في عنقه، أو يرقي نفسه أو غيره لئلا ينزل به من الأدواء[٤].

---

(١) حديث ابن مسعود خرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ٤٠٣، ٤٥٤) وابن حبان في الصحيح (٦٠٨٤)، وإسناده حسن، وله شاهد في الصحيحين من حديث ابن عباس، أخرجه البخاري (٥٢٧٠) ومسلم (٣٢٣).

(٢) خرجه البخاري (٥٢٧٠) ومسلم (٣٢٣).

(٣) أخرج أبو داود في السنن (٣٨٨٥) وابن ماجة (٣٥٠٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) حديث صحيح، صححه العلامة الألباني رحمه الله.

(٤) الاستذكار (٨/ ٤٠٥).

قال ابن رشد رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: وأما التميمية بذكر الله وأسمائه، فأجازها مالك مرة في المرض، وكرهها في الصحة مخافة العين، أو لما يتقى من المرض، وأجازها مرة بكل حال في حال الصحة والمرض، ومن أهل العلم من كره التمائم في كل حال كان فيها ذكر أو لم يكن، وفي كل حال كان ذلك، في حال الصحة أو المرض، لما جاء في الحديث من (أن من تعلق شيئًا وكل إليه)[٢]، و(**من علق تميمة فلا أتم الله له، ومن علق ودعة فلا ودع الله له**)[٣].

ومنهم من أجازها على كل حال في حال المرض، ومنع منها في حال الصحة، لما روي عن عائشة أنها قالت ما علق بعد نزول البلاء فليس بتميمة[٤].

* * *

(١) البيان والتحصيل (١٧/ ١٩٦)، وانظر (١٨/ ٤٢٧)، مقدمات ابن رشد (٣/ ٤٦٥).

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٩٨) من حديث عبد الله بن عكيم أبي معبد الجهمي.
أنه قيل له في مرضه: ألا تعلق شيئًا؟ قال: الموت أقرب من ذلك، قال النبي ﷺ: من تعلق شيئًا وكل إليه.

(٣) خرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٥٤، وابن حبان في الصحيح ٦٠٨٦، باب: ذكر الزجر عن تعليق التمائم التي فيها الشرك بالله ﷻ

(٤) أخرجه ابن وهب في الجامع (٦٥٥) ومن طريقه ابن عبد البر في التمهيد (١٧/ ١٦٣) عن عبد الله بن لهيعة وعمرو بن الحارث عن بكير بن الأشج عن القاسم بن محمد أن عائشة قالت: ليس بتميمة ما علق بعد أن يقع البلاء.
وأخرجه هناد السري في الزهد (٤٤١) وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١/ ٣٩٦) من طريق ابن المبارك عن طلحة بن أبي سعيد عن بكير به ولفظه: (إنما التمائم مما علق قبل البلاء، فأما ما علق بعد البلاء، فليس من التمائم) وإسناده صحيح.

فصل: في الرقى المحرَّمة والممنوعة عند الإمام مالك رحمه الله

قال الإمام مالك رحمه الله في الرقى بغير العربية: وما يدريك لعله كفر![١].

قال المازري رحمه الله: ينهى عن الرقى إذا كانت باللغة العجمية، أو بما لا يدرى معناه، لجواز أن يكون فيه كفر، ولا بأس بالتداوي بالنشرة تكتب في ورق أو إناء نظيف سور من القرآن، أو بعض سور أو آيات متفرقة من سورة أو سورة مثل آيات الشفاء[٢].

وسئل مالك عن الرقى بالحديد والملح وعقد الخيط؟

فكره ذلك كله، وكان العقد في ذلك عنده أعظم كراهية[٣].

قيل لمالك: هل ترقي الراقية وبيدها حديدة[٤]؟

---

(١) المدخل لابن الحاج (٤/ ١٣١).

(٢) المدخل لابن الحاج (٤/ ١٨٢).

(٣) البيان والتحصيل (١٧/ ١٦٥).

(٤) قال ابن الحاج في المدخل: (٤/ ٢٠٨): ومن هذا الباب ما يفعله بعض الناس في هذا الزمان، وهو أنه إذا قرص أحدهم ثعبان أو عقرب، أخذوا سكينًا وجعلوها على الموضع الذي وصل السم إليه، وذلك يعرف بقول الملسوع، ويمرونها على بدن الملسوع إلى موضع اللّسعة، ويتكلمون حينئذ بكلام أعجمي لا يعرف.

ومن ذلك الطاسة التي يعملها بعضهم أو الإناء، وقد صوروا فيها تصاوير ممنوعة، ويعملون فيها الماء، ويسقون الملسوع، أو من عضّه كلب، وذلك كله لا يسوغ، لأن التصاوير محرمة للأحاديث الصحيحة الدالة على منع ذلك، فكيف يكون الشفاء فيه.

قال: أكره ذلك.

قال: فبالملح؟

قال: هو أخف.

وفي رواية أخرى: ترقي بالحديدة والملح؟ فكره ذلك كله والعقد في الخيط أشد كراهية[١].

قيل له: أفترى أن يعقد في الخيط سبع عقد؟ فكرهه

قيل: إنهم يعقدون في الخيط الذي يربطون به؟

قال: لا خير فيه.

قيل: ويكون في المعاذة خاتم سليمان؟

قال: لا خير في ذلك[٢].

فصل: في تعليق الخرز على النساء

قال ربيعة رَحِمَهُ اللَّهُ: من ألبس امرأته خرزة لكي تحمل أو لكيلا تحمل، فهذا من الرأي المسخوط[٣].

وقيل للإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: فهل تعلق الخرزة من الحمرة؟ قال أرجو أن يكون خفيفًا[٤].

* * *

(١) الجامع لابن أبي زيد (ص ٢٦٥).

(٢) البيان والتحصيل (١/ ٤٣٨).

(٣) الجامع لابن أبي زيد (ص ٢٦٣).

(٤) الجامع لابن أبي زيد (ص ٢٦٦).

فصل: في منع الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ من التنجيم

وسئل الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عمن ينظر في النجوم ويقول: تكسف الشمس غدًا، والرجل يقدم غدًا، وما أشبه هذا؟

قال: أرى أن يزجر عن ذلك، فإن لم يفعل أدب في ذلك، والذي يعالج علم الغيب كاذب، ولو علم ذلك أحد لعلمته الأنبياء، وقد جعل للنبي ﷺ سم في شاة فلم يعلم به حتى تكلمت، وإني لأرى هذا ينظر في الغيب وإنها عندي لمن حبائل الشيطان(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إني لأرى هؤلاء الذين يعالجون المجانين ويزعمون أنهم يعالجونهم بالقرآن قد كذبوا، ولو كانوا يعلمون ذلك لعلمته الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، ولقد سحر رسول الله ﷺ فما علم حتى أخبرته الشاة، فأرى أن يزجر عن ذلك وكرهه كراهة شديدة(٢).

وقال يحيى بن عمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): ليس شيء أضر على ابن آدم من النظر

---

(١) الجامع لابن أبي زيد (ص٢٦٩)، البيان والتحصيل (٩/ ٣٤٤، ١٧/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥)، ٢٦٩)، النوادر والزيادات (١٤/ ٥٣٤).

(٢) شرح الأبهري على مختصر ابن عبد الحكم، الجامع (ص ١٢٨)، البيان والتحصيل (٩/ ٣٤٤، ١٧/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥).

(٣) يحيى بن عمر بن يوسف الإمام شيخ المالكية أبو زكريا الكناني الأندلسي الفقيه، سكن القيروان، وكان حافظًا للفروع، ثقة، ضابطًا لكتبه.قال محمد بن حارث: كان متقدمًا في الحفظ، لقي يحيى بن بكير، وكان يقول: سألت سحنون، فرأيت بحرًا لا تكدره الدلاء، والله ما رأيت مثله قط، كأن العلم جمع بين عينيه وفي صدره.=

في النجوم، يخرجه نظره في النجوم إلى الدهرية[١].

وقال الإمام أبو الوليد بن رشد رحمه الله:

وأما شيء من المغيبات فلا يدركها أحد من ناحية النظر في النجوم، وقد اختلف في المنجم يقضي بتنجيمه، فيقول إنه يعلم متى يقدم فلان، أو وقت نزول المطر أو ما في الأرحام، أو ما يستتر الناس به من الأخبار، وما تحدث من الفتن والأهوال وما أشبه ذلك من المغيبات، فقيل إن ذلك كفر يجب به القتل دون الاستتابة، لقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾ [الفرقان ٥٠]، ولقول النبي عليه السلام: قال الله عز وجل: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي؛ فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب[٢].

وقيل إنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل روي ذلك عن أشهب، وقيل إنه يزجر عن ذلك ويؤدب عليه وهو قول مالك في سماع ابن القاسم من كتاب السلطان من العتبية.

والذي أقول به إن هذا ليس اختلافًا من القول في موضع واحد، وإنما هو اختلاف في الأحكام بحسب اختلاف الأحوال، فإذا كان

= أخذ عنه أحمد بن خالد الحافظ وجماعة وأهل القيروان، وكانت الرحلة إليه في وقته. كان من أهل الصيام والقيام، مجاب الدعاء، كانت له براهين.وقال أبو العباس الأبياني: ما رأيت مثل يحيى بن عمر في علمه وزهده، ودعائه وبكائه، فالوصف ـ والله ـ يقصر عن ذكر فضله.
(سير أعلام النبلاء ١٣ / ٤٦٢، رياض النفوس: ١/ ٣٩٦ ـ ٤٠٦).

(١) رياض النفوس (١/ ٤٠٢).

(٢) يأتي تخريجه في الباب الذي يلي.

المنجم يزعم أن النجوم واختلافها في الطلوع والغروب هي الفاعلة لذلك كله، وكان مستترًا بذلك فحضرته البيّنة قتل بلا استتابة لأنه كافر زنديق.

وإن كان معلنًا بذلك غير مستتر به يظهره ويحاج عليه، استتيب فإن تاب وإلا قتل كالمرتدّ سواء.

وإن كان مؤمنًا بالله ﷻ مقرًّا بأن النّجوم واختلافها في الطلوع والغروب لا تأثير لها في شيء مما يحدث في العالم، وأن الله ﷻ هو الفاعل لذلك إلا أنه جعلها أدلة على ما يفعله، فهذا يزجر عن اعتقاده ويؤدَّب عليه أبدًا حتى يكفّ عنه ويرجع عن اعتقاده ويتوب منه، لأن ذلك بدعة يجرح بها فتسقط إمامته وشهادته على ما قاله سحنون في نوازله في كتاب الشهادات من العتبية.

ولا يحل لمسلم أن يصدِّقه في شيء مما يقول، ولا يصح أن يجتمع في قلب مسلم تصديقه مع قول الله ﷻ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل ٦٥] وقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن ٢٦ ـ ٢٧]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان ٣٤] الآية، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**من صدّق كاهنًا أو عرّافًا أو منجّمًا فقد كفر بما أنزل على قلب محمد**»[1].

ويمكن أن يَصْدُقَ في بعض الجمل وذلك من حبائل الشيطان، فلا

(١) أخرج أبو داود في السنن (٣٤٠٥)، وابن ماجة (٣٩٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من أتى كاهنًا فصدّقه بما يقول، أو أتى امرأة، حائضًا أو أتى امرأة في دبرها فقد برئ مما أنزل على محمد.

ينبغي أن يغتر بذلك ويجعله دليلًا على صدقه فيما يقول، فلا يعلم الأمور الغائبة على وجهها وتفاصيلها إلا علّام الغيوب، أو من أطلعه عليها علام الغيوب من الأنبياء، ليكون ذلك دليلاً على صحة نبوءته، قال الله عز وجل في كتابه عن عيسى ابن مريم عليه السلام ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران ٢٩] فادّعاء معرفة ذلك والإخبار به على الوجه الذي تعرف ذلك الأنبياء وتخبر به تكذيب لدلالتهم.

وفيما دون هذا كفاية لمن شرح الله صدره وهداه ولم يرد إضلاله ولا إغواءه، والذي ينبغي أن يعتقد فيما يخبرون به من الجمل فيصيبون مثل ما روي عن هرقل أنه أخبر أنه نظر في النجوم فرأى ملك الختان قد ظهر إنما هو على معنى التجربة التي قد تصدق في الغالب من نحو قول النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أنشأت بحرية فتشاءمت فتلك عين غديقة(١)، وبالله التوفيق(٢).

* * *

(١) سبق تخريجه (ص ٦٠).

(٢) المقدمات الممهدات، ابن رشد (٣/ ٤١٧).

فصل: في منع الأئمة المالكية رحمهم الله من الاستمطار بالنجوم

خرّج الإمام مالك رحمه الله في الموطأ[١]: عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلّى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية، على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: **أتدرون ماذا قال ربكم؟** قالوا الله ورسوله أعلم!! قال: قال: **أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب.**

قال أبوعمر بن عبد البرّ رحمه الله:

وهذا عند أهل العلم محمول على ما كان أهل الشرك يقولونه، من إضافة المطر إلى الأنواء دون الله تعالى، فمن قال ذلك واعتقده فهو كافر بالله، كما قال رسول الله ﷺ، لأن النوء مخلوق، والمخلوق لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا.

وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا على معنى مطرنا في وقت كذا وكذا، فإن النوء الوقت في لسان العرب أيضًا، يريد أن ذلك الوقت يعهد فيه ويعرف نزول الغيث بفعل الله وفضله ورحمته، فهذا ليس بكافر، وقد جاء عن عمر أنه قال للعباس: ما بقي من نوء الثريا؟ وما بقي من نوء

---

(١) باب الاستمطار بالنجوم (رقم ٥١٦).

الربيع؟ على العادة والعرف عندهم، أن تلك الأوقات أوقات أمطار إذا شاء ذلك الواحد القهّار[١].

وقال رحمه الله: وأما قوله ﷺ حاكيًا عن الله ﷻ: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر**» فمعناه عندي على وجهين:

أحدهما: أن القائل مطرنا بنوء كذا أي بسقوط نجم كذا أو بطلوع نجم كذا، إن كان يعتقد أن النوء هو المنزل للمطر والخالق له والمنشئ للسّحاب من دون الله، فهذا كافر كفرًا صريحًا ينقل عن الملة، وإن كان من أهلها استتيب، فإن رجع إلى ذلك إلى الإيمان بالله وحده وإلا قتل إلى النار.

وإن كان أراد أن الله ﷻ جعل النوء علامة للمطر ووقتًا له وسببًا من أسبابه، كما تحيى بالأرض الماء بعد موتها وينبت به الزرع، ويفعل به ما يشاء من خليقته، فهذا مؤمن لا كافر.

ويلزمه مع هذا أن يعلم أن نزول الماء لحكمة الله تعالى ورحمته وقدرته، لا بغير ذلك لأنه مرة ينزله بالنوء، ومرة بغير نوء كيف يشاء لا إله إلا هو، والذي أحب لكل مؤمن أن يقول كما قال أبو هريرة: **مطرنا بفضل الله ورحمته**، ويتلو الآية إن شاء[٢].

* * *

(١) التمهيد (٢٤/ ٣٨٠).
(٢) الاستذكار (٧/ ١٥٦).

فصل: في منع الأئمة المالكية رحمهم الله من الكهانة

قال أبو عمرو بن كنانة المدني رحمه الله[١]: ولا تقبل شهادة الكاهن[٢].

وقال أبو عبد الله القرطبي في التفسير: ومن هذا الباب أيضًا ما جاء في صحيح مسلم[٣] عن بعض أزواج النبي ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «**من أتى عرّافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**».

والعرّاف هو الحازر، والمنجِّم الذي يدعي علم الغيب، وهي من العرافة وصاحبها عراف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدَّعي معرفتها، وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة في ذلك.

وهذا الفن هو العيافة بالياء وكلها ينطلق عليها اسم الكهانة قاله القاضي عياض.

---

(١) عثمان بن عيسى بن كنانة الفقيه، أبو عمرو المدني، مولى آل عثمان رضي الله عنه.
قال يحيى بن بكير: لم يكن في حلقة مالك أضبط ولا أدرس من ابن كنانة، وكان ممن يخصه مالك بالإذن عند اجتماع الناس عليه على بابه. قال ابن عبد البر: كان من الفقهاء، وليس له في الحديث ذكر. قال الشيرازي كان مالك يحضره لمناظرة أبي يوسف عند الرشيد، وهو الذي جلس في حلقة مالك بعد وفاته توفي (سنة ١٨٣ هـ) بعد مالك بسنتين..
تاريخ الإسلام للذهبي [وفيات ١٨١ - ١٩٠] (ص ٢٩٣) ترتيب المدارك (٣/ ٢١).

(٢) النوادر والزيادات ٨/ ٢٩٢

(٣) صحيح مسلم (٢٢٣٠).

والكهانة ادِّعاء علم الغيب، قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب الكافي: من المكاسب المجتمع على تحريمها: الربا، ومهور البغايا، والسحت، والرشا، وأخذ الأجرة على النياحة، والغناء، وعلى الكهانة، وادعاء الغيب، وأخبار السّماء، وعلى الزمر واللعب والباطل كله.

قال علماؤنا: وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان بإتيان المنجِّمين والكهان لا سيما بالدِّيار المصرية، فقد شاع في رؤسائهم وأتباعهم وأمرائهم اتخاذ المنجمين، بل ولقد انخدع كثير من المنتسبين للفقه والدين فجاؤوا إلى هؤلاء الكهنة والعرافين فبهرجوا عليهم بالمحال، واستخرجوا منهم الأموال، فحصلوا من أقوالهم على السراب والآل ومن أديانهم على الفساد والضلال، وكل ذلك من الكبائر لقوله ﷺ: لم تقبل له صلاة أربعين ليلة، فكيف بمن اتخذهم وأنفق عليهم معتمدًا على أقوالهم(١).

وسئل أبو العباس القباب رحمه الله(٢) عمن يشتغل بضرب الخط وغيره

---

(١) تفسير القرطبي (٧/ ٣).

(٢) الإمام الحافظ العلامة الصالح الزاهد أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن أبو العباس القباب، أحد محققي الحفاظ متقدم في العلوم، تولى الفتيا بفاس، له فتاوى مجموعة، قال التنبكتي: ذكره في الإحاطة ولم يوفه حقَّه فقال: من صدور عدول فاس، فقيه نبيه جيد النظر سديد الفهم، ولي قضاء جبل الفتح، متّصفًا بالجزالة، وقال القسنطيني: شيخنا الفقيه المحقق المفتي الصالح الحاج، أخذ عنه الإمام الشاطبي وأبو حفص عمر الرجراجي وغيرهما، قال عنه الشاطبي: إنه كان يقول: إن ابن بشير وابن شاس وابن الحاجب أفسدوا الفقه، ويأمر أصحابه بتركهم، قال التنبكتي: قلت: وكان يعني بذلك أن الأخيرين أدخلا جملة من مسائل وجيز الغزالي في المذهب، مع مخالفتها له، كما نبه عليه الناس، والأول بنى فروعًا على قواعد أصولية، وأدخلها في المذهب كذلك، ومسائل المذهب لا تجري =

من أنواع الكهانة، ويكتب للمحبة والبغض وعقد العروس وشبه ذلك، هل فعله منكر يجب تغييره أم لا؟

فأجاب: أما المشتغل بالكهانة بضرب الخط وغيره، فذلك من أكبر المناكر، وقد جاء في الكهانة كلها أحاديث كثيرة بالنهي عنها وعن سؤاله وتصديقه، قال العلماء في الحديث الوارد «**فإن نبيًّا كان يخط**»[(١)] إن هذا لا يقتضي إباحة الخط لنا، وأما كتبه للبغضة ولربط العروس فهو من السحر المتفق على تحريمه.

واختلف في تكفير فاعله، اختلف فيما أريد به من ذلك ما فيه صلاح مثل حل المربوط بالسحر، فالأكثر على منعه، وأجازه بعض العلماء، والغالب على حال من يدعي ذلك اليوم الكذب، وإنما قصدهم خداع الضعفاء لأكل أموالهم انتهى.

وقال أيضًا: وأما الذي يضرب الخط وغيره ويخبر بالأمور المغيبات فلا يجوز تصديقه ولا يحل وهو فاسد ويؤدّب، وأما الذي يكتب للمحبة وعقد العروس والبغضة فهو ساحر، وأما الذي يعالج الجنّ

= جميعها على قواعد الأصول، والله أعلم، قال الحافظ ابن حجر، وعاش إلى حدود السبعين، يعني بعد المائة السابعة.

كفاية المحتاج (ص ٤٩) توشيح الديباج (ص ٥٥)، الدرر الكامنة (١/ ٧٨).

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (٥٣٧) من حديث عن معاوية بن الحكم السلمي قال قلت: يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالًا يأتون الكهان؟ قال: فلا تأتهم، قال: ومنا رجال يتطيرون؟ قال: ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنَّهم، قال قلت: ومنا رجال يخطون؟ قال: كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك.

فليس بساحر، قال عياض: قال مالك في امرأة عقدت زوجها: تنكل ولا تقتل[١].

* * *

(١) المعيار المعرب، الونشريسي (١٢/ ٥٥).

فصل: في إثبات الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ الأسماء الحسنى لله تعالى

سئل الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ عن الرجل يدعو في الصلاة فيقول «يا الله يا رحمان»؟

قال: يقول «يا رحمان»، ثم قال: و«اللهم» أبين عندي.

فقيل له: يدعو بما دعت به الأنبياء؟

قال: نعم، في كتاب الله تبارك وتعالى «اللهم»[(١)].

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي المالكي الشهير بابن أبي زمنين رَحِمَهُ اللَّهُ [(٢)]:

---

(١) البيان والتحصيل (١/ ٢٩٣).

(٢) الإمام القدوة الزاهد أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن عيسى المري الأندلسي الإلبيري، شيخ قرطبة. تفنن واستبحر من العلم، وصنف في الزهد والرقائق، وقال الشعر الرائق، وكان صاحب جد وإخلاص، ومجانبة الأمراء. قال ابن عفيف: كان من كبار المحدثين والفقهاء الراسخين في العلم، وقال ابن مفرج: كان من أجلّ أهل وقته حفظًا للرأي ومعرفة بالحديث، واختلاف العلماء، وافتنانًا في الأدب والأخبار، وقرض الشعر، إلى زهد وورع واقتفاء لآثار السلف، وكثرة العمل والبكاء والصدقة والمواساة بماله وبجاهه، وبيان ولهجة، وما رأيت قبله ولا بعده مثله، اختصر «المدونة» قال ابن سهل: هو أفضل مختصرات المدونة وأقربها ألفاظًا ومعاني لها، وله «منتخب الأحكام» مشهور، وكتاب «الوثائق»، و«مختصر تفسير ابن سلام»، وكتاب «حياة القلوب» في الزهد، وكتاب «أدب الإسلام»، وكتاب «أصول السنة»، وأشياء كثيرة.

(ترتيب المدارك ٤/ ٦٧٢، الديباج المذهب ٢/ ٢٣٢، سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٨٨).

وقال عز من قائل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف ١٨٠]، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: **(إن لله تسعة وتسعون اسمًا)**(١) ثم ذكرها كلها، فأسماء ربنا وصفاته قائمة في التنزيل، محفوظة عن الرسول، وهي كلها غير مخلوقة، ولا مستحدثة فتعالى الله عما يقول الملحدون علوًّا كبيرًا(٢).

وقال شيخ المالكية ابن أبي زيد رحمه الله: فمما اجتمعت الأئمة عليه من أمور الديانة، ومن السّنن التي خلافها بدعة وضلالة؛ أن الله تبارك وتعالى له الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

ثم قال في آخره: وكل هذا قول مالك، فمنه منصوص من قوله ومنه معلوم من مذهبه(٣).

قال الخشني في ترجمة محمد بن سحنون(٤): قال له سليمان الفراء

---

(١) خرجه البخاري (٥٩٣١) ومسلم ٩٣٩ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أصول السنة السنة (ص ٧٦).

(٣) كتاب الجامع (١٣٩).

(٤) محمد بن سحنون، تفقه بأبيه، قال القاضي عياض: رحل إلى المشرق، فلقي بالمدينة أبا مصعب الزهري، وابن كاسب. وسمع من سلمة بن شبيب. قال أبو العرب: وكان إمامًا في الفقه، ثقة. وكان عالمًا بالذبّ عن مذهب أهل المدينة. عالمًا بالآثار، صحيح الكتاب، لم يكن في عصره أحذق بفنون العلم منه، فيما علمت. قال ابن أبي دليم: وكان الغالب عليه الفقه، والمناظرة. وكان يحسن الحجة والذب عن السنة، والمذهب. قال ابن حارث: كان عالمًا فقيهًا مبرزًا، منصرفًا في الفقه والنظر ومعرفة اختلاف الناس، والرد على أهل الأهواء، والذب عن مذهب مالك.

ترتيب المدارك (٧/ ٢٨٠).

المعروف بابن أبي عصفور[١]: يا أبا عبد الله! الله سمَّى نفسه؟

أراد بذلك أن يقول له نعم، فيثبت عليه الإقرار بحدوث الأسماء والصفات.

فقال له ابن سحنون: الله سمى نفسه لنا، ولم يزل وله الأسماء الحسنى[٢].

قال ابن رشد رحمه الله: وكذك لا ينبغي عنده ـ أي عند مالك رحمه الله ـ على قوله هذا أن يسمى الله تعالى إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو سمَّاه به رسوله، أو اجتمعت الأمة عليه، والذي يدل على ذلك من مذهبه كراهيته في رسم الصلاة للرجل أن يدعو بـ «يا سيّدي» وقال: أحب إلى أن يدعوه بما في القرآن وبما دعت به الأنبياء بـ «يا ربّ» وكره الدعاء بـ «يا حنان».

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة)**[٣].

---

(١) ترجمه الخشني في طبقات علماء إفريقيا ضمن تسميته أهل المناظرة والجدل من طبقة العرقيين، وقال: كان يقول بخلق القرآن وكان من أهل الجدل والمناظرة في ذلك، رحل ودخل بغداد، وله كلام في مشكل القرآن، وكتاب ألفه فيه، وسمعت من يذكر أنه سلخه من كتاب مشكل القرآن لقطرب النحوي، وله كتاب في أعلام النبوة، وله كتب في مذهبه في خلق القرآن.
طبقات علماء إفريقيا، لمحمد بن حارث الخشني ص ٧٩.

(٢) طبقات علماء إفريقية، محمد بن الحارث بن أسد الخشني (ص ١٩٨).

(٣) صحيح البخاري (٢٥٣١) ومسلم (٤٨٣٥).

فصل: الدهر ليس من أسماء الله تعالى

قال عبد الملك بن حبيب رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح حديث «لا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر، فإن الله هو الدهر»[(١)]:

الحديث بذلك مشهو معروف، رواه المدني والعراقي وغيرهم، وهو مما لا ينبغي لأحد من أهل الإسلام أن يجهل شرحه أو وجهه، وذلك أن الزنادقة، وأهل التعطيل والملحدين في الدين يحتجون به على المسلمين وأهل الإيمان بالله، فإنما وجهه وشرحه عند أهل العلم والسنة أن العرب شأنها أن تذم الدهر، وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم من موت أو هرم أو تلف مال أو غير ذلك، فيقولون أصابت بني فلان قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، وأتى عليهم الدهر، فيجعلون الدهر الذي يفعل ذلك، فيذمونه ويسبونه على ذلك، وقد ذكروا ذلك في أشعارهم كثيرًا، من ذلك قول زهير بن أبي سلمى حين ذكر قومًا هالكون، قال:

فاستأثر الدهر الغداة بهم ... والدهر يرميني ولا أرمي
لو كان لي قرنًا أناضله ... ما طاش عند حفيظةٍ سهمي
أو كان يعطي النصف قلت له ... أحرزت قسمك فاله عن قسمي
يا دهر قد أكثرت فجعتنا ... بسراتنا وقرعت في العظم
وسلبتنا ما لست تعقبنا ... يا دهر ما أنصفت في الحكم
فارفع جرابك طالما عللتنا ... بمزاج كأس مرة الطعم
أبلت صروفك كل ذي ثقة ... حامي الذمارِ مخالط العزم

ومن ذلك قول زهير أيضًا:

---

(١) خرجه مالك في الموطأ (١٥٦٠) والبخاري في الصحيح (٥٧١٤) ومسلم (٤١٦٧).

رمتني بنات الدهر من حيث لا أدري فكيف بمن يرمى وليس برام
فلو انَّها نبل إذًا لاتّقيتها لكنني أرمى بغير سهام

ومن ذلك قول سليمان بن علي الأسدي:

فيا دهر ويحك أنى انقلبت فولّيتنا بعد وجه قفاكا
جعلت الشرار علينا خيارا وأجلست سفلتنا مستواكا
فيا دهر إن كنت عاديتنا فها قد صنعت بنا ما كفاكا

في أشباه هذا من أشعارهم كثير، وقد ذكر الله ﷻ ذلك في كتابه من قولهم ثم كذبهم، قال: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ قال الله: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية ٢٤] فقال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر**»، يقول: إن الذي يفعل بكم هذه الأشياء ويصيبكم بهذه المصائب هو الله، وليس الدهر، فإذا سببتم فاعلها، وأنتم تظنّونه الدهر، فإنما يقع السّبّ والذّم على الله، لأنه هو الفاعل لذلك لا الدهر.

هذا وجه الحديث وتأويله وشرحه وتفسيره، وكذلك سمعت ابن الماجشون يفسره، وكل من لقيت من أهل العلم والسنة والمعرفة بالحديث، وهو كان مذهب مالك في تفسيره[١].

* * *

---

(١) تفسير غريب الموطأ ٢/ ١٧١ ـ ١٧٥.

فصل: في إثبات الإمام مالك رحمه الله الصفات العلى للباري سبحانه كما ورد بذلك الكتاب والسنة من غير تمثيل ولا تحريف

قال ابن القاسم رحمه الله: لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن.

ولا يشبه يديه بشيء، ولا وجهه بشيء، ولكن يقول: له يدان كما وصف نفسه في القرآن، وله وجه كما وصف نفسه في القرآن، وله وجه كما وصف نفسه.

يقف عندما وصف به نفسه في الكتاب، لأن الله سبحانه لا مثيل له، ولا شبيه له، ولا نظير له، ولكن هو الله لا إله إلا هو كما وصف نفسه.

ويداه مبسوطتان كما وصفها: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر ٦٧] كما وصف نفسه.

قال: وكان مالك يعظم أن يحدث أحد بهذه الأحاديث[1] التي

(١) ينبغي أن يعلم أن الإمام مالكًا رحمه الله روى أحاديث كثيرة في صفات الله تعالى، منها ما أودعه في موطئه، ومنها ما رواه عنه الثقات من أصحابه فمنها:

١ - **حديث النزول**: رواه عن ابن شهاب عن أبي عبد الله الأغر، وعن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٢٩٨) رقم (٧٢٤)، وخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين من طريقه، قال ابن عبد البر: هذا =

....

= حديث ثابت من جهة النقل صحيح الإسناد، لا يختلف أهل الحديث في صحته. (التمهيد ٧/ ١٢٨).

٢ ـ **حديث في صفة الضحك**: رواه مالك في الموطأ (٣/ ٦٥٥) رقم (١٦٧٣) عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: (يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله، فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل، فيقاتل فيستشهد) خرجه الإمام مالك في الموطأ، ومن طريقه البخاري في الصحيح.

٣ ـ **حديث في صفة اليد لله تعالى**: روى مالك في الموطأ (٥/ ١٣٢٢) رقم (٣٣٣٧) عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، أنه أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ فقال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه..».

٤ ـ **حديث في صفة الرحمة والغضب**: خرج البخاري في الصحيح، كتاب التوحيد، باب ولقد سبقت كلمتنا (رقم الحديث ٧٤٥٣)، من طريق مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه، إن رحمتي سبقت غضبي.

والمتتبع للكتب التي صنفها أئمة السنة كالشريعة للإمام الآجري، والتوحيد لإمام الأئمة ابن خزيمة، والتوحيد لابن مندة، والإبانة لأبي عبد الله بن بطة، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة لابن الطبري اللالكائي، يرى كثيرًا من الروايات في إثبات صفات رب العالمين، من رواية الإمام مالك رحمه الله.

وقد ثبت بالنقل الصحيح عنه رحمه الله أنه سئل عن رواية الأحاديث التي فيها صفات رب العالمين؛ سأله الوليد بن مسلم عن ذلك؟ فقال: أمروها كما جاءت بلا كيف.

وعلى هذا درج أصحابه، والكبار من أئمة المذهب المالكي، في رواية أحاديث الصفات، فقد روى العتبي عن ابن القاسم (البيان والتحصيل ١٨/ ٥٠٤) =

....

= قال: سألت مالكًا عن الحديث في جنازة سعد بن معاذ في العرش؟ فقال: لا تتحدث به، وما يدعو الإنسان أن يتحدث به، وهو يرى ما فيه من التعزيز، وعن الحديث (إن الله خلق آدم على صورته)، وعن الحديث في الساق، وذلك كله. قال ابن القاسم: لا ينبغي لمن يتقي الله ويخافه أن يحدث بمثل هذا.

فقلت له: (إن الله تبارك وتعالى يضحك)؟ فلم يره من هذا، وأجازه، وقال: قد جاء فيه حديثان، وحديث ينزل مثل ذلك ا.هـ

قلت: وحديث معاذ الذي أنكر التحديث به، هو قوله ﷺ لأم سعد: ألا يرقأ دمعك، ويذهب حزنك، فإن ولدك أول من ضحك الله له، واهتزَّ له العرش) وفيه صفة الضحك.

ثم أجاز ابن القاسم رواية حديث (إن الله تبارك وتعالى يضحك)، وفيه أيضًا صفة الضحك.

فبان بهذا: أن الإنكار ليس إنكارًا للتحديث بهذا الحديث من أجل الصفة الواردة في الحديث، بل لأمر آخر ينبغي البحث عنه.

وقال يحيى بن مزين: وقد بلغني عن ابن القاسم أنه لم ير بأسًا برواية الحديث (إن الله ضحك) وذلك لأن الضحك من الله، والتنزل والملالة والتعجب منه ليس على جهة ما يكون من عباده. نقله عنه ابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٥٢).

وإذا تقرر هذا، فيقال: إن إنكار الإمام مالك رحمه الله، ليس على عمومه، بل لأفراد من الحديث، وليس كل أحاديث الصفات الواردة في السنة، هذا أولًا.

وثانيا: قد أورد أهل العلم توجيهين لإنكار مالك التحديث بهذه الأحاديث:

التوجيه الأول: أن إنكاره لهذه الأحاديث المذكورة لأجل ضعف أسانيدها عنده، وهذا هو ظاهر قول ابن القاسم في هذه الرواية، وهو قول أبي بكر الأبهري في شرح مختصر ابن عبد الحكم الكبير، قال: قيل إنها ليست صحيحة الإسناد عنده، ولا يجوز أن تضاف إلى رسول الله ﷺ، ويتحدث عنه ما ليس بصحيح الرواية عنه، وارتضى هذا القول الحافظ المؤرخ أبو عبد الله الذهبي رحمه الله، فقال في السير (٨/ ١٠٤): أنكر مالك ذلك لأنه لم يثبت عنده، ولا اتصل به، فهو معذور كما أن صاحبي الصحيحين معذوران في إخراج ذلك، أعني الحديث الأول والثاني لثبوت سندهما. =

فيها «إن الله خلق آدم على صورته» وضعفها(١).

قال الوليد بن مسلم(٢): سألت الأوزاعي(٣) ومالكًا وسفيان وليثًا

= والتوجيه الثاني: أنه رَحِمَهُ اللَّهُ أنكر التحديث بهذه الأحاديث لغير أهلها، كي لا يضعوها في غير موضعها، وقد ذكر القاضي عياض في ترتيب المدارك (٢/ ٤٤) عن الوليد ابن مسلم قال: سألت مالكًا عن هذه الأحاديث؟ فقال أقرها كما جاءت، فقيل له إن ابن عجلان يحدث بها؟ فقال: لم يكن من الفقهاء.

قال في رواية ابن القاسم وابن وهب: إنه كان لا يعرف هذه الأشياء، وكره مالك أن يحدث بها عوام الناس، الذين لا يعرفون وجهه، ولا تبلغه عقولهم، فينكروه أو يضعوه في غير موضعه.

وقال ابن رشد رَحِمَهُ اللَّهُ (البيان والتحصيل ١٦/ ٤٠٢): وما تضمنته هذه الرواية من كراهية مالك لرواية هذه الأحاديث التي يقتضي ظاهرها التشبيه، وإعظامه أن يحدث بها مثل ما روي من (الله خلق آدم على صورته) ونحوها من الأحاديث، فالمعنى من ذلك أنه كره أن تشاع روايتها، ويكثر التحدث بها، فيسمعها الجهال الذين لا يعرفون تأويليها، فيسبق إلى ظنونهم التشبيه بها.

وقال ابن عبد البر في التمهيد ٧/ ١٥٠: وإنما كره ذلك مالك خشية الخوض في التشبيه بكيف ههنا.وينظر فيما يلي: فصل ترك مالك التحدث ببعض الأحاديث.

(١) النوادر والزيادات ١٤/ ٥٥٣، البيان والتحصيل ١٦/ ٤٠٠، أصول السنة لابن أبي زمنين ص ٧٥

(٢) الامام الوليد بن مسلم عالم أهل الشام أبو العباس الدمشقي، الحافظ، مولى بني أمية. ارتحل في طلب العلم، وصنف التصانيف، وتصدى للإمامة، واشتهر اسمه، كان من أوعية العلم، ثقةً حافظًا توفي في شهر المحرم سنة ١٩٥هـ .
سير أعلام النبلاء ٩/ ٢١١

(٣) عبدالرحمن بن عمرو شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عمرو الأوزاعي ولد سنة (٨٨هـ)، قال إسماعيل بن عياش: سمعت الناس في سنة أربعين ومئة يقولون: الأوزاعي اليوم عالم الأمة. قال أحمد بن حنبل: دخل سفيان الثوري والأوزاعي على مالك، فلما خرجا قال: أحدهما أكثر علمًا من صاحبه، ولا يصلح =

عن هذه الأحاديث التي فيها الصفة، فقالوا أمروها بلا كيف[١].

قال أبو عيسى الترمذي في السنن[٢]: وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات، من الصفات، ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، قالوا: قد تثبت الروايات في هذا، ويؤمن بها ولا يتوهم، ولا يقال كيف.

هكذا روي عن مالك، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك، أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمروها بلا كيف. وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة.

= للإمامة، والآخر يصلح للإمامة، ـ يعني الأوزاعي للإمامة، توفي رحمه الله سنة (١٥١هـ).
سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧).

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (٢/ ٢٩٠)، وابن المقرئ في معجمه (٥٥٥) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٦٨٦، ٧٣٥)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١١١١) والبيهقي في الاعتقاد (٥٧)، وفي الأسماء والصفات (٩٠٧) وفي السنن الكبرى (٣/ ٢) وابن بطة في الإبانة (٢٥٧١) وأبو القاسم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (١/ ٤٣٩) والذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/ ١٦٢).
وقال يعقوب بن شيبة في الرابع من مسند ابن مسعود: حدثني عبيد بن معمر قال سمعت من غير واحد عن يحيى بن معين قال كنا عند وكيع وهو يملي علينا التفسير أول ما ابتدأ، قال فحدث بهذا الحديث الكرسي موضع القدمين، قال فقام إليه زكريا بن عدي، وهو يرتعد، وجعل يقول يا أبا سفيان ما هذا؟ فقال له وكيع: اجلس، كان أصحابنا الأعمش وإسماعيل وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث على ما جاءت، لا يفسرون شيئًا، ولا يلحدون فيها. ذكره ابن المحب المقدسي في تأويل أحاديث الصفات (٢٣٩/ أ).

(٢) في كتاب السنن، كتاب الزكاة، باب (٢٨) ما جاء في فضل الصدقة، بعد أن روى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه، فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره، حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد.

وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا هذا تشبيه. وقد ذكر الله ﷻ في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسر أهل العلم، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده، وقالوا إن معنى اليد هاهنا القوة.

وقال إسحق بن إبراهيم(١): إنما يكون التشبيه إذا قال يد كيد أو مثل

(١) الامام الكبير شيخ المشرق سيد الحفاظ أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، مولده في سنة إحدى وستين ومئة، قال وهب بن جرير: جزى الله إسحاق بن راهويه، وصدقة بن الفضل، ويعمر عن الإسلام خيرًا، أحيوا السنة بالمشرق. قال الحاكم: إسحاق بن راهويه إمام عصره في الحفظ والفتوى، سكن نيسابور، ومات بها. قال حرب الكرماني: قلت لاسحاق: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] كيف تقول فيه؟ قال: حيثما كنت، فهو أقرب إليك من حبل الوريد، وهو بائن من خلقه، وأبين شيء في ذلك قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾ [طه: ٥]. وقال أبو بكر المروذي، حدثنا محمد بن الصباح النيسابوري، حدثنا أبو داود سليمان بن داود الخفاف، قال: قال إسحاق بن راهويه: إجماع أهل العلم أنه تعالى على العرش استوى، ويعلم كل شيء في أسفل الارض السابعة.قال أبو العباس السراج: سمعت إسحاق الحنظلي يقول: دخلت على طاهر بن عبد الله بن طاهر، وعنده منصور بن طلحة، فقال لي منصور: يا أبا يعقوب، تقول: إن الله ينزل كل ليلة؟ قلت: نؤمن به، إذا أنت لا تؤمن أن لك في السماء ربا، لا تحتاج أن تسألني عن هذا.فقال له طاهر الأمير: ألم أنهك عن هذا الشيخ؟ وورد عن إسحاق أن بعض المتكلمين، قال له: كفرت بربّ ينزل من سماءٍ إلى سماء. فقال: آمنت برب يفعل ما يشاء. قال الذهبي ﷺ: هذه الصفات من الإستواء والإتيان والنزول قد صحت بها النصوص، ونقلها الخلف عن السلف، ولم يتعرضوا لها برد ولا تأويل، بل أنكروا على من تأولها مع إتفاقهم على أنها لا تشبه نعوت المخلوقين، وأن الله ليس كمثله شيء، ولا تنبغي المناظرة ولا التنازع فيها، فإن في ذلك محاولة للرد على الله ورسوله، أو حومًا على التكييف أو التعطيل.

(سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٧٠).

يد، أو سمع كسمع أو مثل سمع، فإذا قال سمع كسمع أو مثل سمع فهذا التشبيه، وأما إذا قال كما قال الله تعالى يد وسمع وبصر ولا يقول كيف، ولا يقول مثل سمع ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيهًا، وهو كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١].

وقال الإمام أبو عمر بن عبد البر رحمه الله: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيِّفون شيئًا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة.

وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج، فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها شبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهم أئمة الجماعة والحمد لله[١].

قال الإمام أبو محمد البربهاري[٢] في كتاب السنة: واعلم أن الكلام في الرب تعالى محدث، وهو بدعة وضلالة، ولا يتكلم في الرب سبحانه وتعالى إلا بما وصف به نفسه في القرآن، وما بين رسول الله ﷺ لأصحابه، وهو جل ثناؤه واحد ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١].

---

(١) التمهيد (٧/ ١٤٥).

(٢) البربهاري أبو محمد الحسن بن علي بن خلف، الفقيه القدوة شيخ الحنابلة بالعراق قالا وحالا وحلالا، وكان له صيت عظيم، وحرمة تامة توفي رحمه الله سنة (٣٢٩ هـ). سير أعلام النبلاء (١٥/ ٩٠).

ربنا ﷻ أول بلا متى، وآخر بلا منتهى، يعلم السِّر وأخفى، على عرشه استوى، وعلمه بكل مكان لا يخلو من علمه مكان، ولا يقول في صفات الرب لم وكيف إلا شاك في الله تبارك وتعالى، والقرآن كلام الله وتنزيله ونوره، وليس بمخلوق لأن القرآن من الله، وما كان من الله فليس بمخلوق، **وهكذا قال مالك بن أنس والفقهاء قبله وبعده**(١).

قال الإمام أبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي: مذهب مالك، والثوري، والأوزاعي، والشافعي، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وأحمد بن حنبل... أن صفات الله التي وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله من السمع، والبصر، والوجه، واليدين، وسائر أوصافه، إنما هي على ظاهرها المعروف المشهور، من غير كيف يتوهم فيه، ولا تشبيه، ولا تأويل.

قال سفيان بن عيينة: كل شيء وصف الله به نفسه، فقراءته تفسيره، أي على ظاهره، لا يجوز صرفه إلى المجاز بنوع من التأويل(٢).

وقال عبد العزيز بن الماجشون رحمه الله: فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان نبيّه سمّيناه كما سمّاه، ولم نتكلف منه صفة ما سواه، لا هذا ولا هذا. لا نجحد ما وصف، ولا نتكلف معرفة ما لم يصف.

اعلم رحمك الله أن العصمة في الدين أن تنتهي حيث انتهي بك، فلا تجاوز ما قد حد لك، فإن من قوام الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر، فما بسطت عليه المعرفة، وسكنت إليه الأفئدة وذكر أصله في

---

(١) شرح السنة للبربهاري (ص ٧١).

(٢) نقله عنه الذهبي في كتاب العلو (ص ١٩٢) وفي كتاب العرش (٢/ ٣٥٩).

الكتاب والسنة، وتوارثت علمه الأمة فلا تخافن في ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه، ولا تتكلفن لما وصف لك من ذلك قدرًا.

وما أنكرته نفسك ولم تجد ذكره في كتاب ربك، ولا في الحديث عن نبيك من ذكر صفة ربك، فلا تتكلفن علمه بعقلك، ولا تصفه بلسانك، واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه، فإن تكلفك معرفة ما لم يصف من نفسه مثل إنكارك ما وصف منها، فكما أعظمت ما جحد الجاحدون مما وصفه من نفسه فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها. فقد والله عز المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يعرف، وينكرون المنكر وبإنكارهم ينكر، يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه، وما يبلغه مثله عن نبيه.

فما مرض من ذكر هذا وتسميته من الرب قلب مسلم، ولا تكلف صفة قدره وتسميته غيره من الرّب مؤمن.

وما ذكر عن رسول الله ﷺ أنه سمّاه من صفة ربه فهو بمنزلة ما سمى ووصف الرب تعالى من نفسه، من أجل ما وصفنا.

والراسخون في العلم الواقفون حيث انتهى علمهم، الواصفون لربهم بما وصف من نفسه، التاركون لما ترك من ذكرها، لا ينكرون صفة ما سمى منه جحدًا، ولا يتكلفون وصفه بما لم يسم تعمقًا، لأن الحق ترك ما ترك، وتسمية ما سمى ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء ١١٥] وهب الله لنا ولكم حكمًا وألحقنا بالصالحين[1].

(١) الإبانة لأبي عبد الله بن بطة، كتاب الرد على الجهمية (٣/ ٦٨).

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي المالكي الشهير بابن أبي زمنين رحمه الله[(١)]:

واعلم أن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به تبارك وتعالى عن نفسه علمًا، والعجز عما لم يدع إيمانًا، وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه وعلى لسان نبيِّه، وقد قال وهو أصدق القائلين: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص ٨٨] وقال: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام ١٩]، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر ٢٩] وقال: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور ٤٨]، وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه ٣٩]، وقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة ٦٤]، وقال: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر ٦٧]، وقال: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه ٤٧]، وقال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء ١٦٤]، وقال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور ٣٥]، وقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة ٢٥٥]، وقال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد ٣]، ومثل هذا في القرآن كثير.

فهو تبارك وتعالى نور السماوات والأرض كما أخبر عن نفسه، وله وجه ونفس، وغير ذلك كما وصف به نفسه، ويسمع ويرى ويتكلم، الأول ولا شيء قبله، والآخر الباقي إلى غير نهاية لا شيء بعده، والظاهر العالي فوق كل شيء ما خلق، والباطن بطن علمه بخلقه

---

(١) أصول السنة ص ٦٠

تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ٢٩] ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة ٢٥٥].

ثم قال رحمه الله: فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيه ﷺ، وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير، فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لم تره العيون فتحده كيف هو كينونته، لكن رأته القلوب في حقائق الإيمان.

وقال شيخ المالكية ابن أبي زيد والملقب بمالك الصغير رحمه الله:

فمما اجتمعت الأئمة عليه من أمور الديانة، ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة؛ أن الله تبارك وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى، لم يزل بجميع صفاته وهو سبحانه وتعالى، موصوف بأن له علمًا وقدرة وإرادة ومشيئة، لم يزل بجميع صفاته وأسمائه، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، أحاط علمًا بجميع ما برأ قبل كونه، وفطر الأشياء بإرادته وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس ٨٢].

ثم قال في آخره: وكل هذا قول مالك، فمنه منصوص من قوله ومنه معلوم من مذهبه(١).

قال عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله: وذكر عنده الجهمية وأنهم ينفون أحاديث الصفات؛ اليد والرجل، ويقولون: الله أعظم من أن يوصف بشيء.

قال عبد الرحمن: قد هلك قوم من هذا الوجه، يعني من وجه

---

(١) كتاب الجامع (ص ١٣٩).

التعظيم، قالوا: الله أعظم من أن ينزل كتابًا أو يرسل رسولًا ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام ٩١]، ثم قال: فهل هلكت المجوس إلا من جهة التعظيم، قالوا الله أعظم من أن نعبده، ولكن نعبد من هو أقرب إلينا، فعبدوا الشمس، وسجدوا لها، فأنزل الله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر ٣](١).

قال الإمام أبو عمر الطَّلَمَنكي الفقيه الأندلسي المالكي رحمه الله(٢):

فقد قال قوم من المعتزلة والجهمية: لا يجوز أن يسمّى الله عز وجل بهذه الأسماء على الحقيقة، ويسمّى بها المخلوق، فنفوا عن الله الحقائق من أسمائه وأثبتوها لخلقه.

فإذا سئلوا ما حملهم على هذا الزيغ؟ قالوا: الاجتماع في التسمية يوجب التشبيه، قلنا هذا خروج عن اللغة التي خوطبنا بها، لأن المعقول

(١) إبطال التأويلات لأبي يعلى الفراء (١/ ٥٣).

(٢) الإمام المقرئ المحقق المحدث الحافظ الأثري أبو عمر أحمد بن محمدالأندلسي الطلمنكي. وطلمنك بفتحات ونون ساكنة: مدينة استولى عليها العدو قديما، كان من بحور العلم، حدث عن الفقيه أبي محمد بن أبي زيد، قال الذهبي: أدخل الأندلس علما جما نافعا، وكان عجبا في حفظ علوم القرآن؛ قراآته ولغته وإعرابه وأحكامه ومنسوخه ومعانيه، صنف كتبًا كثيرة في السنة يلوح فيها فضله وحفظه وإمامته وأتباعه للأثر. قال ابن بشكوال: كان سيفًا مجردًا على أهل الأهواء والبدع، قامعا لهم، غيورًا على الشريعة، شديدًا في ذات الله، أقرأ الناس محتسبًا، وأسمع الحديث، والتزم للإمامة بمسجد منعة، ثم خرج وتحول في الثغر، وانتفع الناس بعلمه، وقصد بلده في آخر عمره، فتوفي بها. في ذي الحجة (سنة ٤٢٩ هـ).

ترتيب المدارك ٨/ ٣٢، الديباج المذهب ١/ ١٧٨، الصلة ١/ ٨٣، سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٦٦.

في اللغة أن الاشتباه في اللغة لا تحصل بالتسمية، وإنما تشبيه الأشياء بأنفسها أو بهيئات فيها، كالبياض بالبياض، والسواد بالسواد والطويل بالطويل، والقصير بالقصير، ولو كانت الأسماء توجب اشتباهًا لاشتبهت الأشياء كلها لشمول اسم الشيء لها وعموم تسمية الأشياء به.

فنسألهم: أتقولون إن الله موجود؟ فإن قالوا نعم، قيل لهم: يلزمكم على دعواكم أن يكون مشبهًا للموجودين، وإن قالوا: موجود ولا يوجب وجوده الاشتباه بينه وبين الموجودات، قلنا، فكذلك هو حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم، يعني ولا يلزم من اشتباهه بمن اتصف بهذه الصفات(١).

وقال أبو بكر الباقلاني(٢) في كتاب الرد على من نسب إلى

---

(١) العلو للعلي الغفار للذهبي (ص ٢٤٦).

(٢) القاضي أبوبكر محمد بن الطيب ابن الباقلاني، البغدادي الإمام العلامة أوحد المتكلمين، مقدم الأصوليين، صاحب التصانيف، كان يضرب المثل بفهمه وذكائه، وكان ثقة إمامًا بارعًا، صنف في الرّد على الرافضة والمعتزلة، والخوارج، والجهمية والكرامية، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري، وقد يخالفه في مضائق، فإنّه من نظرائه، وقد أخذ علم النّظر عن أصحابه وإليه انتهت رئاسة المالكية في وقته، وكان له بجامع البصرة حلقة عظيمة، مات في ذي القعدة (سنة ٤٠٣ هـ) وصلى عليه إبنه حسن، وكانت جنازته مشهودة، وكان سيفًا على المعتزلة والرافضة والمشبهة، وغالب قواعده على السنة، وقد ذكر الذهبي قصة تقبيل الدارقطني للباقلاني ثمّ قال عن الباقلاني: هو الذي كان ببغداد يناظر عن السنة وطريقة الحديث بالجدل والبرهان، وبالحضرة رؤوس المعتزلة والرافضة والقدرية وألوان البدع، ولهم دولة وظهور بالدولة البويهية، وكان يرد على الكرامية وينصر الحنابلة عليهم، وبينه وبين أهل الحديث عامر، وإن كانوا يختلفون في مسائل دقيقة، فلهذا عامله الدارقطني بالإحترام، وقد ألف كتابًا سمّاه الإبانة يقول فيه: فإن قيل فما الدليل على أن لله وجهًا ويدا؟ قال قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن ٢٧]، =

الأشعري خلاف قوله[١]:

= وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص ٧٥] فأثبت تعالى لنفسه وجهًا ويدًا، إلى أن قال: فإن قيل فهل تقولون إنه في كل مكان؟ قيل معاذ الله! بل هو مستو على عرشه كما أخبر في كتابه. إلى أن قال: وصفات ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفًا بها الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والوجه واليدان والعينان والغضب والرضى، فهذا نص كلامه، وقال نحوه في كتاب التمهيد له وفي كتاب الذب عن الأشعري. وقال: قد بينا دين الأئمة وأهل السنة أن هذه الصّفات تمر كما جاءت بغير تكييف ولا تحديد ولا تجنيس ولا تصوير.

قال الذّهبي: فهذا المنهج هو طريقة السلف وهو الذي أوضحه أبو الحسن وأصحابه، وهو التّسليم لنصوص الكتاب والسنة، وبه قال ابن الباقلاني وابن فورك والكبار إلى زمن أبي المعالي، ثم زمن الشيخ أبي حامد فوقع إختلاف وألوان نسأل الله العفو.

ترتيب المدارك ٤/ ٥٨٥ ـ ٦٠٢، الديباج المذهب ٢/ ٢٢٨، ٢٢٩، سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٩٠، ٥٥٨).

(١) هذا الكتاب صنفه الباقلاني في زمن الخليفة العباسي أبي العباس أحمد بن الأمير إسحاق الملقب بالقادر بالله المتوفى سنة (٤٢٢هـ)، لما عظمت فتنة الباطنية في مصر وانتشرت دعاتهم في شرق الأرض وغربها، مما دعا القادر إلى إظهار السنة، وقمع أهل البدع، فكتب الإعتقاد القادري المنسوب إليه، وهو في الأصل من جمع الشّيخ أبي أحمد القصاب، وهو من أجل المشايخ ـ عاش إلى حدود الستين وثلاثمائة ـ وأعلمهم، وله لسان صدق عظيم، وأمر القادر باستتابة من خالف ذلك من المعتزلة وغيرهم، واعتمد السلطان محمود بن سبكتكين هذا المعتقد، وزاد أمره بلعن أهل البدع، فلعنت المعتزلة والجهمية، واختلف الناس في الأشعرية، فمنهم من يعدهم من أهل البدع فتحلّ عليهم اللعنة، ومنهم من يجعلهم من أهل السّنة فلا يجيز لعنهم، وقام الشّيخ أبو حامد الإسفرائيني إمام الشّافعية والشّيخ أبو عبد الله بن حامد إمام الحنابلة على ابن الباقلاني، بسبب ما ينسب إليه من بدعة الأشعري، فصنّف ابن الباقلاني كتابه المعروف في الرّد على من ينسب إلى الأشعري خلاف قوله، وفيه الدّفاع عن أبي الحسن الأشعري رحمهم الله.

(بيان تلبيس الجهمية٤/ ٢٧١،الصفدية ٢/ ١٦٢، سير أعلام النّبلاء للذهبي ١٧/ ٥٥٩).

وكذلك قولنا في جميع المروي عن رسول الله ﷺ في صفات الله ـ إذا ثبتت بذلك الرواية من إثبات اليدين اللتين نطق بهما القرآن، والوجه والعينين، قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن ٢٧]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [العنكبوت ٨٨]، وقال في قصة إبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص ٧٥]، وقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة ٦٤]، وقال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر ١٤].

قال: وروي في الحديث من رواية ابن عمر أن النبي ﷺ لما ذكر الدجال قال: «**إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور**»[(١)] فأثبت له العينين، قال: وهذا حديث غير مختلف في صحته عند العلماء بالحديث، وهو في صحيح البخاري.

وقال عليه السلام فيما يروى من الأخبار المشهورة: «**وكلتا يديه يمين**»[(٢)].

ونقول: إنه تعالى يأتي يوم القيامة في ظلل من الغمام والملائكة، كما نطق القرآن، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا فيقول: «**هل من سائل فيعطى، أو مستغفر فيغفر له**»[(٣)] الحديث.

وقال: قد بيّنا دين الأئمة وأهل السنة، أن هذه الصفات تمر كما جاءت بغير تكييف ولا تحديد، ولا تجنيس ولا تصوير، كما روي عن

---

(١) خرّجه البخاري (٢٨٢٩) ومسلم (٢٤٧).

(٢) خرّجه الإمام مسلم (٣٤٠٦) والنسائي (٥٢٨٤).

(٣) خرّجه الإمام مسلم (ـ ١٢٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه، ينزّل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدّنيا، فيقول: هل من سائل يعطى، هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له، حتى ينفجر الصبح

ابن شهاب وغيره، وروى الثقات عن مالك أن سائلًا سأله عن قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾، فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

قال: فمن تجاوز هذا المروي من الأخبار عن التابعين ومن بعدهم من السلف الصالحين وأئمة الحديث فقد تعدّى وضلّ وابتدع في الدين ما ليس منه[١].

وقال أبو منصور معمر بن أحمد الأصبهاني الزاهد[٢]:

لما رأيت غربة السنة وكثرة الحوادث واتباع الأهواء، أحببت أن أوصي أصحابي وسائر المسلمين بوصية من السنة، وموعظة من الحكمة، وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر، وأهل المعرفة والتصوف من السلف المتقدمين، والبقية المتأخرين فأقول وبالله التوفيق:.... فأفضل العلماء بعد الرسول ﷺ أولي الأمر؛ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم، ثم الأكابر فالأكابر من العشرة، وغيرهم من الصحابة الذين

---

(١) نقله عنه من لفظه ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية (٣ / ٣٧٨) والذهبي نقل بعضه في العلو ص ٢٣٨، قال الذهبي رحمه الله: فهذا النفس نفس هذا الإمام، وأين مثله في تبحره وذكائه وبصره بالملل والنحل، فلقد امتلأ الوجود بقوم لا يدرون ما السّلف،ولا يعرفون إلا السّلب ونفي الصفات وردها، صم بكم غتم عجم، يدعون إلى العقل، ولا يكونون على النقل، فإنه لله وإنا إليه راجعون.

(٢) معمر بن أحمد بن محمد بن زياد الشيخ أبو منصور الإصبهاني، الزاهد كبير الصوفية بإصبهان. سمع: أبا القاسم الطبراني، وأبا الحسن بن المثنى، وأبا الشيخ، وابن المقريء، وعلي بن عمر بن عبد العزيز. وأملى عنهم. مات في رمضان (سنة ٤٨٩ هـ).

تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٤٨٩).

أبان رسول الله ﷺ فضائلهم وأمر بالاقتداء بهم، فقال عليه السلام: «**اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر**»(١).

وقال عليه السلام «أصحابي كالنجوم بأيِّهم اقتديتم اهتديتم»(٢).

فأخذ رسول الله ﷺ السنة عن الله عز وجل، وأخذ الصحابة عن رسول الله ﷺ، وأخذ التابعون عن الصحابة وهؤلاء الصحابة الذين أشار إليهم رسول الله ﷺ بالاقتداء بهم، ثم أشار الصحابة إلى التابعين بعدهم مثل: سعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص... وعمر بن عبد العزيز و ...**مالك بن أنس....**

فكل هؤلاء سرج الدين وأئمة السنة، وأولوا الأمر من العلماء، فقد اجتمعوا على جملة هذا الفصل من السنة، وجعلوها في كتب السنة.....

فاجتمع هؤلاء كلهم على إثبات هذا الفصل من السنة وهجران أهل البدعة والضلالة، والإنكار على أصحاب الكلام والقياس والجدال، وأن السنة هي اتباع الأثر والحديث والسلامة والتسليم، والإيمان بصفات الله عز وجل من غير تشبيه ولاتمثيل، ولا تعطيل ولا تأويل....

---

(١) خرجه الترمذي في السنن (٣٥٩٥)، والإمام أحمد في المسند (٢٢١٦١) من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (اقتدوا باللذين من بعدي، أبي بكر وعمر، قال الترمذي: هذا حديث حسن ن وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٣٣).

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع العلم (٢/ ٩١) وابن حزم في الإحكام (٦/ ٨٢) من حديث جابر رضي الله عنه، وضعفه الإمام أحمد رحمه الله ، وابن حزم، وقال الألباني: موضوع، السلسلة الصحيحة (٥٨).

فما صح من أحاديث الصفات عن رسول الله ﷺ، اجتمع الأئمة على أن تفسيرها قراءتها، وقالوا: أمروها كما جاءت.

وما ذكر الله في القرآن مثل قوله ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة ٢١٠]، وقوله ﷻ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر ٢٢]، كل ذلك بلا كيف ولا تأويل، نؤمن بها إيمان أهل السلامة والتسليم، ولا نتفكر في كيفيتها.

وساحة التسليم لأهل السنة والسلامة واسعة بحمد الله ومنه، وطلب السلامة في معرفة صفات الله ﷻ أوجب وأولى، وأثمن وأحرى، فإنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فليس كمثله شيء ينفي كل تشبيه وتمثيل، وهو السميع البصير ينفي كل تعطيل وتأويل، فهذا مذهب أهل السنة والجماعة والأثر، فمن فارق مذهبهم فارق السنة، ومن اقتدى بهم وافق السنة، ونحن بحمد الله من المقتدين بهم، المنتحلين لمذهبهم القائلين بفضلهم، جمع الله بيننا وبينهم في الدارين، فالسنة طريقنا وأهل الأثر أئمتنا فأحيانا الله عليها، وأماتنا عليها برحمته إنه قريب مجيب[١].

* * *

(١) الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم الأصبهاني (١/ ٢٣١ ـ ٢٤٤).

فصل: في أن إثبات السادة المالكية للصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية

قال الإمام القرطبي رحمه الله: فإذا كان معلومًا أن إثبات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجود بما ذكرنا لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته على ما يأتي إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف.

فإذا قلنا يد وسمع وبصر ونحوها، فإنما هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه، لا نقول إن معنى اليد القوة والنعمة، ولا معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول إنها جوارح وأدوات للفعل، ذهب إلى القول بهذا جماعة من الأئمة، فلم يتأولوا وكذلك جميع الصفات أجروها على ظاهرها، ونفوا الكيفية والتشبيه عنها[١].

قال الخطابي[٢]: فإن قيل كيف يصح الإيمان بما لا نحيط علمًا

---

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٢/ ١٠).

(٢) الإمام العلامة، الحافظ اللغوي، أبو سليمان، حمد بن محمد البستي الخطابي، صاحب التصانيف. ولد سنة بضع عشرة وثلاث مئة. وأخذ الفقه على مذهب الشافعي قال أبو طاهر السلفي: أبو سليمان الشّارح لكتاب أبي داود، فإذا وقف منصف على مصنفاته، واطّلع على بديع تصرفاته في مؤلفاته، تحقق إمامته وديانته فيما يورده وأمانته، وكان قد رحل في الحديث وقراءة العلوم، وطوف، ثم ألف في فنون من العلم، وصنف وفي شيوخه كثرة، وكذلك في تصانيفه، منها «شرح السنن» وكتابه في غريب الحديث، ذكر فيه ما لم يذكره أبو عبيد، ولا ابن قتيبة في كتابيهما، وهو كتاب ممتع مفيد، ومحصله بنية موفق سعيد، قال الذهبي: =

بحقيقته، أو كيف يتعاطى وصفه تعالى بشيء لا درك له في عقولنا؟ قيل له: إن إيماننا صحيح بحق ما كلفناه منها، وعلمنا محيط بأمر الذي ألزمناه فيها، وإن لم نعرف لما تحتها حقيقة ولا كيفية، وقد أمرنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه واليوم الآخر والجنة ونعيمها والنار وأليم عقابها، ومعلوم أنا لا نحيط علمًا بكل شيء منها على التفصيل، وإنما كلفنا بالإيمان بها جملة. ألا ترى أنا لا نعلم أسماء عدة الأنبياء، وكثيرًا من الملائكة، ولا يمكننا أن نحصي عددهم، ولا أن نحيط بصفاتهم، ولا أن نعلم خواص معانيهم، ولم يكن ذلك قادحًا في إيماننا بما أمرنا أن نؤمن به من أمرهم، وقد قال النبي ﷺ في صفة الجنة «يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[1] وقد حجب عنا علم الروح ومعرفة كيفيته، مع علمنا بأنه له التمييز وبه تدرك المعارف، وهذه كلها مخلوقات الله، فما ظنك بصفات رب العالمين سبحانه[2].

* * *

= وله «شرح الأسماء الحسنى» وكتاب: «الغنية عن الكلام وأهله» توفي ببست في شهر ربيع الآخر (سنة ٣٨٨هـ).

سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٧

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٥) ومسلم (٥٠٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٢/ ١٠).

فصل: القرآن كلام الله غير مخلوق

قال ابن أبي أويس رَحِمَهُ اللهُ[١]: القرآن كلام الله وعلمه ووحيه وتنزيله، فمن قال مخلوق فهو كافر، هذه مقالة خالي مالك[٢].

وقال ابن القاسم رَحِمَهُ اللهُ: أرى من قال إن الله لم يكلم موسى أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل، أراه من الحق الواجب وهو الذي أدين الله عليه[٣].

وقال أبو جعفر القصري: كان أسد بن الفرات[٤] إمام العراقيين

---

(١) إسماعيل بن أبي أويس عبدالله بن عبدالله بن أويس بن مالك بن أبي عامر، الإمام الحافظ الصدوق، أبو عبد الله الأصبحي المدني حدث عنه البخاري ومسلم قال الذّهبي: وكان عالم أهل المدينة ومحدثهم في زمانه على نقص في حفظه وإتقانه، ولولا أن الشيخين احتجا به، لزحزح حديثه عن درجة الصحيح إلى درجة الحسن. مولده في (سنة ١٣٩ هـ) ومات في سنة (٢٢٦هـ).

سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٩٢).

(٢) مناقب الأئمة الأربعة ابن قدامة المقدسي (ص ٩٦).

(٣) البيان والتحصيل (١٦/ ٣٩٩)، النوادر والزيادات (١٤/ ٥٥٣).

(٤) الإمام العلامة القاضي الأمير مقدم المجاهدين، أبو عبد الله أسد بن الفرات الحراني ثم المغربي، مولده بحران (سنة ١٤٤ هـ) روى عن مالك بن أنس «الموطأ» وغلب عليه علم الرأي، وكتب علم أبي حنيفة، أخذ عنه شيخه أبو يوسف، وقيل: إنه تفقه أولا على الإمام علي بن زياد التونسي، قيل: إنه رجع من العراق، فدخل على ابن وهب، فقال: هذه كتب أبي حنيفة، وسأله أن يجيب فيها على مذهب مالك، فأبى وتورع، فذهب بها إلى ابن القاسم، فأجابه بما حفظ عن مالك، وبما يعلم من قواعد مالك، وتسمى هذه المسائل الأسدية. وحصلت بإفريقية له =

بالقيروان كافة، مشهورًا بالفضل والدين، ودينه ومذهبه هو السنة، يقول القرآن كلام الله ﷻ وليس بمخلوق، وكان يبدع من يقول غير ذلك(١).

وقال بكر بن حماد: قلت لسحنون: إنهم يقولون: إن أسد بن الفرات يقول القرآن مخلوق؟ فقال سحنون: والله ما قاله، ولو قاله ما قلناه(٢).

وقال أبو سليمان داود بن يحيى: رأيت أسد بن الفرات يعرض التفسير، فتلا هذه الآية ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ [طه ١٣ ـ ١٤] فقال عند ذلك أسد، ويح لأهل البدع، هلكت هوالكهم، يزعمون أن الله جل وعز خلق كلامًا، يقول ذلك الكلام المخلوق (أنا الله لا إله إلا أنا)(٣).

قال حمديس: إن سحنون ترك شهود الجمعة وراء معد بن عقال إذ كان يصلي بمسجد القيروان، وكان يقول بخلق القرآن(٤).

حضر محمد بن سحنون يومًا عند علي بن حميد الوزير، وكان علي

= رياسة وإمرة، وأخذوا عنه، وتفقهوا به. وحمل عنه سحنون بن سعيد، ثم ارتحل سحنون بالأسدية إلى ابن القاسم، وعرضها عليه، فقال ابن القاسم: فيها أشياء لا بد أن تغير، وأجاب عن أماكن، ثم كتب إلى أسد بن الفرات: أن عارض كتبك بكتب سحنون. فلم يفعل، وعزّ عليه، فبلغ ذلك ابن القاسم، فتألم، وقال: اللهم لا تبارك في الأسدية، فهي مرفوضة عند المالكية.
ترتيب المدارك (٢/ ٤٦٥)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٢٥).

(١) رياض النفوس (١/ ٢٦٥).
(٢) طبقات علماء إفريقية (ص ٨٢).
(٣) طبقات علماء إفريقية (ص ٨٢)، رياض النفوس (١/ ٢٦٥).
(٤) رياض النفوس (١/ ٤٨٩).

يبغيه، وكان يجلّ محمدًا ويعظِّمه ويكبِّره، وكان في مجلسه جماعة ممن يحسن المناظرة، وأحضر معهم شيخًا قدم من المشرق يقال له أبو سليمان النحوي، صاحب الكسائي الصغير، وكان يقول بخلق القرآن، ويذهب إلى الاعتزال، فقال علي بن حميد الوزير لمحمد: يا أبا عبد الله إن هذا الشيخ وصل إلينا من المشرق، وقد تناظر معه هؤلاء فناظرْه أنت، فقال محمد: تقول أيها الشيخ أو تسمع؟ فقال له الشيخ: قل يا بني، فقال محمد: أرأيت كل مخلوق هل يذل لخالقه؟ فسكت الشيخ ولم يحر جوابًا، ومضى وقت طويل وانحصر ولم يأت بشيء؟ فسر بذلك علي بن حميد وأهل المجلس.

فسئل ابن سحنون أن يبيِّن لهم معنى سؤاله هذا، فقال إن قال إن كل مخلوق يذل لخالقه فقد كفر، لأنه جعل القرآن ذليلًا، لأنه يذهب إلى أنه مخلوق، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت ٤١] وإن قال إنه لا يذل، فقد رجع إلى مذهب أهل السنة، لأنه لا يذهب في هذه الحالة إلى أنه مخلوق الذي هو صفة من صفاته[١].

وسئل ابن سحنون عن رجل قال: غلامي حر إن لم يكن القرآن مخلوقا؟ قال: فغلامه حرّ[٢].

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي المالكي الشهير بابن أبي زمنين رحمه الله:

(١) رياض النفوس (١/ ٤٤٩).
(٢) النوادر والزيادات لابن أبي زيد (١٢/ ٥٠١).

ومن قول أهل السنة أن القرآن كلام الله وتنزيله، ليس بخالق ولا مخلوق، منه تبارك وتعالى بدأ وإليه يعود(١).

وقال: حدثني وهب عن ابن وضاح عن زهير بن عباد عن عباد قال: كان كل من أدركته من المشايخ؛ مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وفضيل بن عياض، وعيسى بن يونس، وعبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح وغيرهم ممن أدكت من فقهاء الأمصار، مكة والمدينة والعراق والشام ومصر وغيرها يقولون: القرآن كلام الله، ليس بخالق ولا مخلوق، ولا ينفعه علم حتى يعلم ويؤمن أن القرآن كلام الله ليس بخالق ولا مخلوق(٢).

وقال ﷺ: وقال ابن وضاح: ولا يسع أحدًا أن يقول كلام الله قط حتى يقول: ليس بخالق ولا مخلوق، ولا ينفعه علم حتى يعلم ويوقن أن القرآن كلام الله ليس بخالق ولا مخلوق، منه ﷻ بدأ وإليه يعود، ومن قال بغير هذا فقد كفر بالله العظيم(٣).

وقال ﷺ: وقال مسلمة بن القاسم: كلام الله ﷻ منزل مفروق ليس بخالق ولا مخلوق، لا تدخل فيه ألفاظنا، وإن تلاوتنا له غير مخلوقة، لأن التلاوة هي القرآن بعينه، فمن زعم أن التلاوة مخلوقة، فقد زعم القرآن مخلوقًا، ومن زعم أن القرآن مخلوقًا، فقد زعم أن علم الله مخلوق، ومن زعم أن علم الله مخلوق فهو كافر(٤).

---

(١) أصول السنة (ص ٨٢).
(٢) أصول السنة (ص ٨٦).
(٣) أصول السنة (ص ٨٢).
(٤) أصول السنة (٨٦ ـ ٧٨).

وقال أبو مصعب الزهري رحمه الله: القرآن ليس بمخلوق وهو مذهب عبد الملك بن الماجشون[١].

وقال عبد الملك بن الماجشون رحمه الله: وسمعت من أدركت من علمائنا يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق[٢].

وقال ابن أبي زيد شيخ المالكية، والملقب بمالك الصغير رحمه الله:

فمما اجتمعت الأئمة عليه من أمور الديانة، ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة وأن كلامه صفة من صفاته، ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفد، وأن الله عز وجل كلم موسى بذاته، وأسمعه كلامه لا كلامًا قام في غيره.

ثم قال في آخره: وكل هذا قول مالك، فمنه منصوص من قوله ومنه معلوم من مذهبه[٣].

قال ابن أبي حاتم: في كتابي عن الربيع بن سليمان، قال: حضرت الشافعي أو حدثني أبو شعيب إلا أني أعلم أنه حضر عبد الله بن عبد الحكم، ويوسف بن عمرو بن يزيد، وحفص الفرد، وكان الشافعي يسميه حفصا المنفرد، فسأل حفص عبد الله بن عبد الحكم، فقال ما تقول في القرآن؟ فأبى أن يجيبه، فسأل يوسف بن عمرو بن يزيد، فلم يجبه، وكلاهما أشار إلى الشافعي، فسأل الشافعي، فاحتج عليه الشافعي، وطالت فيه المناظرة، فأقام الشافعي الحجة عليه بأن القرآن

---

(١) ترتيب المدارك (١/ ١٣٠).

(٢) المصدر السابق، والسنة لعبد الله بن الإمام أحمد رقم (٢١١).

(٣) كتاب الجامع ١٣٩

كلام الله غير مخلوق، وكفر حفصا الفرد[١].

قال أبو داود: قلت لأحمد بن صالح[٢]: من قال القرآن كلام الله، ولا يقول مخلوق ولا غير مخلوق؟

قال: هذا شاك الشاك كافر[٣].

فصل: أن موسى عليه السلام سمع كلام الله لا كلام غيره من المخلوقات[٤]

قال شيخ المالكية ابن أبي زيد، والملقب بمالك الصغير رحمه الله:

---

(١) آداب الشافعي لابن أبي حاتم (ص ١٤٩).

(٢) أحمد بن صالح ابن الطبري، سمع ابن وهب، وسمع منه أحمد بن حنبل والبخاري، وهو من الأئمة الثقات، قال أبو الوليد الباجي: أحمد بن صالح من أئمة المسلمين من الحفاظ المتقنين، لا يؤثر فيه تجريح.قال الإمام أحمد: هو يفهم حديث المدينة.توفي سنة (٢٤٨هـ) (ترتيب المدارك ٤/٣٨).

(٣) ترتيب المدارك (٤/ ٥٠).

(٤) المعتزلة تقول إن موسى عليه السلام لم يسمع كلام الله تعالى، وأن الله تعالى لا يتكلم، وإنما سمع كلامًا خلقه الله تعالى في الشّجرة، فالكلام الذي سمعه موسى عليه السلام ليس كلام الله تعالى، وإنّما كلام مخلوق، ولذا جاء بعضهم إلى بعض القراء كي يقرأ قول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ بنصب لفظ الجلالة، فيكون المتكلم موسى عليه السلام لا الرب الكريم سبحانه، فقال له: فكيف تفعل في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾..

وقالت الأشاعرة: إن موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى بمعنى فهم كلام الله تعالى، لا أنه سماع حقيقي، لأن الكلام عندهم نفسي، والقرآن عندهم هو عبارة عن كلام الله تعالى، ليس هو كلام الله تعالى حقيقة، قال ابن فورك (مشكل الحديث ص ٩٣): ومعنى تكليم الله عز وجل خلقه إفهامه إياهم كلامه على ما يريد، إما بإسماع عبارة تدل على مراده أو بابتداء فهم يخلقه في قلبه، يفهم به ما يريد أن يفهمه به، وكل ذلك جائز، وهو معنى ما يكلم الله تعالى به العبد عند المحاسبة.

فمما اجتمعت الأئمة عليه من أمور الديانة، ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة؛ أن الله تعالى كلم موسى بذاته، وأسمعه كلامه لا كلامًا قام في غيره.

ثم قال في آخره: وكل هذا قول مالك، فمنه منصوص من قوله ومنه معلوم من مذهبه[١].

وقال أبو عثمان سعيد بن الحداد[٢]: ثم جرى ذكر تكلم الله تعالى لموسى ﷺ، فقلت: ممن سمع موسى الكلام؟ قال ابن الأشج: من الشجرة. قلت: من ورقها أو من لحائها؟ قال أبو عثمان: فوالله ما درى أحد من أهل المجلس مرادي ـ فيما ظهر لي ـ إلا الأمير، فبدر فقال لابن الأشج: اسكت ويلك، خوفًا أن يجيب فيجب عليه القتل.

قيل لأبي عثمان: وما أردت أصلحك الله بهذا الكلام؟ فقال: لأنه كل ما صرح، فقال بأنه من الشجرة على الحقيقة كفر وزعم أن الله تبارك وتعالىلم يكلّم موسى، وأنه لم يفضله بكلامه.

---

(١) الجامع لابن أبي زيد (ص ١٤٠)، الذخيرة للقرافي (١٣/ ٢٣٥).

(٢) أبو عثمان سعيد بن محمد بن الحداد الإمام شيخ المالكية، صاحب سحنون، وهو أحد المجتهدين، وكان بحرًا في الفروغ، ورأسًا في لسان العرب، بصيرًا بالسنن، قال ابن حارث: له مقامات كريمة، ومواقف محمودة في الدفع عن الإسلام والذب عن السنة، ناظر فيها أبا العباس المعجوقي أخا أبي عبد الله الشيعي الداعي إلى دولة عبيد الله، فتكلم ابن الحداد ولم يخف سطوة سلطانهم، حتى قال له ولده أبو محمد: يا أبة! اتق الله في نفسك ولا تبالغ، قال: حسبي من له غضبت، وعن دينه ذببت. وله مع شيخ المعتزلة الفراء مناظرات بالقيروان، رجع بها عدد من المبتدعة، توفي (سنة ٣٠٢ هـ).

سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٠٥).

قال: ثم حوّل الأمير وجهه إليّ، فقال لي: أقول لك كما قلت لابن طالب: لا أقول مخلوقًا ولا غير مخلوق، قال: فقلت له: لم؟ قال: لأن الله تعالى قال كلامي، ولم يقل مخلوقًا ولا غير مخلوق.

قال: فقلت له: فإن قال غيرك مثل ما قلت في علم الله سبحانه؟ فقال: إن الله ﷻ لم يقل مخلوقًا ولا غير مخلوق، وسلك في العلم مسلكك في الكلام؟

قال: فقال: والله لو قال ذلك أحد لقسمته بسيفي.

قال: فقلت له: ولم؟ قال: لأنه لو كان مخلوقًا لكان قبل أن يخلق العلم جاهلًا، لأن ضدّ العلم الجهل، قال فقلت له: فكذلك لا يقال في الكلام مخلوق، لأنه لو كان مخلوقًا لكان موصوفًا قبل خلقه بضده وهو الخرس، وما لزم في العلم لزم مثله في الكلام.

ودليل آخر: إن العلم لا يعدو إحدى منزلتين؛ إما أن يكون صفة فعل كان من الله ﷻ، فمن شك في خلق ذلك فهو كافر ولعلم الله وقدرته، ومن شك فلم يدر ذلك مخلوق أو غير مخلوق فهو كافر، والكلام لا يعدو هاتين المنزلتين، فالواقف شاهد على نفسه بأنه تارك للقول بالحق حتمًا(١).

وقال أبو عبد الله القرطبي في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف ١٤٣]: أي أسمعه كلامه من غير واسطة(٢).

* * *

(١) رياض النفوس (٢/ ٧٢).

(٢) تفسير القرطبي (٧/ ١٧٧).

فصل: في إثبات أن الله تعالى يحب المؤمنين ويرضى عنهم ويغضب ويسخط على الكافرين

قال شيخ المالكية ابن أبي زيد، والملقب بمالك الصغير رحمه الله:

فمما اجتمعت الأئمة عليه من أمور الديانة، ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة؛ أن الله تبارك وتعالى يرضى عن الطائعين، ويحب التوابين، ويسخط على من كفر به، ويغضب فلا يقوم شيء لغضبه.

ثم قال في آخره: وكل هذا قول مالك، فمنه منصوص من قوله ومنه معلوم من مذهبه(١).

فصل: في إثبات الضحك صفة من صفات ربِّ العالمين

قال ابن القاسم رحمه الله: سألت مالكًا عن الحديث في جنازة سعد بن معاذ في العرش؟ فقال: لا تتحدث به، وما يدعو الإنسان أن يتحدث به وهو يرى ما فيه من التعزيز، وعن الحديث: «إن الله خلق آدم على صورته» وعن الحديث في الساق، وذلك كله، قال ابن القاسم: لا ينبغي لمن يتقي الله ويخافه أن يحدث بمثل هذا، فقلت له: إن الله تبارك وتعالى يضحك، فلم يره من هذا وأجازه، وقال قد جاء فيه حديثان وحديث: «ينزل» مثل ذلك(٢).

وقال يحيى بن مزين رحمه الله(٣): وقد بلغني عن ابن القاسم أنه لم ير

---

(١) كتاب الجامع (ص ١٣٩).

(٢) البيان والتحصيل (١٨/ ٥٠٤).

(٣) يحيى بن إبراهيم بن مزين، رحل إلى المشرق، ولقي مطرف بن عبد الله وروى عنه الموطأ، ودخل العراق وسمع من القعني، وسمع بمصر من أصبغ بن الفرج، وكان حافظا للموطأ فقيها فيه، وله حظ من علم العربية. ترتيب المدارك (٤/ ٢٣٣).

بأسا برواية الحديث «إن الله ضحك» وذلك لأن الضحك من الله، والتنزل والملالة والتعجب منه ليس على جهة ما يكون من عباده[(١)].

عن أحمد بن نصر قال سألت سفيان بن عيينة عن حديث عبد الله عن النبي ﷺ: «**إن الله يضع السموات على إصبع**»[(٢)]، وحديث «**إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن**»[(٣)] وحديث «**إن الله يعجب**[(٤)] **ويضحك**»[(٥)]؟

فقال سفيان: هي كما جاءت نقر بها، ونحدث بلا كيف[(٦)].

قال الشافعي رحمه الله: لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه أمته ﷺ، لا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجة ردَّها،

---

(١) التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٥٢).

(٢) خرجه البخاري (٤٤٣٧)، ومسلم (٤٩٩٢) من حديث ابن مسعود، قال: جاء حبر من اليهود فقال: إنه إذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على إصبع، والأرضين على إصبع والماء والثرى على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يهزهن ثم يقول: أنا الملك أنا الملك، فلقد رأيت النبي ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه، تعجبًا وتصديقا لقوله، ثمّ قال النبي ﷺ: (وما قدروا الله حق قدره إلى قوله يشركون).

(٣) أخرجه مسلم (٤٧٩٨) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء، ثم قال رسول الله ﷺ: اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك).

(٤) أخرج البخاري (٣٠١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن البني ﷺ قال: (عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل).

(٥) أخرج البخاري (٢٨٢٦) ومسلم (١٨٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال (يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة).

(٦) أخرجه الدارقطني في الصفات (٦٣)، والذهبي في العلو ص (١٥٥).

لأن القرآن نزل به، وصحَّ عن رسول الله ﷺ القول به، فيما روى عنه العدل.

فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر بالله، وأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر معذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالروية والفكر، ونحو ذلك إخبار الله سبحانه إيانا أنه يضحك من عبده المؤمن، لقوله ﷺ للذي قتل في سبيل الله: «إنه لقي الله وهو يضحك إليه».

فإن هذه المعاني التي وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ، فيما لا يدرك حقيقة ذلك بالفكر والرواية.

ولا نكفر بالجهل بها أحدًا إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، وإن كان الوارد بذلك خبرًا يقوم بالفهم مقام المشاهدة في السماع وجبت الدينونة على سامعه بحقيقته، والشهادة بما عاين وسمع من رسول الله ﷺ، ونثبت هذه الصفات وننفي عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه تعالى، فقال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١][1].

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: يضحك الله، ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول[2].

❊ ❊ ❊

(١) اعتقاد الإمام الشافعي لأبي الحسن الهكاري (ت ٤٨٦هـ)، ونقله ابن قدامة في إثبات صفة العلو، وذكره أبو الحسن الكرجي في كتاب الفصول في الأصول عن الأئمة، نقله عنه ابن تيمية المجموع (٤/ ١٨٢) من رواية ابن أبي حاتم نا يونس بن عبد الأعلى المقرئ قال سمعت الشافعي به.

(٢) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (١/ ٣١٦).

فصل: إثبات الأئمة المالكية صفة الوجه لربنا الكريم سبحانه

قال ابن القاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن، ولا يشبه وجهه تبارك وتعالى بشيء. ولكنه يقول: وله وجه كما وصف نفسه، تقف عندما وصف به نفسه في الكتاب، فإنه تبارك وتعالى لا مثل له ولا شبيه ولا نظير(١).

قال أبو عمرو الداني: فنص سبحانه على إثبات أسمائه وصفات ذاته، فأخبر جل ثناؤه أنه ذو الوجه الباقي بعد تقضي الماضيات، وهلاك جميع المخلوقات قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص ٨٨] وقال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن ٢٧](٢).

قال ابن رشد رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا اختلاف بين أهل القبلة في جواز إطلاق القول بأن لله يدين ووجهًا وعينين، لأن الله وصف بذلك نفسه بكتابه، فوجب إطلاق القول بذلك، والاعتقاد بأنها صفات ذاته من غير تكييف ولا تشبيه ولا تحديد، إذ لا يشبهه شيء من المخلوقات، هذا قول المحققين من المتكلمين.

وتوقف كثير من الشيوخ عن إثبات هذه الصفات الخمس، وقالوا لا يجوز أن يثبت في صفات الله ما لم يعلم بضرورة العقل ولا بدليله، وتأولوها على غير ظاهرها، فقالوا: المراد بالوجه الذات كما يقال وجه الطريق ووجه الأمر ذاته ونفسه، والمراد بالعينين إدراك المرئيات،

---

(١) البيان والتحصيل (١٦/ ٤٠٠)، أصول السنة لابن أبي زمنين (ص ٧٥)، النوادر والزيادات (١٤/ ٥٥٣).

(٢) الرسالة الوافية (ص ٤٨).

والمراد باليدين النعمتين، وقال تعالى: ﴿بِيَدَيَّ﴾ أي ليدي، لأن حروف الخفض يبدل بعضها ببعض، والصواب قول المحققين الذين أثبتوها صفات لذاته تعالى(١).

قال القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب الإبانة: فإن قيل: فما الدليل على أن لله وجهًا؟ قيل: قوله ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن ٢٧]، وقوله ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص ٨٥] فأثبت لنفسه وجهًا ويدًا(٢).

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه أمته ﷺ، لا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجة ردَّها، لأن القرآن نزل به، وصحّ عن رسول الله ﷺ القول به، فيما روى عنه العدل.

فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر بالله، وأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر معذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالروية والفكر، **ونحو ذلك إخبار الله سبحانه إيانا أن له وجهًا لقوله**: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص ٨٨] وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن ٢٧].

فإن هذه المعاني التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ، فيما لا يدرك حقيقة ذلك بالفكر والرواية.

ولا نكفر بالجهل بها أحدًا إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، وإن كان

---

(١) البيان والتحصيل (١٦/ ٤٠١).

(٢) نقله عنه الذهبي في كتاب العلو للعلي الغفار للذهبي (ص ٢٣٧)، وهو موجود في كتاب التمهيد (ص ٢٩٦).

الوارد بذلك خبرًا يقوم بالفهم مقام المشاهدة في السماع وجبت الدينونة على سامعه بحقيقته، والشهادة بما عاين وسمع من رسول الله ﷺ، ونثبت هذه الصفات وننفي عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه تعالى، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١][(١)].

* * *

(١) اعتقاد الإمام الشافعي لأبي الحسن الهكاري (ت ٤٨٦هـ)، ونقله ابن قدامة في إثبات صفة العلو، وذكره أبو الحسن الكرجي في كتاب الفصول في الأصول عن الأئمة، نقله عنه ابن تيمية المجموع (٤/ ١٨٢) من رواية ابن أبي حاتم نا يونس بن عبد الأعلى المقرئ قال سمعت الشافعي به

فصل: في إثبات الأئمة المالكية
صفة اليدين لربنا سبحانه على ما يليق به سبحانه

قال ابن القاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن.

ولا يشبه يديه بشيء، ولا وجهه بشيء، ولكن يقول: له يدان كما وصف نفسه في القرآن، وله وجه كما وصف نفسه في القرآن، وله وجه كما وصف نفسه.

يقف عندما وصف به نفسه في الكتاب، فإنه تبارك وتعالى لا مثيل له ولا شبيه، ولكن هو الله لا إله إلا هو كما وصف نفسه.

ويداه مبسوطتان كما وصفها: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر ٦٧] كما وصف نفسه[(١)].

وقال شيخ المالكية ابن أبي زيد، والملقب بمالك الصغير رَحِمَهُ اللَّهُ:

فمما اجتمعت الأئمة عليه من أمور الديانة، ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة أن يديه مبسوطتان، والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه، وأن يديه غير نعمتيه في ذلك، وفي قوله سبحانه ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص ٧٥]

ثم قال في آخره: وكل هذا قول مالك، فمنه منصوص من قوله ومنه معلوم من مذهبه[(٢)].

---

(١) البيان والتحصيل (١٦/ ٤٠٠)، أصول السنة لابن أبي زمنين (ص ٧٥).

(٢) كتاب الجامع (١٣٩، ١٤٩).

وقال أبو عمرو الداني رحمه الله في تعداد الصفات:

واليدين على ما ورد من إثباتها في قوله تعالى مخبرًا عن نفسه في كتابه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة ٦٤]، وقال ﷻ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص ٧٥] وليستا بجارحتين، ولا ذواتي صورة، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر ٦٧] وتواترت الأخبار بإثبات ذلك من صفاته عن الرسول ﷺ، وقال: «كلتا يديه يمين» يعني أنه لا يتعذر عليه بإحديهما ما يتأتى بالأخرى[١].

وقال ابن رشد رحمه الله: ولا اختلاف بين أهل القبلة في جواز إطلاق القول بأن لله يدين ووجهًا وعينين، لأن الله وصف بذلك نفسه بكتابه، فوجب إطلاق القول بذلك، والاعتقاد بأنها صفات ذاته من غير تكييف ولا تشبيه ولا تحديد، إذ لا يشبهه شيء من المخلوقات، هذا قول المحققين من المتكلمين.

وتوقف كثير من الشيوخ عن إثبات هذه الصفات الخمس، وقالوا لا يجوز أن يثبت في صفات الله ما لم يعلم بضرورة العقل ولا بدليله، وتأولوها على غير ظاهرها، فقالوا: المراد بالوجه الذات كما يقال وجه الطريق ووجه الأمر ذاته ونفسه، والمراد بالعينين إدراك المرئيات، والمراد باليدين النعمتين، وقال تعالى: ﴿بِيَدَيَّ﴾ أي ليدي، لأن حروف الخفض يبدِّل بعضها ببعض، والصواب قول المحققين الذين أثبتوها صفات لذاته تعالى[٢].

وقال أبو الوليد الباجي رحمه الله: وقول النبي ﷺ «إن الله تعالى خلق

---

(١) الرسالة الوافية (ص ٤٨).

(٢) البيان والتحصيل (١٦/ ٤٠١).

آدم ثم مسح ظهره بيمينه» يقتضي أن الباري تعالى موصوف بأن له يمينًا، وأجمع أهل السنة على أن يديه صفة وليست بجوارح كجوارح المخلوقين، لأنه سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير(١).

وقال الباقلاني رحمه الله: فإن قالوا: فما أنكرتم أن يكون المعنى في قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص ٧٥] أنه خلقه بقدرته أو بنعمته؟ لأن اليد في اللغة قد تكون بمعنى النعمة، وبمعنى القدرة، كما يقال: لي عند فلان يد بيضاء، يراد به نعمة، وكما يقال: هذا الشيء في يد فلان وتحت يد فلان، يراد به أنه تحت قدرته وفي ملكه، ويقال رجل أيد، إذا كان قادرًا، وكما قال الله تعالى: ﴿خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس ٧١] يريد عملنا بقدرتنا، وقال الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

فكذلك قوله ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ يعني بقدرتي.

يقال لهم: هذا باطل، لأن قوله «بيدي» يقتضي إثبات يدين هما صفة له، فلو كان المراد بهما القدرة لوجب أن يكون له قدرتان، وأنتم فلا تزعمون أن للباري سبحانه قدرة واحدة، فكيف يجوز أن تثبتوا له قدرتين، وقد أجمع المسلمون من مثبتي الصفات والنافين لها على أنه لا يجوز أن يكون له تعالى قدرتان، فبطل ما قلتم

وكذلك لا يجوز أن يكون الله تعالى خلق آدم بنعمتين، لأن نعم الله تعالى على آدم وعلى غيره لا تحصى، ولأن القائل لا يجوز أن يقول رفعت الشيء بيدي أو وضعته بيدي، أو تولّيته بيدي وهو يعني نعمته،

---

(١) المنتقى شرح الموطأ (٩/ ٢٦٨).

وكذلك لا يجوز أن يقال: «لي عند فلان يدان» يعني نعمتان، وإنما يقال لي عنده يدان بيضاوان، لأن قول «يد» لا تستعمل إلا في اليد التي هي صفة للذات.

ويدل على فساد تأويلهم أيضًا أنه لو كان الأمر على ما قالوه لم يغفل عن ذلك إبليس وعن أن يقول: وأي فضل لآدم علي يقتضي أن أسجد له وأنا أيضًا بيدك خلقتني، التي هي قدرتك وبنعمتك خلقتني وفي العلم بأن الله تعالى فضل آدم عليه بخلقه بيديه دليل على فساد ما قالوه[١].

وقال أبو عبد الله القرطبي في كتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى:

روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يمين الرحمن**» وفي بعضها «**يمين الله ملأى لا يغيضها شيء، سحاء الليل والنهار، قال أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه، وعرشه على الماء**» زاد الترمذي: «**يخفض ويرفع**»[٢].

قال أبو عيسى[٣]: هذا حديث حسن صحيح، وهذا الحديث تفسير هذه الآية ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة ٦٤] وهذا الحديث قالت الأئمة: نؤمن به كما جاء، من غير أن يفسر أو يتوهم عينه، **قاله غير**

(١) كتاب التمهيد (ص ٧٤).

(٢) خرجه البخاري (٦٨٦٩) ومسلم (١٦٥٨) والترمذي (٢٩٧١).

(٣) كتاب التفسير ـ باب ومن سورة المائدة (٥/ ٢٥١).

واحد من الأئمة منهم سفيان الثوري ومالك بن أنس، وابن عيينة، وابن المبارك، أنه تروى هذه الأشياء ونؤمن بها، ولا يقال كيف.

وحكاه الخطابي عن الشافعي.

وروى البخاري والترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: **«ما تصدق أحد بصدقة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وفي بعضها إلا طيبًا، إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن، حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله»**(١).

قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح، قال الترمذي: وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما أشبهه: هذا من الروايات من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا، قالوا: قد ثبتت الروايات في هذا، ونؤمن بها، ولا نتوهم، ولا يقال كيف هذا؟ **وروي عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا: أمروها بلا كيف.**

وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة.

وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا: هذا تشبيه، وقد ذكر الله تبارك وتعالى في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات وفسّروها على غير ما فسر أهل العلم، وقالوا: إن الله تعالى لم يخلق آدم بيده، وقالوا: معنى اليد ههنا القدرة.

وقال إسحاق بن إبراهيم: إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد، أو

---

(١) خرجه البخاري (١٣٢١)، والترمذي (٥٩٧).

مثل يد، أو سمع كسمع أو مثل سمع، فإذا قال سمع كسمع أو مثل سمع، فهذا.

وأما إذا قال: لله تعالى يد وسمع وبصر، ولا يقول كيد ولا مثل سمع ولا مثل بصر، فهذا لا يكون تشبيهًا، وهو كما قال تعالى في كتابه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١]

وذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد قال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي وسفيان ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت في الصفات؟ فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف.

وروى حرمة بن يحيى قال سمعت عبد لله بن وهب يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: من وصف شيئًا من ذات الله تعالى، مثل قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة ٦٤] فأشار بيده إلى عنقه، قطعت، ومثل قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١] فأشار إلى عينيه أو شيء من بدنه قطع ذلك منه لأنه شبه الله تعالى بنفسه.

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أما سمعت قول البراء حين حدث أن النبي ﷺ قال: لا يضحى بأربع من الضحايا، وأشار البراء بيده كما أشار النبي ﷺ، قال البراء: ويدي أقصر من يد النبي ﷺ[١]، فكره البراء أن يصف يد رسول الله ﷺ وهو مخلوق، فكيف بالخالق الذي ليس كمثله شيء، جل وتعالى علوًا كبيرًا. انتهى كلام الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢].

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الضحايا، باب ما ينهى عنه من الضحايا (٣/ ٦٨٧) رقم (١٧٥٧).

(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٢/ ٢٢).

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه أمته ﷺ، لا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها، لأن القرآن نزل به، وصح عن رسول الله ﷺ القول به، فيما روى عنه العدل.

فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر بالله، وأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر معذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالروية والفكر، **ونحو ذلك إخبار الله سبحانه إيانا أنه سميع بصير، وأن له يدين بقوله:** ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة ٦٤] **وأن له يمينًا بقوله** ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر ٦٧]

فإن هذه المعاني التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ، فيما لا يدرك حقيقة ذلك بالفكر والرواية.

ولا نكفر بالجهل بها أحدًا إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، وإن كان الوارد بذلك خبرًا يقوم بالفهم مقام المشاهدة في السماع وجبت الدينونة على سامعه بحقيقته، والشهادة بما عاين وسمع من رسول الله ﷺ، ونثبت هذه الصفات وننفي عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه تعالى، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١][١].

وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ: من زعم أن يداه نعمتاه، كيف يصنع بقوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص ٥٧][٢].

---

(١) اعتقاد الإمام الشافعي لأبي الحسن الهكاري (ت ٤٨٦هـ)، ونقله ابن قدامة في إثبات صفة العلو، وذكره أبو الحسن الكرجي في كتاب الفصول في الأصول عن الأئمة، نقله عنه ابن تيمية المجموع (٤/ ١٨٢) من رواية ابن أبي حاتم نا يونس بن عبد الأعلى المقرئ قال سمعت الشافعي به.

(٢) الرسائل والمسائل الواردة عن الإمام أحمد في العقيدة (١/ ٣٠٧).

قال أبو المطرف عبد الرحمن بن هارون القنازعي رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)] في شرح الموطأ:

هذ حديث صحيح، وفيه أن لله يمينًا، وكلتا يديه يمين بلا كيف[(٢)].

فصل: قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن

عن أحمد بن نصر قال سألت سفيان بن عيينة عن حديث عبد الله عن النبي ﷺ: «**إن الله يضع السموات على إصبع**»[(٣)]، وحديث «إن

---

(١) العلامة القدوة عبدالرحمن بن هارون الأنصاري القرطبي القنازعي، سمع الحسن بن رشيق، وأكثر عن أبي محمد بن أبي زيد، وأقبل على شأنه، وتصدر للاقراء والفقه بقرطبة.روى عنه ابن عبد البر وطائفة، وكان إمامًا متفننًا حافظًا متألهًا خاشعًا متهجدًا مفسرًا بصيرًا بالفقه واللغة، زاهدًا ورعًا قانعًا باليسير، مجاب الدعوة، بعيد الصيت، رأسًا في القراءات، صاحب تصانيف توفي سنة (٤١٣هـ).

ترتيب المدارك (٧/ ٢٩٠)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٤٣).

(٢) شرح الموطأ (ص٥٧٣).

(٣) خرجه البخاري (٤٤٣٧)، ومسلم (٤٩٩٢) من حديث ابن مسعود، قال: جاء حبر من اليهود فقال: إنه إذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على إصبع، والأرضين على إصبع والماء والثرى على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يهزهن ثم يقول: أنا الملك أنا الملك، فلقد رأيت النبي ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه، تعجبًا وتصديقًا لقوله، ثم قال النبي ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر ٦٧].

قال إمام الأئمة ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب التوحيد (١/ ١٧٨) باب ذكر إمساك الله تبارك وتعالى اسمه وجل ثناؤه السماء والأرض وما عليها على أصابعه، ثم قال: جل ربنا عن أن تكون أصابعه كأصابع خلقه، وعن أن يشبه شيء من صفات ذاته صفات خلقه، وقد أجل الله قدر نبيه ﷺ عن أن يوصف الخالق البارئ بحضرته =

قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن»[١]، وحديث «**إن الله يعجب**[٢] **ويضحك»**[٣]؟

فقال سفيان: هي كما جاءت نقر بها، ونحدث بلا كيف[٤].

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه أمته ﷺ، لا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجة ردّها، لأن القرآن نزل به، وصح عن رسول الله ﷺ القول به، فيما روى عنه العدل.

فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر بالله، وأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر معذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالروية والفكر، ونحو ذلك إخبار الله سبحانه إيانا أنه سميع

= بما ليس من صفاته، فيسمعه فيضحك عنده، ويجعل بدل وجوب النكير والغضب على المتكلم به ضحكًا تبدو نواجذه تصديقًا وتعجبًا لقائله، لا يصف النبي ﷺ بهذه الصفة مؤمن مصدق برسالته، ثم أورد الأحاديث، ثم بوَّب بعده بابًا آخر، فقال: باب إثبات الأصابع لله ﷻ من سنّة النبي ﷺ قيلًا، لا حكاية عن غيره كما زعم بعض أهل الجهل والعناد.

(١) أخرجه مسلم (٤٧٩٨) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء، ثم قال رسول الله ﷺ: اللهم مصرف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك).

(٢) أخرج البخاري (٣٠١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن البني ﷺ قال: (عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل).

(٣) أخرج البخاري (٢٨٢٦) ومسلم (١٨٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة).

(٤) أخرجه الدارقطني في الصفات (٦٣)، والذهبي في العلو ص (١٥٥).

بصير، وأن له إصبعًا بقول النبي ﷺ: «**ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن**ﷻ»[(١)].

فإن هذه المعاني التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ، فيما لا يدرك حقيقة ذلك بالفكر والرواية.

ولا نكفر بالجهل بها أحدًا إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، وإن كان الوارد بذلك خبرًا يقوم بالفهم مقام المشاهدة في السماع وجبت الدينونة على سامعه بحقيقته، والشهادة بما عاين وسمع من رسول الله ﷺ، ونثبت هذه الصفات وننفي عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه تعالى، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١][(٢)].

* * *

فصل: إثبات الأئمة المالكية الحجب للباري سبحانه[(٣)]

قال الإمام مالك رحمه الله: قال عبد الله بن عمر: وإن دون الله سبحانه يوم القيامة سبعين ألف حجاب[(٤)].

---

(١) خرجه الإمام مسلم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٢) اعتقاد الإمام الشافعي لأبي الحسن الهكاري (ت ٤٨٦هـ)، ونقله ابن قدامة في إثبات صفة العلو، وذكره أبو الحسن الكرجي في كتاب الفصول في الأصول عن الأئمة، نقله عنه ابن تيمية المجموع (٤/ ١٨٢) من رواية ابن أبي حاتم نا يونس بن عبد الأعلى المقرئ قال سمعت الشافعي به.

(٣) خرج الإمام مسلم (١٧٩) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: إن الله ﷻ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

(٤) الجامع لابن أبي زيد (ص ١٥٦).

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي المالكي الشهير بابن أبي زمنين رحمه الله: ومن قول أهل السنة: أن الله عز وجل بائن من خلقه، محتجب عنهم بالحجب، فتعالى الله عما يقول الظالمون ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف ٥].

ثم أسند عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «**احتجب الله عن خلقه بأربع: نار وظلمة ونور وظلمة**[1]»[2].

* * *

فصل: إثبات الأئمة المالكية العينين من صفات الباري سبحانه

قال أبو عمرو الداني رحمه الله في تعداد صفات الباري جل شأنه:

والأعين كما أفصح القرآن بإثباتها من صفاته، فقال عز وجل: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور ٤٨]، وقال: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [المؤمنون ٢٧]، وقال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر ١٤]، وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه ٣٩]، وليست عينه بحاسة من الحواس، ولا تشبه الجوارح والأجناس، إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١]، وقال ﷺ حين ذكر الدجال «وإنه أعور» وقال «وإن ربكم ليس بأعور[3]»[4].

---

(١) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (٥٧) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٥٦٢).

(٢) أصول السنة (ص ١٠٦).

(٣) خرجه البخاري (٣٠٨٩) ومسلم (٢٤٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قام رسول الله ﷺ في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدّجّال فقال: إني لأنذركموه، وما من نبي إلا أنذره قومه، لقد أنذر نوح قومه، ولكني أقول لكم فيه قولًا لم يقله نبي لقومه، تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور.

(٤) الرسالة الوافية (ص ٤٩).

وقال أبو الوليد بن رشد ﷺ: ولا اختلاف بين أهل القبلة في جواز إطلاق القول بأن لله يدين ووجهًا وعينين، لأن الله وصف بذلك نفسه بكتابه، فوجب إطلاق القول بذلك، والاعتقاد بأنها صفات ذاته من غير تكييف ولا تشبيه ولا تحديد، إذ لا يشبهه شيء من المخلوقات، هذا قول المحققين من المتكلمين.

وتوقف كثير من الشيوخ عن إثبات هذه الصفات الخمس، وقالوا لا يجوز أن يثبت في صفات الله ما لم يعلم بضرورة العقل، ولا بدليله، وتأولوها على غير ظاهرها، فقالوا: المراد بالوجه الذات كما يقال وجه الطريق ووجه الأمر ذاته ونفسه، والمراد بالعينين إدراك المرئيات، والمراد باليدين النعمتين، وقال تعالى: ﴿بِيَدَيَّ﴾ أي ليديّ، لأن حروف الخفض يبدل بعضها ببعض، والصواب قول المحققين الذين أثبتوها صفات لذاته تعالى[1].

وقال الإمام الشافعي ﷺ: لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه أمته ﷺ، لا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها، لأن القرآن نزل به، وصح عن رسول الله ﷺ القول به، فيما روى عنه العدل.

فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر بالله، وأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر معذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالروية والفكر، ونحو ذلك إخبار الله سبحانه إيانا أنه سميع بصير،... وأنه ليس بأعور، لقول رسول الله ﷺ إذ ذكر الدجال، فقال: **«إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور»**.

(١) البيان والتحصيل (١٦/ ٤٠١).

فإن هذه المعاني التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ، فيما لا يدرك حقيقة ذلك بالفكر والرواية.

ولا نكفر بالجهل بها أحدًا إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، وإن كان الوارد بذلك خبرًا يقوم بالفهم مقام المشاهدة في السماع وجبت الدينونة على سامعه بحقيقته، والشهادة بما عاين وسمع من رسول الله ﷺ، ونثبت هذه الصفات وننفي عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه تعالى، فقال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١][(١)].

* * *

فصل: إثبات الأئمة المالكية العزة والعظمة والجلال من صفات الباري

قال مطرف وابن الماجشون رحمهما الله: ومن حلف بالعزة والعظمة والجلال هكذا، فهو كقوله وعزة الله وعظمته وجلاله، إنما هو حالف بالله، لأن ذلك لله ومن نعت الله[(٢)].

وقال أشهب رحمه الله: من حلف بأمانة الله التي هي صفة من صفاته فهي يمين، وإن حلف بأمانة الله التي بين العباد فلا شيء عليه، أو قال

---

(١) اعتقاد الإمام الشافعي لأبي الحسن الهكاري (ت ٤٨٦هـ)، ونقله ابن قدامة في إثبات صفة العلو، وذكره أبو الحسن الكرجي في كتاب الفصول في الأصول عن الأئمة، نقله عنه ابن تيمية المجموع (٤/ ١٨٢) من رواية ابن أبي حاتم نا يونس بن عبد الأعلى المقرئ قال سمعت الشافعي به.

(٢) النوادر والزيادات (٤/ ١٥) في باب اليمين بشيء من صفات الله سبحانه أو بأسمائه.

في عزة الله التي هي صفة ذاته، وأما بالعزة التي خلقها في خلقه فلا شيء عليه[١].

وقال سحنون في قول الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ [الصافات ١٨٠] أنها العزة التي هي غير صفته التي خلقها في خلقه[٢].

وقال أبو القاسم بن الجلاب المالكي البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: ومن حلف بالله سبحانه أو باسم من أسمائه أو صفة من صفاته، ثم حنث فعليه الكفارة، مثل أن يقول والله أو والرحمن أو والرحيم أو ما أشبه ذلك من أسماء الله تعالى، أو يقول وعزة الله، أو وقدرة الله أو وعظمة الله أو وجلال الله، أو ما أشبه ذلك من صفات الله تعالى، وكذلك لو قال وعلم الله أو وكلام الله، ثم حنث لزمته الكفارة، ومن حلف بالقرآن ثم حنث لزمته الكفارة[٤].

* * *

(١) النوادر والزيادات (٤/ ١٥) في باب اليمين بشيء من صفات الله سبحانه أو بأسمائه.

(٢) النوادر والزيادات (٤/ ١٥) في باب اليمين بشيء من صفات الله سبحانه أو بأسمائه.

(٣) شيخ المالكية، العلامة أبو القاسم بن الجلاب، صاحب كتاب «التفريع» قيل اسمه عبيد الله بن الحسين بن الحسن. وسماه القاضي عياض محمد بن الحسين، ثم قال ويقال اسمه الحسين بن الحسن وسماه الشيخ أبو إسحاق في «طبقات الفقهاء» عبدالرحمن بن عبيد الله.تفقه بالقاضي أبي بكر الأبهري، وله مصنف كبير في مسائل الخلاف، وكان أفقه المالكية في زمانه بعد الأبهري، وما خلف ببغداد في المذهب مثله. مات كهلًا في آخر سنة ثمان وسبعين وثلاث مئة راجعًا من الحج. (سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٨٥).

(٤) التفريع (١/ ٣٨١).

فصل: هل الأمانة من صفات الله

قال ابن المواز رحمه الله: ونحن نكره له اليمين بأمانة الله، فإن فعل فحنث فيكفر كالعهد والذمة[1].

وقال أشهب رحمه الله: من حلف بأمانة الله التي هي صفة من صفاته فهي يمين[2].

* * *

فصل: العلم صفة من صفات العليم سبحانه

قال سحنون فيمن قال: «علم الله إني إن فعلت كذا»: فإن أراد العلم فهي يمين كالحالف بصفة من صفات الله سبحانه، وإن لم يرد العلم فليس فيه شيء[3].



(١) النوادر والزيادات (٤/ ١٥) في باب اليمين بشيء من صفات الله سبحانه أو بأسمائه.

(٢) النوادر والزيادات (٤/ ١٥) في باب اليمين بشيء من صفات الله سبحانه أو بأسمائه.

(٣) النوادر والزيادات (٤/ ١٧) في باب اليمين بشيء من صفات الله سبحانه أو بأسمائه.

فصل: مقالة الإمام مالك رحمه الله والأئمة كافة أن الله في السماء وعلمه في كل مكان[1].

---

(١) هذه المقالة هي مقالة أهل السنة والجماعة، وأجمع عليها السلف الصالح رحمهم الله، وهي مقالة الأئمة الأربعة؛ مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم، وخالف في ذلك فرقة الجهمية والمعتزلة ومتأخرو الأشعرية، فقالوا: من قال إن الله في السماء فهو ضالّ مضلّ.

فأما مقالة أبي حنيفة رحمه الله، ففي كتاب الفقه الأكبر (ص ٤٩) قال أبو حنيفة رحمه الله: ومن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر، لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه ٥] وعرشه فوق سبع سموات. قيل له: فإن قال إنه على العرش، ولكنه يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر، لأنه أنكر أن يكون في السماء، لأنه تعالى في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل.

وأما مقالة الشافعي رحمه الله، فقد قال: القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم، وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء، وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء. ذكره الإمام الذهبي في العرش (٢/ ٢٢٧).

وأما مقالة أحمد بن حنبل رحمه الله فقد قال في كتاب الرد على الجهمية الذي رواه عنه الخلال من طريق ابنه عبد الله قال: باب بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون اللّه تعالى على العرش.

وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه ٥] قلنا لهم: ما أنكرتم أن يكون اللّه تعالى على العرش، وقد قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه ٥]؟ فقالوا: هو تحت الأرض السابعة، كما هو على العرش وفي السموات والأرض وفي كل مكان، وتلا: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام ٣].

قال أحمد: فقلنا قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظمة الربِّ شيء؛ أجسامكم، وأجوافكم، والحشوش، والأماكن القذرة، ليست فيها من عظمة الربّ تعالى شيء، وقد أخبرنا الله عز وجل أنه في السماء فقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن =

قال الإمام مالك رحمه الله: والله ﷻ في السماء وعلمه في كل مكان(١).

قال القاضي عياض رحمه الله: قال غير واحد سمعت مالكًا يقول: الله في السماء وعلمه في كل مكان(٢).

وقال شيخ المالكية ابن أبي زيد الملقب بمالك الصغير رحمه الله:

فمما اجتمعت الأئمة عليه من أمور الديانة ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة أن الله فوق سماواته على عرشه دون أرضه.

ثم قال في آخره: وكل هذا قول مالك، فمنه منصوص من قوله ومنه معلوم من مذهبه(٣).

= ﴿يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك ١٦، ١٧] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر ١٠] ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران ٥٥] ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء ١٥٨]. ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل ٥٠].

ذكر هذا الكتاب كله أبو بكر الخلال في كتاب السنة التي جمع فيه نصوص أحمد وكلامه، وعلى منواله جمع البيهقي في كتابه الذي سماه جامع النصوص من كلام الشافعي، وهما كتابان جليلان لا يستغني عنهما عالم. كتاب العرش للإمام الذهبي رحمه الله (٢/ ٢٥٠).

قال أبو الوليد بن رشد الحفيد في كتابه المسمى ب ـ (مناهج الأدلة في عقائد الملة (ص ١٧٦)، ونقله عنه ابن القيم في الصواعق (٢/ ٤٠٤):

وأما هذه الصفة ـ يعني القول بالجهة ـ فلم يزل أهل الشريعة يثبتونها، حتى نفتها المعتزلة ومتأخرو الأشاعرة كأبي المعالي ومن اقتدى بقولهم، وظواهر الشرع كلها تقتضي إثبات الجهة.

(١) الانتقاء لابن عبد البر (ص ٣٥)، الشريعة للآجري (٢/ ٦٧)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/ ١٠٦).

(٢) ترتيب المدارك (٢/ ٤٣).

(٣) الجامع (١٣٩ ـ ١٤١).

وقال أبو المطرف عبد الرحمن بن هارون القنازعي رحمه الله في شرح الموطأ: وفي هذا الحديث ـ يعني حديث الأمة السوداء ـ بيان أن الله تبارك وتعالى في السماء، فوق عرشه، وهو في كل مكان بعلمه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة ٧] إلى آخر الآية، يعني: يحيط بهم علمًا، ويعلم ما يسرون وما يعلنون(١).

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي المالكي الشهير بابن أبي زمنين رحمه الله(٢): وهذا الحديث بين أن الله ﷻ على عرشه في السماء دون الأرض، وهو أيضًا بين في كتاب الله وفي غير ما حديث عن رسول الله، قال الله ﷻ ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة ٥]، وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك ١٦]، وقال: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك ١٧]، وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر ١٠]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام ١٨]، وقال لعيسى: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران ٥٥]، وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء ١٥٨]

ثم ذكر حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه(٣) ثم قال: والحديث مثل هذا كثير جدًّا، فسبحان الله من علمه بما في الأرض

---

(١) شرح الموطأ (ص٢٦٩).

(٢) بعد أن ذكر حديث أبي هريرة في نزول الله تعالى في الثلث الأخير من الليل إلى سماء الدنيا

(٣) الحديث خرجه الإمام مسلم (١/ ٣٨١) رقم (٥٣٧) عن معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت يا رسول الله: كانت لي جارية ترعى غنمًا لي قبل أحد والجوانية فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم =

كعلمه بما في السماء، لا إله إلا هو العلي العظيم[١].

وقال الإمام أبو عمر بن عبد البر المالكي رحمه الله: وأما قوله في هذا الحديث للجارية **أين الله**؟ فعلى ذلك جماعة أهل السنة، وهم أهل الحديث ورواته المتفقهون فيه، وسائر نقلته كلهم، يقول ما قال الله تعالى في كتابه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه ٥]، وأن الله عز وجل في السماء، وعلمه في كل مكان، وهو ظاهر القرآن في قوله عز وجل: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك ١٦]، وبقوله عز وجل: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر ١٠] وقوله ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج ٤].

ثم قال: ولم يزل المسلمون إذا دهمهم أمر يقلقهم فزعوا إلى ربهم، فرفعوا أيديهم وأوجههم نحو السماء يدعونه، ومخالفونا ينسبونا في ذلك إلى التشبيه والله المستعان، ومن قال بما نطق به القرآن فلا عيب عليه عند ذوي الألباب[٢].

وخرَّج أبو عمر رحمه الله في الاستذكار[٣] حديثًا عن أبي هريرة رضي الله عنه[٤] في النزول ثم قال:

= آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فعظم ذلك عليَّ، قلت يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: ائتني بها، فأتيته بها فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة.

(١) أصول السنة (ص ١١٣).

(٢) الاستذكار (٢٣/١٦٨).

(٣) الاستذكار (٨/١٤٦).

(٤) حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة =

وفي هذا الحديث دليل على أن الله ﷻ في السماء على العرش، من فوق سبع سماوات، وعلمه في كل مكان كما قالت الجماعة أهل السنة، أهل الفقه والأثر، وحجتهم ظواهر القرآن في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه ٥].

كما قال: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف ١٣]

وقوله: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ [هود ٤٤]

و﴿ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [المؤمنون ٢٨].

قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ﴾ [السجدة ٤].

وقال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت ١١].

فأوردتهم ماءً بفيفاءَ قفرةٍ وقد حلق النجم اليمانيُّ فاستوى[1]

وقال ﷻ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك ١٦] على السماء.

كما قال: ﴿فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه ٧١] أي عليها

وقال: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة ٥]

وقال: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ [المعارج ٣]، والعروج الصعود.

وهذه الآيات كلها واضحات في إبطال قول المعتزلة، وقد أوضحنا فساد ما ادَّعوه من المجاز فيها في التمهيد، وذكرنا الحجة عليهم بما حضرنا من الأثر من وجوه النظر هناك بباب فيه كتاب مفرد والحمد لله.

= إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول من يدعونى فأستجيب له، من يسألنى فأعطيه، من يستغفرنى فأغفر له) خرجه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨).

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٢/ ١٩٧٠

ومحال أن يكون من قال عن الله ما هو في كتابه منصوص مشبهًا، إذا لم يكيف شيئًا وأقرَّ أنه ليس كمثله شيء.

ومن الحجة فيما ذهبت إليه الجماعة، أن الموحدين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو دهمهم غمر، أو نزلت بهم شدة رفعوا أيديهم إلى السماء يستغيثون ربهم ليكشف ما نزل بهم، ولا يشيرون بشيء من ذلك إلى الأرض.

ولولا أن موسى عليه السلام قال لهم إلهي في السماء، ما قال فرعون: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر ٣٦ ـ ٣٧]

وهذا أمية بن أبي الصلت وهو ممن قرأ الكتب التوراة والإنجيل والزبور، وكان من وجوه العرب يقول في شعره:

فسبحان من لا يقدر الخلقُ قدره ... ومن هو فوق العرش فرد موحَّدُ

ملك على عرش السماء مهيمنٌ ... لعزّته تعنو الوجوه وتسجدُ

وفيه يقول في وصف الملائكة:

وساجدهم لا يرفع الدهر رأسه ... يعظم ربًّا فوقه ويمجده

وسئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن[1] عن قول الله ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه ٥] قال: استواؤه حق معلوم وكيفيته مجهولة[2].

وقد روي عن عبد الله بن نافع عن مالك نحو ذلك، قال: سئل

---

(١) ربيعة بن أبي عبد الرحمن، شيخ الإمام مالك رحمه الله، سبقت ترجمته.

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٦) والطبري اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٣٩٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله.

مالك عن قول الله ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه ٥]، كيف استوى؟ فقال: استواؤه معلوم، وكيفيته مجهولة، وسؤالك عن هذا بدعة، وأراك رجل سوء.

وروى حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود قال: الله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم[(١)].

وسئل سفيان الثوري[(٢)] عن قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ «قال: علمه»[(٣)].

وقال ابن المبارك رحمه الله[(٤)]: الرب تبارك وتعالى على السماء السابعة على العرش ا.هـ[(٥)].

---

(١) رواه اللالكائي (٣/ ٣٩٥) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٨٦)، وصحح إسناده الذهبي في كتاب العرش (٢/ ١٢٩).

(٢) الامام شيخ الإسلام سيد الحفاظ سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله، أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى والورع، قال عبد الرحمن بن مهدي: الأئمة أربعة مالك والثوري وحماد بن زيد وابن المبارك، مات رحمه الله سنة ١٦١هـ. تذكرة الحفاظ (١/ ٢٠٣).

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد، والآجري في الشريعة (٣/ ١٠٧٨) وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٣٩) وصححه الذهبي في كتاب العرش (٢/ ١٨٦).

(٤) عبد الله بن المبارك المروزي الحنظلي، الحافظ شيخ الإسلام، وأحد الأئمة الفقهاء، قال عبد الرحمن بن مهدي: الأئمة أربعة: مالك والثوري وحماد بن زيد وابن المبارك، توفي سنة ١٨١ هـ (تذكرة الحفاظ ١/ ٢٧٤).

(٥) قال الذهبي رحمه الله في كتاب العرش (٢/ ١٨٨) وثبت عن علي بن الحسن بن شقيق شيخ البخاري قال: قلت لعبد الله بن المبارك: كيف نعرف ربنا؟ قال: في السماء السابعة على عرشه، وفي لفظ على السماء السابعة على عرشه، ولا نقول كما تقول الجهمية: إنه ههنا في الأرض، فقيل لأحمد بن حنبل، فقال هكذا هو عندنا. =

قال سليمان التيمي[١]: لو سئلت أين الله تبارك وتعالى؟ لقلت في السماء، فإن قال: فأين عرشه قبل أن يخلق السماء؟ قلت: على الماء، فإن قال لي: أين كان عرشه قبل أن يخلق الماء؟ قلت: لا أدري[٢]. انتهى كلام أبي عمر بن عبد البر رحمه الله.

وقيل للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: والله تعالى فوق السماء السابعة على عرشه، بائن من خلقه، وقدرته وعلمه بكل مكان؟

قال: نعم على عرشه، لا يخلو شيء من علمه.

وقال رحمه الله: وهو على العرش فوق السماء السابعة، فإن احتج مبتدع أو مخالف بقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق ١٦]، وبقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد ٤]، أو بقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة ٧]، ونحو هذا من متشابه القرآن، قيل: إنما يعنى بذلك العلم، لأن الله تبارك وتعالى على العرش، فوق السماء السابعة العليا، يعلم ذلك كله، وهو تعالى بائن من خلقه، لا يخلو من علمه مكان[٣].

* * *

= قال الذهبي رحمه الله: هذا صحيح ثابت عن ابن المبارك وأحمد رضي الله عنهما.
وأثر ابن المبارك خرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص ٨) وابن منده في التوحيد (٣/ ٣٠٨) وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٤٢).

(١) سليمان بن طرخان التيمي من أئمة التابعين، سمع من أنس بن مالك والحسن البصري وطاوس بن كيسان، قال شعبة: ما رأيت أصدق من سليمان التيمي كان إذا حدث عن النبي ﷺ تغير لونه. تهذيب الكمال للمزي (٨/ ٦٨).

(٢) أخرجه ابن قدامة في إثبات صفة العلو (٩١).

(٣) الرسائل والمسائل الواردة على الإمام أحمد في العقيدة (١/ ٣١٨).

فصل: تفسير الإمام مالك رحمه الله قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ ومخالفته في ذلك لطوائف البدع من الجهمية والمعتزلة ومتأخري الأشعرية

قال سفيان بن عيينة: سأل رجل **مالكًا**، فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه ٥] كيف استوى يا أبا عبد الله!؟

فسكت مالك مليًّا حتى علاه الرحضاء، وما رأينا مالكًا وجد من شيء وجده من مقالته، وجعل الناس ينظرون ما يأمر به، ثم سري عنه فقال:

الاستواء منه معلوم، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإني لأظنك ضالًّا، أخرجوه[1].

فناداه الرجل: يا أبا عبد الله! والله الذي لا إله إلا هو، لقد سألت عن هذه المسألة أهل البصرة والكوفة والعراق، فلم أجد أحدًا وفق لما وفقت له[2].

قال الإمام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله: وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة، ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى، كما نطق كتابه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة.

---

(١) نقل الذهبي رحمه الله عبارة الإمام مالك رحمه الله ثم قال: وقد تقدم نحوه عن أم سلمة، ووهب بن منبه، وربيعة الرأي، فانظر إليهم كيف أثبتوا الاستواء لله تعالى، وأخبروا أنه معلوم لا يحتاج لفظه إلى تفسير، ونفوا الكيفية عنه، وأخبروا أنها مجهولة. العرش (٢/ ١٨٤).

(٢) ترتيب المدارك (٢/ ٣٩)، النوادر والزيادات (١٤/ ٥٥٢).

وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا تعلم حقيقته.قال مالك رحمه الله: الاستواء معلوم، يعني في اللغة، والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة[1].

وقال الإمام موفق الدين أبو محمد بن قدامة رحمه الله[2]: وقولهم «**الاستواء غير مجهول**» أي غير مجهول الوجود، لأن الله تعالى أخبر به، وخبره صدق يقينًا لا يجوز الشك فيه، ولا الارتياب فيه، فكان غير مجهول لحصول العلم به، وقد روي في بعض الألفاظ «**الاستواء معلوم**».

وقولهم «**الكيف غير معقول**» لأنه لم يرد به توقيف، ولا سبيل إلى معرفته بغير توقيف.

«**والجحود به كفر**» لأنه رد لخبر الله، وكفر بكلام الله، ومن كفر بحرف متفق عليه فهو كافر، فكيف بمن كفر بسبع آيات، وردَّ خبر الله تعالى في سبعة مواضع من كتابه.

---

(١) تفسير القرطبي (٩/ ٢٣٨).

(٢) الشيخ الإمام القدوة العلامة المجتهد شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله ابن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي صاحب المغني مولده سنة (٥٤١ هـ)، كان عالم أهل الشام في زمانه، قال عمر بن الحاجب: هو إمام الأئمة، ومفتي الأمة، خصه الله بالفضل الوافر والخاطر الماطر، والعلم الكامل، طنت بذكره الأمصار، وضنت بمثله الأعصار، أخذ بمجامع الحقائق النقلية والعقلية، إلى أن قال: وله المؤلفات الغزيرة، وما أظن الزمان يسمح بمثله، متواضع حسن الاعتقاد. ألف كتاب المغني، قال العز بن عبد السلام: ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل «المحلّى» لابن حزم، وكتاب «المغني» للشيخ موفق الدين،قال الذهبي رحمه الله: لقد صدق الشيخ عز الدين، توفي رحمه الله سنة (٦٢٠ هـ).
(سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٧٠).

و«**الإيمان به واجب**» لذلك.

«**والسؤال عنه بدعة**»: لأنه سؤال عما لا سبيل إلى علمه، ولا يجوز الكلام فيه، ولم يسبق في ذلك في زمن رسول الله ﷺ، ولا من بعده من أصحابه[١].

سئل الإمام الأوزاعي[٢] رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ قال: هو على عرشه كما وصف نفسه[٣].

وقال رحمه الله: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله عزوجل فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته[٤].

قال بنان بن أحمد: كنا عند القعنبي رحمه الله[٥]. فسمع رجلًا من

---

(١) ذم التأويل لابن قدامة (ص ٢٤).

(٢) شيخ الإسلام وعالم أهل الشام أبو عمرو عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد، الأوزاعي.
ولد (سنة ٨٨هـ)، وكان خيرًا، فاضلًا، مأمونًا كثير العلم والحديث والفقه، حجة، قال أحمد بن حنبل: دخل سفيان الثوري والأوزاعي على مالك، فلما خرجا قال: أحدهما أكثر علمًا من صاحبه، ولا يصلح للإمامة، والآخر يصلح للإمامة، - يعني الأوزاعي للامامة - ، وبلغ الثوري، وهو بمكة، مقدم الأوزاعي، فخرج حتى لقيه بذي طوى، فلما لقيه، حلَّ رسن البعير من القطار، فوضعه على رقبته، فجعل يتخلل به، فإذا مر بجماعة قال: الطريق للشيخ، توفي (سنة ١٥٧ هـ). سير أعلام النبلاء (١١٦/٧).

(٣) العلو للعلي الغفار ص ١٣٧

(٤) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٥) والذهبي في العلو للعلي الغفار ص ١٣٦ وفي سير أعلام النبلاء (٧/ ١٢٠) وقال: هذا إسناد صحيح، وأورده الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٠٦/١٣) وجوَّد إسناده، وصححه ابن تيمية وابن القيم.

(٥) عبدالله بن مسلمة بن قعنب، الإمام الثبت القدوة، شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن =

الجهمية يقول: الرحمن على العرش استوى، فقال القعنبي: **من لا يوقن أن الرحمن على العرش استوى كما يقر في قلوب العامة فهو جهمي**[(١)].

قال الحافظ الإمام أبو عمر الأندلسي الطلمنكي المالكي رحمه الله: وقال أهل السنة في قول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه ٥]: إن الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة لا على المجاز[(٢)]

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي المالكي الشهير بابن أبي زمنين رحمه الله: ومن قول أهل السنة: أن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء كما أخبر عن نفسه في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾ [طه ٥ ـ ٦]، وفي قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ

= الحارثي القعنبي المدني نزيل البصرة، ثم مكة. مولده بعد (سنة ١٣٠ هـ) قال القعنبي: اختلفت إلى مالك ثلاثين سنة، ما من حديث في «الموطأ» إلا لو شئت قلت: سمعته مرارًا، قال الحنيني قال: كنا عند مالك، فقدم ابن قعنب من سفر، فقال مالك: قوموا بنا إلى خير أهل الأرض وقال عثمان بن سعيد: سمعت علي بن المديني وذكر أصحاب مالك، فقيل له: معن ثم القعنبي؟ قال: لا بل القعنبي ثم معن، قال ابن أبي حاتم: قلت لأبي: القعنبي أحب إليك في «الموطأ» أو إسماعيل ابن أبي أويس؟ قال: بل القعنبي، لم أر أخشع منه، قال أبو زرعة الرازي: ما كتبت عن أحد أجلَّ في عيني من القعنبي، قال عبدالله الخريبي ـ وكان كبير القدر ـ : حدثني القعنبي، عن مالك، وهو والله عندي خير من مالك.

سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٥٧، ترتيب المدارك ١/ ٣٩٧

(١) العلو للعلي الغفار للذهبي (ص ١٦٦).

(٢) العلو للعلي الغفار للذهبي (ص ٢٦٤).

عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الحديد ٤]، فسبحان من بعُد فلا يرى، وقرب بعلمه وقدرته فسمع النجوى[١].

وقال أبو عمرو الداني رحمه الله **في ذكر عقيدة أهل السنة:**

ومن قولهم: أنه سبحانه فوق سماواته، مستوٍ على عرشه، ومستولٍ على جميع خلقه، وبائن منهم بذاته، غير بائن بعلمه، محيط بهم، يعلم سرهم وجهرهم، ويعلم ما يكسبون على ما ورد به خبره الصادق وكتابه الناطق، فقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه ٥]، واستواؤه جل جلاله: علوه بغير كيفية، ولا تحديد ولا مجاورة ولا مماسّة، قال مالك رحمه الله للذي سأله عن كيفية الاستواء: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة[٢].

وقال أبو جعفر القصري: كان أسد بن الفرات إمام العراقيين بالقيروان كافة، مشهورًا بالفضل والدين، ودينه ومذهبه هو السنة، وكان يقول إن الله على العرش استوى بلا كيف، ويرى في الآخرة كيف يشاء، لا كما يشاء العباد، ويكفر من يمنع من ذلك[٣].

وعن يحيى بن عون قال: دخلت مع سحنون على ابن القصار وهو مريض، فقال: ما هذا القلق؟

---

(١) أصول السنة ص ٨٨

(٢) الرسالة الوافية (ص ٥٢).

(٣) رياض النفوس (١/ ٢٦٥).

قال له: الموت والقدوم على الله.

قال له سحنون: ألست مصدقا بالرسل، والبعث والحساب، والجنة والنار!! وأن أفضل هذه الأمة أبو بكر ثم عمر!!؟ والقرآن كلام الله غير مخلوق!! وأن الله يرى يوم القيامة؟!! وأنه على العرش استوى؟؟!! ولا تخرج على الأئمة بالسيف وإن جاروا؟؟!

قال: إي والله!

فقال: مت إذا شئت، مت إذا شئت[١].

وقال ابن شعبان المالكي محمد بن القاسم أبو إسحاق رحمه الله[٢]:

الحمد لله أحق ما بدا، وأول من شكر، الواحد الصمد، ليس له صاحبة ولا ولد، جل عن المثل بلا شبه ولاعدل، على عرشه استوى، فهو دان بعلمه، أحاط علمه الأمور، ونفذ حكمه في سائر المقدور[٣].

قال شيخ المالكية ابن أبي زيد، والملقب بمالك الصغير في الرسالة[٤]:

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٦٧، رياض النفوس (١/ ٣٦٧).

(٢) شيخ المالكية أبو إسحاق المصري الفقيه الإخباري المتفنن روى عن أبي عبد الرحمن النسائي، ألف كتاب الزاهي الشعباني المشهور في الفقه، وكتاب مناقب مالك، وكتاب شيوخ مالك، وكتاب الرواة عن مالك وغيرها. قال الفرغاني: كان رأس الفقهاء المالكيين بمصر في وقته، وأحفظهم لمذهب مالك مع التفنن في سائر العلوم، وقال ابن مفرج: هو شيخ الفتوى، وحافظ البلد توفي سنة (٣٥٥هـ) ترتيب المدارك (٥/ ٢٧٤).

(٣) العلو للذهبي (ص ٢٥٢).

(٤) عقيدة ابن أبي زيد بشرح القاضي عبد الوهاب (ص ١٧١).

وأنه تعالى فوق عرشه(١) ....

(١) بلغ من غربة الدين، وغربة أهلها، وذهاب أعلامها أن بعض المتعصبة كفر إمام المالكية وشيخ المذهب ابن أبي زيد رحمه الله من أجل إثباته العلو لله تعالى، وزعم أن إثبات العلوّ كفر بالله!! وأن ذلك كفر بإجماع الأمة المحمدية!! وللأسف جاء من ينتصر لابن أبي زيد ويدفع في نحر هذا الجاهل تكفيره لأئمة الإسلام وأعلام السنة والحديث، فكان محصل دفاعه أن ابن أبي زيد ليس بكافر، وإنما هو من أهل الأهواء والضلال، ومذهب مالك عدم تكفير أهل الأهواء!!

فيا لله ما أقوى هذا الدفاع، وما أبرَّه من تابع وصاحب مالكي، أخرجته من دائرة الكفر، وأنزلته منزلة أهل البدع والأهواء!!

قال أبو القاسم البرزلي في النوازل (٦/ ٢٠٠): وسئل عز الدين ما تقول في قول ابن أبي زيد وأنه فوق عرشه المجيد بذاته، وهو في كل مكان بعلمه؟ هل يفهم منه القول بالجهة أم لا؟ وهل يكفر معتقدها أم لا؟ فأجاب: بأن ظاهر ما ذكره القول بالجهة لأنه فرق بين كونه على العرش، وبين كونه مع خلقه بعلمه، والأصح أن معتقد الجهة لا يكفر، لأن علماء المسلمين لم يخرجوهم عن الإسلام، بل حكموا لهم بالإرث من المسلمين، وبالدفن في مقابرهم، وتحريم دمائهم وأموالهم، وإيجاب الصلاة عليهم، وكذا سائر أرباب البدع، لم يزل الناس يجرون عليهم أحكامهم، وكذا سائر أحكام الإسلام، ولا مبالاة لمن كفرهم لمراغمته لما عليه الناس، انتهى كلامه.

ثم قال البرزلي: وبلغ هذا بعض من ينتسب للطلب، فقال هذا كفر، والقائل به كافر، لأن من اعتقد الجهة في حق الله تعالى جل وعلا فهو كافر بإجماع، ومن توقف في تكفيره فهو كافر، فعورض هذا الطالب في ذلك بما وقع بين الأئمة من الاختلاف في تكفير أهل الأهواء، أو ما قاله القاضي في الشفاء وغيره، من جريان الخلاف في المشبهة وغيرهم، وما ذكره ابن التلمساني في عين المسألة من الخلاف، فلم يقبل شيئًا من هذا، واستدل لنقله الإجماع في المسألة بالحلولية، وجعلها أنها في عين جواب عز الدين وإن الحلولية كفر بالإجماع.

قلت: بالله عليك أيها السنيّ الموحد، أترى غربة للدين أعظم من هذه الغربة. وإذا صح لنا أن ابن أبي زيد كافر أو ضالّ على أقل الأحوال، فمن المهتدي إذاً، =

المجيدِ بذاته[1]، وأنه في كل مكان بعلمه.

= ومن هو على الصراط المستقيم؟ إنا لله وإنا إليه راجعون.
ثم قال البرزلي: وأجاب بعض المفتين عن كلام هذا الطالب بما نصه: الصحيح قول الشيخ عز الدين، ولا إجماع في المسألة، وهو أن الخلاف فيها على وجه آخر وهو: أن المشبهة هل عرفوا الله أم لا؟
وأقول: ههنا تسكب العبرات، ويناح على الإسلام والدين، وغربة السنة وأهلها، فإنا لله وإنا إليه راجعون وحسبنا الله فيما أصاب أمتنا، وحسبنا الله فيمن تطاول على ابن أبي زيد وأعلام الإسلام.
إذا كان ابن أبي زيد الإمام ـ القانت بآيات ربه، المستمسك بالوحي المبين، والشرع الحنيف، المتبع ما أنزل إلى الرسول من الكتاب والحكمة ـ لا يعرف ربه!! فمن الذي يعرف ربه!!!
﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام ١٢٢]

(١) قد اعترض على هذه الجملة بعض المتكلمين، فجعل (المجيد) خبرًا ثانيًا لإن، أو خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره: (هو) يعود على رب العزة جل جلاله، ، قال: والجار والمجرور متعلقان بهذا المقدر، لا بما تعلق به الظرف أي فوق، قال: والمعنى أن مجده وعظمته ذاتية لا مكتسبة بالعرش ولا بغيره.
كل هذا لأجل أن ينفي هذا المتكلم عن الله تعالى الفوقية التي أجمع على إثباتها أهل الإسلام، وتواترت النقول بها عن الإمام مالك وأئمة المالكية رحمهم الله تعالى، وصنيعه هذا له فيه سلف من الجهمية كما حرف بعضهم قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ قال: الوقف على ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ فزعم أن ههنا وقفًا، ثم قال: واستأنف الله تعالى الآية بقوله ﴿ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وكل هذا لينفي الاستواء عن الكريم الرحمن جل جلاله.
والجواب عنه يطول، ولكن يقال بإيجاز:
إن أعلم الناس بكلام ابن أبي زيد ﷺ تلامذته الذين تلقوا عنه وأخذوا العلم والدين والمذهب شفاهًا منه، ودرسوا العقيدة التي كتبها على يديه، وهؤلاء قد شرحوا عقيدة شيخهم وأستاذهم، وأبانوا مراده ﷺ فيما أشكل من ألفاظها، =

....

= وقد أقروا هذه الكلمة، وأن الله تعالى: ﴿فوق عرشه بذاته) فلا نحتاج إلى شرح المتكلمين بعد شرح أولئك الأعلام، ومن هؤلاء العلماء والأعلام:

* **العلامة أبو بكر محمد بن موهب المالكي توفي (سنة ٤٠٦ هـ)**، وهو من أخص تلامذة ابن أبي زيد كما قاله القاضي عياض ﷺ في المدارك، وسوف تأتي ترجمته، قال ابن موهب ﷺ شارحًا الرسالة: (ثم بين أن علوَّه فوق عرشه إنما هو بذاته، لأنه تعالى بائن عن جميع خلقه بلا كيف، وهو في كل مكان بعلمه لا بذاته، لا تحويه الأماكن وأنه أعظم منها، وقد كان ولا مكان....)، نقله عنه الحافظ الذهبي في كتاب (العلوّ ص ٢٦٤).

* **ومنهم الإمام المقرئ المحدث الحافظ أبو عمر الطلمنكي الأندلسي (توفي سنة ٤٢٩ هـ)** الذي قال عنه الذهبي: كان من بحور العلم، وقد أخذ عن ابن أبي زيد كما نص على ذلك الذهبي وقد تقدمت ترجمته (ص ٩٨ قال ﷺ: وأجمع المسلمون من أهل السنة أن معنى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد ٤] ونحو ذلك من القرآن: أن ذلك علمه، وأن الله فوق السماوات بذاته، مستوٍ على عرشه كيف شاء.

قاله في كتاب الوصول إلى معرفة الأصول، نقله عنه الذهبي في كتاب (العلوّ ص ٢٤٦).

* **ومنهم قاضي المذهب عبد الوهاب المالكي** فقد نقل الإمام أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي المرادي المالكي القيرواني ـ [ترجمته في الصلة لابن بشكوال ٢/ ٦٠٤ تاريخ الإسلام للذهبي وفيات ٤٨١ ـ ٤٩٠] في رسالته التي سماها (الإيماء إلى مسألة الاستواء) ـ أقوال الناس واختلافهم في الاستواء، فقال: القول السادس: قول الطبري وابن أبي زيد والقاضي عبد الوهاب وجماعة من شيوخ الحديث والفقه، وهو ظاهر بعض كتب القاضي أبي بكر ﷺ وأبي الحسن، وحكاه عنه أعني القاضي أبا بكر القاضي عبد الوهاب نصًا، وهو أنه سبحانه مستو على العرش بذاته، وأطلقوا في بعض الأماكن فوق عرشه.

نقله عن الحضرمي المرادي الإمام القرطبي في الأسنى شرح أسماء الله الحسنى (٢/ ١٢٣)، وكذا الحافظ الذهبي ﷺ في (العلوّ ص ٢٦١).

والحضرمي هذا إمام من الأئمة، كذا وصفه القرطبي والذهبي، وقال أبو =

وقال رحمه الله في كتاب الجامع[١]: وأنه فوق سماواته على عرشه دون أرضه، وأنه في كل مكان بعلمه.

وعقد رحمه الله في كتاب المرتدين من النوادر والزيادات[٢] بابًا بعنوان: ذكر القدر والأسماء والصفات، والاستواء على العرش، وذكر ترك الجدال ومجانبة أهل البدع، ثم قال:

من العتبية: قال سحنون: أخبرني بعض أصحاب مالك أن رجلًا قال لمالك: يا أبا عبد الله مسألة؟ فسكت عنه، ثم عاوده، فسكت، ثم سأله، فرفع إليه رأسه فقال له: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه ٥] كيف استواؤه؟ فطأطأ مالك رأسه ساعة ثم قال: سألت عن غير مجهول، وتكلمت في غير معقول، ولا أراك إلا امرأ سوء، أخرجوه.

فهذه ثلاثة مواضع من كتب ابن أبي زيد رحمه الله صرح فيها بهذه العقيدة.

قال القاضي عبد الوهاب المالكي رحمه الله:

واعلم أن الوصف له تعالى بالاستواء اتِّباع للنص، وتسليم للشرع، وتصديق لما وصف نفسه تعالى به، ولا يجوز أن يثبت له كيفية، لأن

= الحسن المقرئ: كان رجلًا نبيهًا عالمًا بالفقه وإمامًا في أصول الدين، وله في ذلك تصانيف حسان مفيدة، وله حظ وافر من البلاغة والفصاحة، وفاته (سنة ٤٨٩ هـ).
والعجب أن هذا المتكلم قال هذا الكلام معلقًا على شرح القاضي عبدالوهاب رحمه الله على عقيدة ابن أبي زيد، فلا هو بعقيدة صاحب الرسالة عالم، ولا بعقيدة الشارح كذلك، والله الهادي لا هادي سواه ولا إله غيره.

(١) الجامع (ص ١٤١).

(٢) النوادر والزيادات (١٤/ ٥٥٢).

الشرع لم يرد بذلك، ولا أخبر النبيﷺ فيه بشيء، ولا سألته الصحابة عنه[١].

وقال أبو عمر الطلمنكي رحمه الله: إن أهل السنة والجماعة متفقون على أن الله استوى بذاته على عرشه[٢].

وقال: وأجمع المسلمون من أهل السنة أن معنى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد ٤] ونحو ذلك من القرآن: أن ذلك علمه، وأن الله فوق السماوات بذاته، مستوٍ على عرشه كيف شاء[٣].

وقال العلامة أبو بكر محمد بن موهب المالكي رحمه الله[٤] في شرحه لرسالة شيخه أبي محمد بن أبي زيد:

---

(١) شرح القاضي عبد الوهاب على رسالة ابن أبي زيد (ص ١٧٨).

(٢) من كتاب الوصول إلى معرفة الأصول، نقله عنه الذهبي في كتاب العلوّ ص ٢٤٦ وابن تيمية في جامع الرسائل ١/ ٩٩، وكتاب الوصول هذا ذكره ابن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥) في فهرسته ص ٢٥٩، وذكر اسمه كاملًا (الوصول إلى معرفة الأصول في مسائل العقود في السنّة) وذكر له كتابًا آخر باسم (الرسالة المختصرة في مذاهب أهل السنّة وذكر ما درج عليه الصحابة والتابعون وخيار الأمة) ثم ذكر إسناده إلى المصنف، وقال الذهبي السير (٥٦٩/١٧): رأيت له كتابًا في السنّة في مجلدين.

(٣) من كتاب الوصول إلى معرفة الأصول، نقله عنه ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٦٣/١.

(٤) محمد بن موهب بن محمد أبو بكر القبري التجيبي القرطبي الحصار، الفقيه المحدث، المتكلم، الزاهد جد القاضي أبي الوليد الباجي لأمه، قال القاضي عياض: كان من العلماء الزهّاد الفضلاء، ورحل إلى المشرق فسمع من رجاله، وصحب أبا محمد بن أبي زيد رحمه الله، واختص به وحمل عنه تواليفه وغير ذلك. وله في العقائد تواليف كثيرة مفيدة وله شرح رسالة شيخه أبي محمد بن أبي زيد رحمهما الله، وكان القاضي ابن ذكوان يقدمه على فقهاء وقته وعلى نفسه =

أما قوله: «إنه فوق عرشه المجيد بذاته» فمعنى فوق وعلى عند جميع العرب واحد، وفي الكتاب والسنة تصديق ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [السجدة ٤]، وقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه ٥]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل ٥٠]

وساق حديث الجارية والمعراج إلى سدرة المنتهى إلى أن قال:

وقد تأتي لفظة «في» في لغة العرب بمعنى فوق كقوله: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك ١٥]، وفي: ﴿فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [طه ٧١]، و: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك ١٦] قال أهل التأويل: يريد فوقها، وهو قول مالك مما فهمه عمن أدرك من التابعين، مما فهموه عن الصحابة، مما فهموه عن النبي ﷺ، أن الله في السماء، يعني فوقها وعليها، فلذلك قال الشيخ أبو محمد: «إنه فوق عرشه».

ثم بين أن علوه فوق عرشه إنما هو بذاته، لأنه تعالى بائن عن جميع خلقه بلا كيف، وهو في كل مكان بعلمه لا بذاته، لا تحويه الأماكن وأنه أعظم منها، وقد كان ولا مكان.

ثم سرد كلامًا طويلًا إلى أن قال: فلما أيقن المنصفون إفراد ذكره بالاستواء على عرشه بعد خلق سماواته وأرضه، وتخصيصه بصفة الاستواء، علموا أن الاستواء هنا غير الاستيلاء ونحوه، فأقروا بوصفه

= ويرغب دعاءه. وكان الأصيلي يعرف حقه ويثني عليه، وغلب عليه الكلام والجدل على نصرة مذهب أهل السنّة والتآليف في ذلك وذكره الجياني فقال: أحد الفضلاء العلماء، قال الحميدي، وكان فقيهًا، عالمًا، توفي (سنة ٤٠٦ هـ).

(ترجمته في ترتيب المدارك ٧/ ١٨٨، جذوة المقتبس ص ٨٥، الصلة لابن بشكوال ٢/ ، ٧٢٨، تاريخ الإسلام للذهبي ٢٨/ ١٥٢).

بالاستواء على عرشه، وأنه على الحقيقة لا على المجاز، لأنه الصادق في قيله، ووقفوا عن تكييف ذلك وتمثيله إذ ليس كمثله شيء.

قال الإمام الذهبي رحمه الله معلقًا كلام ابن أبي زيد ـ «فوق عرشه المجيد بذاته» ـ: وقد تقدم مثل هذه العبارة عن أبي جعفر بن أبي شيبة[1]، وعثمان بن سعيد الدارمي[2]، وكذلك أطلقها يحيى بن عمار[3] واعظ سجستان في رسالته، والحافظ أبو نصر الوائلي السجزي[4] في

---

(١) أبوجعفر محمد بن عثمان العبسي مولاهم، الحافظ المسند البارع، محدث الكوفة، جمع وصنف، وكان من أوعية العلم بصيرًا بالحديث والرجال، توفي سنة (٢٩٧هـ) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢١)، قال في كتاب العرش (ص ٢٧٦): **توافرت الأخبار أن الله خلق العرش فاستوى عليه بذاته، فهو فوق العرش بذاته، متخلصًا من خلقه بائنًا منهم.**

(٢) قال الذهبي في كتاب العرش (٢/ ٢٥٩): عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة وحفاظ أهل المشرق، قال عنه البخاري: ما رأيت مثل عثمان بن سعيد، ولا رأى عثمان مثل نفسه توفي سنة (٢٨٢ هـ).

(٣) قال الذهبي: الإمام المحدث الواعظ شيخ سجستان أبو زكريا يحيى بن عمار السجستاني، نزيل هراة، وقال: الإمام الأوحد، من كبار أئمة الهدى جمع بين العلم والرواية والإتقان والزهد. قال أبو إسماعيل الأنصاري: كان يحيى بن عمار ملكًا في زي عالم، توفي سنة (٤٢٢هـ)، **قال رحمه الله في رسالته: لا نقول كما قالت الجهمية إنه مداخل للأمكنة وممازج لكل شيء ولا نعلم أين هو، بل هو بذاته على العرش، وعلمه محيط بكل شيء.**
سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٨١) العرش (٢/ ٣٤٨).

(٤) قال الذهبي رحمه الله: أبو نصر عبيد الله بن سعيد الوائلي، شيخ الحرم الإمام العالم الحافظ المجوِّد شيخ السنة، وقال: أبو نصر هذا إمام حافظ فقيه جليل أقام بمكة مدة، وتوفي فيها في المحرم سنة (٤٤٤هـ).
سير أعلام النبلاء (١٧ / ٦٥٥)، العرش (٢/ ٣٥٣).

كتابه الإبانة له، فإنه قال: وأئمتنا كالثوري ومالك والحمادين وابن عيينة وابن المبارك والفضيل وأحمد وإسحاق متفقون على أن الله فوق العرش بذاته، وأن علمه بكل مكان.

وكذلك أطلقها ابن عبد البر كما سيأتي، وكذا عبارة شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري[١]، فإنه قال: وفي أخبار شتى أن الله في السماء السابعة على العرش بنفسه.

وكذا قال أبو الحسن الكرجي[٢] الشافعي في تلك القصيدة:

عقائدهم أن الإله بذاته على عرشه مع علمه بالغوائب

وعلى هذه القصيدة مكتوب بخط العلامة تقي الدين ابن الصلاح[٣]: هذه عقيدة أهل السنة وأصحاب الحديث[٤]، وكذا أطلق

---

(١) قال الذهبي رحمه الله: الإمام القدوة الحافظ الكبير أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، قال المؤتمن الساجي: كان آية في لسان التذكير والتصوف، من سلاطين العلماء، قال الذهبي: وقد كان هذا الرجل سيفا مسلولا على المتكلمين، له صولة وهيبة واستيلاء على النفوس ببلده، يعظمونه ويتغالون فيه، ويبذلون أرواحهم فيما يأمر به، كان عندهم أطوع وأرفع من السلطان بكثير، وكان طودا راسيا في السنة لا يتزلزل ولا يلين. توفي سنة (٤٨١هـ) **قال في كتاب الصفات.:... في أخبار شتى: أن الله ﷻ في السماء السابعة على العرش بنفسه، وهو ينظر كيف تعملون، علمه وقدرته واستماعه ونظره ورحمته في كل مكان.**

سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٠٥)، العرش (٢/ ٣٦٤).

(٢) سبقت ترجمته (ص ٦).

(٣) الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام أبو عمرو عثمان بن صلاح الدين الشهرزوري ولد سنة (٥٧٧ هـ)، وتوفي سنة (٦٤٣هـ) سير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٤٠).

(٤) في كتاب العرش (٢/ ٣٤٢) قال الذهبي: وموجود بها الآن نسخ، من بعضها =

هذه اللفظة أحمد بن ثابت الطرقي الحافظ(١)، والشيخ عبد القادر الجيلي(٢)، والمفتي عبد العزيز القحيطي(٣) وطائفة، والله تعالى خالق كل شيء بذاته، ومدبر الخلائق بذاته بلا معين ولا مؤازر.

وإنما أراد ابن أبي زيد وغيره التفرقة بين كونه تعالى معنا، وبين كونه تعالى فوق العرش، فهو كما قال: ومعنا بالعلم، وأنه فوق العرش كما أعلمنا حيث يقول ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه ٥]

وقد تلفظ بالكلمة المذكورة جماعة من العلماء كما قد قدمنا، وبلا

= نسخة بخط الشيخ تقي الدين ابن الصلاح، على أولها مكتوب: هذه عقيدة أهل السنة وأصحاب الحديث بخطه رحمه الله.

(١) الحافظ أبو العباس أحمد بن ثابت الطرقي كان متفننًا له تصانيف، توفي سنة (٥٢١ هـ).
سير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٢٨).

(٢) عبد القادر بن صالح أبو محمد الحنبلي شيخ الإسلام المتفق على هدايته، وتواتر كرامته الإمام العارف الزاهد القدوة، قال العز بن عبد السلام: لا نعرف أحدًا كراماته متواترة إلا الشيخ عبد القادر، ولد سنة (٤٧١هـ) وتوفي سنة ٥٦١ هـ)، قال رحمه الله أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد... وهو بجهة العلوّ مستوٍ على عرشه، محتوٍ على الملك، محيط علمه بالأشياء ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال إنه في السماء على العرش كما قال ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش.
سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٤٣٩)، العرش (٢/ ٣٦٨).

(٣) الشيخ المحدث تقي الدين القحيطي، المقرئ البغدادي، توفي (سنة ٦٥٦ هـ)، تاريخ الإسلام للذهبي وفيات [٦٥١ ـ ٦٦٠] (ص ٢٦٨).

ريب أن فضول الكلام تركه من حسن الإسلام.

وكان ابن أبي زيد من العلماء العاملين بالمغرب، وكان يلقب بمالك الصغير، وكان غاية في علم الأصول، وقد ذكره الحافظ ابن عساكر في كتاب تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري، ولم يذكر له وفاة، توفي سنة ست وثمانين وثلاثمائة، وقيل سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، وقد نقموا عليه في قوله «بذاته» فليته تركها ا.هـ ـ كلام الذهبي[١].

وممن أطلق هذه الكلمة إسماعيل بن يحيى المزني، صاحب الشافعي رحمهما الله، قال في رسالته شرح السنة[٢]: عالٍ على عرشه في مجده بذاته، وهو دان بعلمه من خلقه.

وذكر الإمام أبو عمر بن عبد البر رحمه الله حديث أبي هريرة في النزول في الثلث الأخير من الليل[٣] ثم قال رحمه الله:

وفيه دليل على أن الله ﷻ في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم إن الله ﷻ في كل مكان وليس على العرش.

والدليل على صحة ما قاله أهل الحق في ذلك قول الله ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ

---

(١) مختصر العلوّ للعلي الغفار (ص ٢٥٥).

(٢) شرح السنة، للمزني (ص ٧٥).

(٣) المقصود به حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل، فيقول من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له) أخرجه مالك في الموطأ (٢/٢٩٨) رقم (٧٢٤).

عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه ٥] وقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة٤] وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت ١١] وقوله: ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء ٤٢] وقوله تبارك اسمه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر١٠] وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف ١٤٣] وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك ١٦] وقال جلَّ ذكره: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى:١] وهذا من العلوّ.

وكذلك قوله: ﴿ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ و: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ و: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر١٥] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل٥٠].

والجهمي يزعم أنه أسفل.

وقال جلَّ ذكره: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة ٥] وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج ٤] وقال لعيسى: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران٥٥] وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء ١٥٨] وقال: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [فصلت ٣٨] وقال: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء ١٩] وقال: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ [المعارج ٢ ـ ٣] والعروج هو الصعود.

وأما قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ﴾ [الملك ١٦] فمعناه من على السماء يعني على العرش، وقد يكون «في» بمعنى «على» ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة ٢] أي على الأرض وكذلك قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه ٧١] وهذا كله يعضده قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤] وما كان مثله مما تلونا من الآيات في هذا الباب.

وهذه الآيات كلها واضحات في إبطال قول المعتزلة.

وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل استوى استولى فلا معنى له، لأنه غير ظاهر في اللُّغة، ومعنى الاستيلاء في اللُّغة المغالبة والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد، وهو الواحد الصمد، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله ﷻ إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدَّعٍ ما ثبت شيء من العبارات، وجل الله ﷻ عن أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين.

والاستواء معلوم في اللُّغة ومفهوم وهو العلوّ والارتفاع على الشيء، والاستقرار والتمكن فيه، قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ قال: علا، قال: وتقول العرب «استويت فوق الدابة» و«استويت فوق البيت» وقال غيره: استوى أي انتهى شبابه واستقر فلم يكن في شبابه مزيد.

قال أبو عمر: الاستواء الاستقرار في العلوّ، وبهذا خاطبنا الله ﷻ وقال: ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [الزخرف ١٣] وقال: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ﴾ [هود ٤٤] وقال: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ [المؤمنون ٢٨].

وقال الشاعر:

فأوردتهم ماءً بفيفاء قفرة   وقد حلَّق النجم اليمانيُّ فاستوى.

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد استولى، لأن النجم لا يستولي،

وقد ذكر النضر بن شميل وكان ثقةً مأمونًا جليلًا في علم الديانة واللُّغة. قال: حدثني الخليل ـ وحسبك بالخليل ـ قال: أتيت أبا ربيعة الأعرابي وكان من أعلم من رأيت، فإذا هو على سطح فسلمنا، فردّ علينا السلام وقال لنا: استووا، فبقينا متحيِّرين ولم ندر ما قال، قال فقال لنا أعرابي إلى جنبه: إنه أمركم أن ترتفعوا، قال الخليل: هو من قول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت ١١] فصعدنا إليه فقال: هل لكم في خبز فطير، ولبن هجير، وماء نمير؟ فقلنا: الساعة فارقناه، فقال: سلامًا، فلم ندر ما قال، فقال الأعرابي: إنه سالمكم متاركة لا خير فيها ولا شرّ، قال الخليل: هو من قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا﴾ [الفرقان ٦٣].

وأما نزع من نزع منهم بحديث يرويه عبد الله بن واقد الواسطي عن إبراهيم بن عبد الصمد عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه ٥] على جميع برّيته فلا يخلو منه مكان.

فالجواب عن هذا: أن هذا حديث منكر عن ابن عباس، ونقلته مجهولون ضعفاء، فأما عبد الله بن داود الواسطي وعبد الوهاب بن مجاهد فضعيفان، وإبراهيم بن عبد الصمد مجهول لا يعرف، وهم لا يقبلون أخبار الآحاد العدول فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا من الحديث لو عقلوا أو أنصفوا[1].

---

(١) انظر نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي ؒ في رد الاحتجاج بهذا الخبر المكذوب على عبد الله بن عباس ؓ (نقض الدارمي ص ٢٤٨، ط أضواء السلف).

أما سمعوا الله ﷻ حيث يقول: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾ [غافر: ٣٦ ـ ٣٧] فدلَّ على أن موسى عليه السلام كان يقول إلهي في السماء وفرعون يظنه كاذبًا.

فسبحان من لا يقدر الخلق قدره ومن هو فوق العرش فرد موحد
مليك على عرش السماء مهيمن لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وهذا الشعر لأمية بن أبي الصلت وفيه يقول في وصف الملائكة:

فمن حامل إحدى قوائم عرشه ولولا إله الخلق كلُّوا وأبلدوا
قيام على الأقدام عانون تحته فرائصهم من شدة الخوف ترعد

قال أبو عمر: فإن احتجوا بقول الله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ [الزخرف ٨٤] وبقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام ٣] وبقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ [المجادلة] الآية، وزعموا أن الله تبارك وتعالى في كل مكان بنفسه وذاته تبارك وتعالى.

قيل لهم: لا خلاف بيننا وبينكم وبين سائر الأمة أنه ليس في الأرض دون السماء بذاته، فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجتمع عليه؛ وذلك أنه في السماء إلٰه معبود من أهل السماء وفي الأرض إلٰه معبود من أهل الأرض، وكذلك قال أهل العلم بالتفسير، فظاهر التنزيل يشهد أنه على العرش، والاختلاف في ذلك بيننا فقط، وأسعد الناس به من ساعده الظاهر.

وأما قوله في الآية الأخرى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ [الزخرف ٨٤]

فالإجماع والاتفاق قد بين المراد بأنه معبود من أهل الأرض، فتدبر هذا فإنه قاطع إن شاء الله.

ومن الحجة أيضًا في أنهﷻ على العرش فوق السموات السبع: أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كَرَبَهُمْ أمرٌ أو نزلت بهم شدَّة رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم تبارك وتعالى، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته، لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم، وقد قال ﷺ للأمة التي أراد مولاها عتقها إن كانت مؤمنة، فاختبرها رسول الله ﷺ بأن قال لها: **أين الله**؟ فأشارت إلى السماء، ثم قال لها: **من أنا**؟ قالت: رسول الله، قال: **اعتقها فإنها مؤمنة**.

ثم روى الحديث بإسناده ثم قال:

وأما احتجاجهم لو كان في مكان لأشبه المخلوقات، لأن ما أحاطت به الأمكنة واحتوته مخلوق فشيء لا يلزم، ولا معنى له لأنهﷻ ليس كمثله شيء من خلقه ولا يقاس بشيء من بريته، لا يدرك بقياس ولا يقاس بالناس، لا إله إلا هو، كان قبل كل شيء، ثم خلق الأمكنة والسموات والأرض وما بينهما، وهو الباقي بعد كل شيء، وخالق كل شيء لا شريك له، وقد قال المسلمون وكل ذي عقل؛ إنه لا يعقل كائن لا في مكان منا، وما ليس في مكان فهو عدم، وقد صح في المعقول وثبت بالواضح من الدليل أنه كان في الأزل لا في مكان وليس بمعدوم، فكيف يقاس على شيء من خلقه أو يجري بينه وبينهم تمثيل أو تشبيه، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا، الذي لا يبلغ من وصفه إلا إلى

ما وصف به نفسه أو وصفه به نبيه ورسوله، أو اجتمعت عليه الأمة الحنيفية عنه.

فإن قال قائل منهم: إنا وصفنا ربنا أنه كان لا في مكان، ثم خلق الأماكن فصار في مكان، وفي ذلك إقرار منا بالتغيير والانتقال، إذ زال عن صفته في الأزل وصار في مكان دون مكان.

قيل له: وكذلك زعمت أنت أنه كان لا في مكان وانتقل إلى صفة هي الكون في كل مكان، فقد تغير عندك معبودك وانتقل من لا مكان إلى كل مكان، وهذا لا ينفك منه لأنه إن زعم أنه في الأزل في كل مكان كما هو الآن، فقد أوجب الأماكن والأشياء موجودة معه في أزله وهذا فاسد.

فإن قيل: فهل يجوز عندك أن ينتقل من لا مكان في الأزل إلى مكان؟

قيل له: أما الانتقال وتغير الحال فلا سبيل إلى إطلاق ذلك عليه لأن كونه في الأزل لا يوجب مكانًا وكذلك نقله لا يوجب مكانًا، وليس في ذلك كالخلق، لأن كون ما كونه يوجب مكانًا من الخلق، ونقلته توجب مكانًا، ويصير منتقلًا من مكان إلى مكان، والله ﷻ ليس كذلك لأنه في الأزل غير كائن في مكان وكذلك نقلته لا توجب مكانًا، وهذا ما لا تقدر العقول على دفعه، ولكنا نقول استوى من لا مكان إلى مكان، ولا نقول انتقل وإن كان المعنى في ذلك واحدًا، ألا ترى أنا نقول له عرش ولا نقول له سرير ومعناهما واحد، ونقول هو الحكيم ولا نقول هو العاقل، ونقول خليل إبراهيم ولا نقول صديق إبراهيم، وإن كان المعنى في ذلك كله واحدًا لا نسميه ولا نصفه ولا نطلق عليه إلا ما

سمى به نفسه على ما تقدم ذكرنا له من وصفه لنفسه لا شريك له، ولا ندفع ما وصف به نفسه لأنه دفع للقرآن.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن قال: إنه لا يكون مستويًا على مكان إلا مقرونًا بالتكييف.

قيل: قد يكون الاستواء واجبا والتكييف مرتفع، وليس رفع التكييف يوجب رفع الاستواء، ولو لزم هذا لزم التكييف في الأزل، لأنه لا يكون كائن في لا مكان إلا مقرونًا بالتكييف، وقد عقلنا وأدركنا بحواسنا أن لنا أرواحًا في أبداننا ولا نعلم كيفية ذلك، وليس جهلنا بكيفية الأرواح يوجب أن ليس لنا أرواح، وكذلك ليس جهلنا بكيفية استوائه على عرشه يوجب أنه ليس على عرشه.

ثم قال: وأما احتجاجهم بقوله عزَّ وجلّ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة ٧] فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية، لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حملت عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية: هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله. انتهى كلام أبي عمر بن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)].

وقال الفقيه أبو الوليد بن رشد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما الاستواء فهو معلوم غير مجهول كما قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لأن الله وصف به نفسه، فقال في محكم كتابه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾ [طه ٥، ٦]، وقال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ

(١) التمهيد (٧/ ١٢٩ ـ ١٣٩).

ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان ٥٩]، فوجب الإيمان بذلك، وأن يوصف بما وصف به نفسه من ذلك، ويعتقد أنها صفة من صفات ذاته، وهي العلوّ، لأن معنى قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، على العرش علا، كما يقال استوى فلان على العرش علا عليه، واستوت الشمس في كبد السماء علت عليه، ولما كان العرش أشرف المخلوقات وأعلاها وأرفعها مرتبة ومكانًا أعلم الله تعالى عباده بقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه ٥]، أي علا فإنه أعلى منه، وإذا كان أعلى منه فهو أعلى من كل شيء[(١)].

وقال الإمام أبوعبد الله القرطبي رحمه الله صاحب التفسير الكبير:

هذه مسألة الاستواء، وللعلماء فيها كلام وإجراء، وقد بينا أقوال العلماء فيها في الكتاب (الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى) وذكرنا فيها هناك أربعة عشر قولًا.

والأكثر من المتقدمين والمتأخرين أنه إذا وجب تنزيه الباري سبحانه عن الجهة والتحيُّز، فمن ضرورة ذلك ولواحقه اللازمة عليه عند عامة العلماء المتقدمين وقادتهم من المتأخرين تنزيهه تبارك وتعالى عن الجهة، فليس بجهة فوق عندهم، لأنه يلزم من ذلك عندهم متى اختص بجهة أن يكون في مكان أو حيِّز، ويلزم على المكان والحيِّز الحركة والسكون للمتحيِّز، والتغير والحدوث، هذا قول المتكلمين.

وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة، ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى، كما نطق كتابه وأخبرت

---

(١) البيان والتحصيل (١٦/ ٣٦٨).

رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة.

وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته.

قال مالك رحمه الله: الاستواء معلوم، يعني في اللُّغة، والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة(١).

وقال الإمام أبو القاسم عبد اللّه بن خلف المقرىء الأندلسي رحمه الله في الجزء الأول من كتاب «الاهتداء لأهل الحق والاقتداء» من تصنيفه من شرح الملخص للشيخ أبي الحسن القابسي رحمه الله: عن مالك عن ابن شهاب عن أبي عبد الله الأغر وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له**».

في هذا الحديث دليل على أنه تعالى في السماء على العرش فوق سبع سمٰوات من غير مماسة ولا تكييف كما قال أهل العلم، ودليل قولهم أيضًا من القرآن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه ٥] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة ٤] وقوله تعالى: ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة ٥]، وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج ٤].

---

(١) تفسير القرطبي (٩/ ٢٣٨) في تفسير سورة الأعراف، قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف ٥٤].

وقوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج ٢ - ٤] والعروج: هو الصعود.

وقال مالك بن أنس: **الله ﷻ في السماء، وعلمه في كل مكان لا يخلو من علمه مكان.**

يريد - والله يعلم - بقوله في السماء: على السماء، كما قال تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [طه ٧١].

وكما قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك ١٦] أي من على السماء يعني على العرش.

وكما قال تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [التوبة ٢] أي على الأرض.

وقيل لمالك: الرحمن على العرش استوى كيف استوى؟

قال مالك رحمه الله لقائله: استواؤه معقول، وكيفيته مجهولة، وسؤالك عن هذا بدعة، وأراك رجل سوء.

قال أبو عبيد في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه ٥]: أي علا. قال: وتقول العرب استويت فوق الدابة وفوق البيت.

وكل ما قدمت دليل واضح في إبطال قول من قال المجاز في الاستواء، وأن استوى بمعنى استولى لأن الاستيلاء في اللُّغة المغالبة، وأنه لا يغالبه أحد ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته، حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا سبحانه وتعالى إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله تعالى على الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع ذلك ما يوجب له التسليم، ولو ساغ

ادّعاء المجاز لكل مُدَّعٍ ما ثبت شيء من العبارات، وجلَّ الله تعالى أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين. والاستواء معلوم في اللُّغة، وهو العلوّ والارتفاع والتمكن.

ومن الحجة أيضًا في أن الله سبحانه وتعالى على العرش فوق السماوات السبع أن الموجودين أجمعين إذا كَرَبَهُمْ أمرٌ رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون الله ربهم، وقوله ﷺ للأمة التي أراد مولاها أن يعتقها: **أين الله؟** فأشارت إلى السماء، ثم قال لها: **من أنا؟** قالت: أنت رسول الله. قال: **أعتقها، فإنها مؤمنة**(١).

فاكتفى رسول الله ﷺ منها برفع رأسها إلى السماء ودل على ما قدمناه أنه على العرش، والعرش فوق السموات السبع، ودليل قولنا أيضًا قول أمية بن أبي الصلت في وصف الملائكة:

وساجدهم لا يرفع الدهر رأسه يعظم ربًا فوقه ويمجد
فسبحان من لا يقدر الخلق قدره ومن هو فوق العرش فرد موحد
مليك على عرش السماء مهيمن لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر ٣٦] فدلّ على أن موسى عليه الصلاة والسلام كان يقول: إلهي في السماء، وفرعون يظنه كاذبًا.

فإن احتج أحد علينا فيما قدمناه وقال: لو كان كذلك لأشبه المخلوقات لأن ما أحاطت به الأمكنة واحتوته، فهو مخلوق، فشيء لا

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب ٧ تحريم الكلام في الصلاة (١/ ٣٨١) رقم (٥٣٧).

يلزم ولا معنى له، لأنه تعالى ليس كمثله شيء من خلقه، ولا يقاس بشيء من بريته، ولا يدرك بقياس، ولا يقاس بالناس. كان قبل الأمكنة، ثم يكون بعدها لا إله إلا هو خالق كل شيء لا شريك له.

وقد اتفق المسلمون وكلُّ ذي لبّ أنه لا يعقل كائن إلا في مكان ما، وما ليس في مكان فهو عدم. وقد صح في العقول، وثبت بالدلائل أنه كان في الأزل لا في مكان وليس بمعدوم، فكيف يقاس على شيء من خلقه، أو يجري بينهم وبينه تمثيل أو تشبيه؟!! تعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

فإن قال قائل: إذا وصفنا ربنا تعالى أنه كان في الأزل لا في مكان، ثم خلق الأماكن، فصار في مكان، ففي ذلك إقرار منا فيه بالتغيير والانتقال إذا زال عن صفته في الأزل، وصار في مكان دون مكان؟!

قيل له: وكذلك زعمت أنت أنه كان لا في مكان، ثم صار في كل مكان، فنقل صفته من الكون لا في مكان إلى صفة هي الكون في كل مكان، فقد تغير عندك معبودك، وانتقل من لا مكان إلى كل مكان. فإن قال: إنه كان في الأزل في كل مكان وكما هو الآن، فقد أوجب الأماكن والأشياء معه في أزليته، وهذا فاسد.

فإن قال: فهل يجوز عندك أن ينتقل من لا مكان في الأزل إلى مكان؟

قيل له: أما الانتقال وتغير الحال، فلا سبيل إلى إطلاق ذلك عليه، لأن كونه في الأزل لا يوجب مكانًا، وكذلك نقلته لا توجب مكانًا، وليس في ذلك كالخلق، لأن كونه يوجب مكانًا من الخلق ونقلته توجب مكانًا، ويصير منتقلًا من مكان إلى مكان، والله تعالى ليس

كذلك، ولكنا نقول: استوى من لا مكان إلى مكان، ولا نقول انتقل، وإن كان المعنى في ذلك واحدًا كما نقول: له عرش ولا نقول له سرير، ونقول: هو الحكيم ولا نقول: هو العاقل، ونقول: خليل إبراهيم ولا نقول: صديق إبراهيم، وإن كان المعنى في ذلك واحدًا لأنا لا نسميه ولا نصفه ولا نطلق عليه إلا ما سمَّى به نفسه على ما تقدم، ولا ندفع ما وصف به نفسه لأنه دفع للقرآن.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر ٢٢]، وليس مجيئه حركةً ولا زوالًا ولا ابتدالًا، لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجائي جسمًا أو جوهرًا، فلما ثبت أنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض، لم يجب أن يكون مجيئه حركةً ولا نقلًا، ولو اعتبرت ذلك بقولهم: جاءت فلانا قيامته، وجاءه الموت، وجاءه المرض، وشبه ذلك مما هو موجود نازل به لا مجيء، لبان لك وبالله العصمة والتوفيق.

فإن قال: إنه لا يكون مستويًا على مكان إلا مقرونًا بالكيف؟!

قيل له: قد يكون الاستواء واجبًا والتكييف مرتفع، وليس رفع التكييف يوجب رفع الاستواء، ولو لزم هذا لزم التكييف في الأزل، ولا يكون كائنًا في مكان ولا مقرونًا بالتكييف.

فإن قال: إنه كان ولا مكان وهو غير مقرون بالتكييف، وقد عقلنا وأدركنا بحواسنا أن لنا أرواحًا في أبداننا ولا نعلم كيفية ذلك، وليس جهلنا بكيفة الأرواح يوجب أن ليس لنا أرواح، وكذلك ليس جهلنا بكيفيته على عرشه يوجب أن ليس على عرشه[1].

---

(١) نقله عنه بتمامه الإمام ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١١٣).

فصل: هل يقال: «الله في كل مكان»؟

قال أبو بكر الباقلاني في كتاب الإبانة: **فإن قيل**: فهل تقولون إنه في كل مكان؟

قيل: معاذ الله، بل هو مستوٍ على عرشه كما أخبر في كتابه، فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه ٥]، وقال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر ١٠] وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك ١٦]، **قال**: ولو كان في كل مكان لكان في بطن الإنسان وفمه وفي الحشوش، ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خلق منها ما لم يكن، ويصح أن يرغب إليه إلى نحو الأرض، وإلى خلفنا ويميننا وشمالنا، وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه، وتخطئة قائله[١].

وقال في كتاب التمهيد[٢]: **فإن قال قائل**: أين هو؟

قيل له: الأين سؤال عن المكان، وليس هو ممن يجوز أن يحويه مكان، ولا تحيط به أقطار، غير أنا نقول إنه على عرشه.

* * *

---

(١) نقله عنه الذهبي في كتاب العلوّ للعليّ الغفار للذهبي ص (٢٣٨).

(٢) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل (ص ٣٠٠ ـ ٣٠١).

فصل: قول الإمام مالك
في إثبات الكرسي لربنا وأنه موضع القدمين

قال شيخ المالكية ابن أبي زيد، والملقب بمالك الصغير رحمه الله: فمما اجتمعت الأئمة عليه من أمور الديانة، ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة؛ أن له كرسيًّا كما قال سبحانه: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة ٢٥٥]، وبما جاءت به الأحاديث أن الله سبحانه يضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء، وقال مجاهد: **(كانوا يقولون: ما السماوات والأرض في الكرسي إلا كحلقة في فلاة)**(١).

ثم قال في آخره: كل هذا قول مالك، فمنه منصوص من قوله ومنه معلوم من مذهبه(٢).

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي المالكي الشهير بابن أبي زمنين رحمه الله(٣): **ومن قول أهل السنة** أن الكرسي بين يدي العرش وأنه موضع القدمين ثم أسند عن ابن عباس أنه قال: إن الكرسي الذي وسع السماوات والأرض موضع القدمين، ولا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه(٤).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١١٠١٥)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٥٦)، (٥٩١) وأورده الذهبي في كتب العرش (٨٧) من طريق ليث عن مجاهد

(٢) الجامع لابن أبي زيد (ص ١٤١).

(٣) أصول السنة (ص٩٦).

(٤) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (١٣٠، ١٣١) وعبد الله بن أحمد في السنة =

وقال أبوعمر الطلمنكي رَحِمَهُ اللَّهُ. وأجمعوا على أن لله كرسيًّا دون العرش[١].

* * *

= (٥٨٦)، (١٠٢٠) والدارقطني في الصفات (٣٤) والهروي في دلائل التوحيد باب (١٤) وابن منده في الرد على الجهمية (٢٠) وإسناده صحيح صححه الألباني في مختصر العلو.

(١) إثبات أحاديث الصفات لابن المحب المقدسي (٢٠/ب).

فصل: إثبات الإمام مالك رحمه الله صفة النزول للرب سبحانه بلا كيف

قال أبو عمر الطلمنكي المالكي رحمه الله: أجمعوا ـ يعني أهل السنة والجماعة ـ على أن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا على ما أتت به الآثار كيف شاء، لا يحدون في ذلك شيئًا(١).

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي المالكي الشهير بابن أبي زمنين رحمه الله:

ومن قول أهل السنة أن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا ويؤمنون بذلك من غير أن يحدُّوا فيه حدًّا(٢).

وقال: أخبرني وهب عن ابن وضاح عن زهير بن عباد قال: كل من أدركت من المشايخ مالك(٣)، وسفيان، وفضيل بن عياض، وعيسى بن يونس، وابن المبارك، ووكيع، كانوا يقولون: النزول حق(٤).

قال ابن وضاح: وسألت ابن عدي عن النزول؟ فقال: نعم، أقرُّ به

---

(١) شرح حديث النزول (ص ١٨٨).

(٢) أصول السنة (ص١١٠).

(٣) هذا هو قول الإمام مالك رحمه الله، وأما ما يروى عنه أنه قال: ينزل أمره، فهذا مما كذب عليه رحمه الله، رواه عنه كذاب وآخر رافضي لا يحتج بنقلهما ولا يعتمد عليهما، وسوف يأتي بيان ذلك في آخر الباب.

(٤) أصول السنة (ص١١٣).

ولا أحدُّ حدًّا، وسألت عنه ابن معين، فقال: نعم أقر به ولا أحد فيه حدًّا(١).

قال أبو المطرف عبد الرحمن بن هارون القنازعي رحمه الله في شرح الموطأ: حديث التنزل ثابت صحيح، نقله الأئمة الثقات من أهل السنة، وسلموه ولم يطعنوا فيه.

ثم نقل عن مالك في الاستواء، فقال: وقد سئل مالك عن قوله عز وجل ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه ٥] فقيل له: كيف استوى؟ فأعظم المسألة في ذلك؟ وقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، فكذلك نقول نحن في التنزل معلوم، والكيف مجهول(٢).

وقال أبو عمرو الداني في منظومته:

ومن صحيح ما أتى به الخبر ... وشاع في الناس قديمًا وانتشر
نزول ربِّنا بلا امتراء ... في كل ليلة إلى السَّماء
من غير ما حدٍّ ولا تكييف ... سبحانه من قادر لطيفِ(٣)

وقال الإمام أبو عمر ابن عبد البر المالكي رحمه الله: والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة أنهم يقولون: ينزل كما قال رسول الله ﷺ، ويصدقون بهذا الحديث ولا يكيِّفون، والقول في كيفية النزول كالقول في كيفية الاستواء والمجيء والحجة في ذلك واحدة(٤).

وذكر في الاستذكار حديث النزول: «ينزل ربنا» ثم قال: وأما

---

(١) أصول السنة (ص١١٣).
(٢) شرح الموطأ (ص١١٣.).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٨٣).
(٤) كتاب التمهيد (٧/ ١٤٣).

قوله ﷺ في هذا الحديث «ينزل ربنا»، الذي عليه أهل العلم من أهل السنة والحق الإيمان(١) بمثل هذا وشبهه من القرآن والسنن دون كيفية، فيقولون ينزل ولا يقولون كيف النزول، ولا يقولون كيف الاستواء، ولا كيف المجيء في قوله ﷻ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر ٢٢]، ولا كيف التجلي في قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف ١٤٣].

ثم روى عن أبي معمر القطيعي قال: قال عباد بن العوام: قدم علينا شريكٌ واسط، فقلنا له إن عندنا قومًا ينكرون هذه الأحاديث: «**إن الله ﷻ ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة**» فقال: إنما جاءنا بهذه الأحاديث من جاءنا بالسنن عن رسول الله ﷺ في الصلاة والزكاة والصيام والحج، وإنما عرفنا الله ﷻ بهذه الأحاديث.

وروى **عن الشافعي** قال: ليس في سنة رسول الله ﷺ إلا اتباعها، ولا نعترض عليها بكيف، ولا يسع عالمًا فيما ثبت من السنة إلا التسليم، لأن الله قد فرض اتباعها

وقد قال قوم إنه ينزل أمره(٢)، وتنزل رحمته ونعمته، وهذا ليس

---

(١) في أصل المطبوع [والإيمان] ولعل الأصوب [الإيمان] من دون واو العطف.

(٢) روي عن الإمام مالك أنه أول النزول الوارد في الأحاديث بأنه نزول أمره سبحانه، وليس نزول الباري جل جلاله، وقد وردت الرواية بذلك عن مالك من طريقين:

الأول: من رواية حبيب بن أبي حبيب.

الثاني: من رواية محمد بن علي الجبلي عن جامع بن سوادة عن مطرف عن مالك.

فأما الرواية الأولى، فقد خرجها ابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٤٣)، والقاضي عياض في ترتيب المدارك (٢/ ١٤٣)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٥)، وأوردها الغافقي في مسند الموطأ (ص ١٥٢) من طريق صالح بن أيوب قال: حدثنا حبيب بن أبي حبيب حدثني مالك قال: يتنزل ربنا تبارك وتعالى أمره، =

بشيء، لأن أمره بما شاء من رحمته ونقمته ينزل بالليل والنهار، بلا توقيت ثلث الليل ولا غيره.

ولو صح ما روي في ذلك عن مالك كان معناه أن الأغلب من استجابة دعاء من دعاه من عباده في رحمته وعفوه يكون ذلك الوقت(١).

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه أمته ﷺ، لا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجة

= فأما هو فدائم لا يزول، قال صالح، فذكرت ذلك ليحيى بن بكير، فقال حسن والله، ولم أسمعه من مالك.

وهذه الرواية لا تصح، لأجل حبيب بن أبي حبيب، فقد كان كذابًا، قال القاضي عياض (ترتيب المدارك ٣/ ٣٩٠): ضعفه ابن حنبل وابن معين والنسائي وأبو حاتم الرازي وكذبوه وذموه، قلت: وقال النسائي: أحاديثه كلها موضوعة عن مالك وغيره (تهذيب التهذيب ٢/ ١٨١) وقال أبو أحمد بن عدي (الكامل ٢/ ٤١١): يضع الحديث.

وقد رد هذه الرواية الإمام الذهبي، فقال: لا أعرف صالحًا، وحبيب مشهور، والمحفوظ عن مالك رحمه الله رواية الوليد بن مسلم أنه سأله عن أحاديث الصفات، فقال: أمرها كما جاءت بلا تفسير.

وأما الرواية الثانية: فقد روى ابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٤٣) قال: روى محمد ابن علي الجبلي وكان من ثقات المسلمين بالقيروان قال حدثنا جامع بن سوادة بمصر، قال حدثنا مطرف عن مالك بن أنس أنه سئل عن الحديث (إن الله ينزل في الليل إلى سماء الدنيا، فقال مالك: يتنزل أمره.

وهذه الرواية لا تصح، جامع بن سوادة ضعيف الرواية، قال ابن حجر: روى له الدارقطني في غرائب مالك حديثًا، وقال: الحديث باطل وجامع ضعيف (لسان الميزان ٢/ ٩٣).

وقد صح كما ترى عن الإمام مالك رحمه الله ما يبطل هذه الروايات الواهيات، فالواجب أخذ ما صح، وطرح ما لم يصح عنه وبالله تعالى التوفيق.

(١) الاستذكار (٨/ ١٥١).

ردها، لأن القرآن نزل به، وصح عن رسول الله ﷺ القول به، فيما روى عنه العدل.

فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر بالله، وأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر معذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالروية والفكر، **ونحو ذلك إخبار الله سبحانه إيانا . . . أنه يهبط كل ليلة إلى سماء الدنيا لخبر رسول الله ﷺ بذلك.**

فإن هذه المعاني التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ، فيما لا يدرك حقيقة ذلك بالفكر والرواية.

ولا نكفر بالجهل بها أحدًا إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، وإن كان الوارد بذلك خبرًا يقوم بالفهم مقام المشاهدة في السماع وجبت الدينونة على سامعه بحقيقته، والشهادة بما عاين وسمع من رسول الله ﷺ، ونثبت هذه الصفات وننفي عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه تعالى، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١](١).

وقال حنبل: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله: ينزل الله ﷻ إلى السماء الدنيا؟ قال: نعم، قلت نزوله بعلمه أم بماذا؟ فقال: اسكت عن هذا، وغضب وقال: مالك ولهذا امض الحديث على ما روي(٢).

وقال إسحاق بن راهويه رحمه الله: قال لي الأمير عبد الله بن طاهر: يا

---

(١) اعتقاد الإمام الشافعي لأبي الحسن الهكاري (ت ٤٨٦هـ)، ونقله ابن قدامة في إثبات صفة العلوّ، وذكره أبو الحسن الكرجي في كتاب الفصول في الأصول عن الأئمة، نقله عنه ابن تيمية المجموع (٤/ ١٨٢) من رواية ابن أبي حاتم نا يونس بن عبد الأعلى المقرئ قال: سمعت الشافعي به.

(٢) المسائل والرسائل الواردة عن الإمام أحمد في العقيدة (١/ ٣٤٨).

أبا يعقوب! هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا ﷻ كل ليلة إلى سماء الدنيا»، كيف ينزل؟

قال: قلت: أعز الله الأمير، لا يقال لأمر الرب ﷻ كيف، إنما ينزل بلا كيف(١).

* * *

فصل: إثبات الإمام مالك رحمه الله صفة المجيء لله تعالى لفصل القضاء بين العباد يوم القيامة

قال شيخ المالكية ابن أبي زيد، والملقب بمالك الصغير: فمما اجتمعت الأئمة عليه من أمور الديانة، ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة أنه يجيء يوم القيامة بعد أن لم يكن جائيًا ﴿وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر ٢٢] لعرض الأمم وحسابها وعقوبتها وثوابها، فيغفر لمن يشاء من المذنبين، ويعذب منهم من يشاء.

ثم قال في آخره: وكل هذا قول مالك، فمنه منصوص من قوله ومنه معلوم من مذهبه(٢).

وقال في الرسالة: وأن الله يجيء يوم القيامة والملك صفًّا صفًّا، لعرض الأمم وحسابها وعقوبتها وثوابها.

قال القاضي عبد الوهاب في شرح الرسالة(٣): وهذا لقوله ﷻ:

---

(١) رواه أبوعثمان الصابوني في عقيدة السلف (رقم ٤١).

(٢) كتاب الجامع (١٣٩).

(٣) شرح القاضي عبد الوهاب على الرسالة (ص ٣١٩).

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر ٢٢]، فأثبت نفسه جائيًا، ولا معنى لقول من يقول: إن المراد جاء أمر ربك، لأن ذلك إضمار في الخطاب يزيله عن مفهومه، ويحيله عن ظاهره، لا حاجة بنا إليه.

وليس المجيء الذي أضافه إلى نفسه على سبيل ما يكون منا من الانتقال والتحرك والزوال وتفريغ الأماكن وشغلها، لأن ذلك من صفات الأجسام، والباري سبحانه وتعالى لا يجوز عليه ذلك، ولكن ليس إذا استحال علينا ذلك وجب صرف الكلام عن حقيقته، لأجل أن القضاء على الغائب بمجرد الشاهد لا يجب عندنا ولا عند مسلم، فبطل ما قالوه.

وقال أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في التفسير(١):

والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة أنهم يقولون: يجيء وينزل ويأتي، ولا يكيفون لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١].



---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٩/١٢٧).

فصل: إثبات الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ رؤية الله تعالى يوم القيامة

قال عبد الله بن وهب: **قال مالك** رَحِمَهُ اللهُ: الناس ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة بأعينهم(١).

وقال أشهب رَحِمَهُ اللهُ: قال رجل لمالك: يا أبا عبد الله، هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟

قال: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعيِّر الله الكفار بالحجاب، فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين ١٥]، وفي رواية زاد: فقال يا أبا عبد الله، فإن قومًا يزعمون أن الله لا يرى، قال مالك: «السيف السيف»(٢).

وقال عبد الله بن نافع وأشهب ـ وأحدهما يزيد على الآخر ـ قلت: يا أبا عبد الله ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة ٢٢ ـ ٢٣] ينظرون إلى الله؟

قال: نعم بأعينهم هاتين.

فقلت له: فإن قومًا يقولون: لا ينظر إلى الله، إن «ناظرة» بمعنى منتظرة إلى الثواب.

قال: كذبوا، بل ينظرون إلى الله، أوما سمعت قول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

---

(١) رواه الآجري في الشريعة (٢ / ٨).

(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٧٨).

﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف ١٤٣] أفترى موسى سأل ربه محالًا؟! فقال: «لن تراني» في الدنيا، لأنها دار فناء، ولا ينظر ما يبقى بما يفنى، فإذا صاروا إلى دار البقاء نظروا بما يبقى إلى ما يبقى، وقال الله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين ١٥][1].

وقال شيخ المالكية ابن أبي زيد رحمه الله:

فمما اجتمعت عليه الأئمة من أمور الديانة ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة أن الله سبحانه يراه أولياؤه في المعاد بأبصار وجوههم لا يضامون في رؤيته، كما قال الله عز وجل في كتابه وعلى لسان نبيه، قال الرسول ﷺ في قول الله سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس ٢٦] قال: الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى.

ثم قال في آخره: وكله قول مالك، فمنه منصوص من قوله، ومنه معلوم من مذهبه[2].

وقال عبد العزيز بن عبد الله بن الماجشون رحمه الله[3]:

أما بعد؛ فقد فهمت ما سألت فيما تتابعت الجهمية ومن حالفها في صفة الربِّ العظيم الذي فاتت عظمته الوصف والتقدير، وكلَّت الألسن عن تفسير صفته، وانحسرت العقول دون معرفة قدره، ودعت عظمته العقول فلم تجد مساغًا فرجعت خاسئة وهي حسير...

---

(١) ذكره القاضي عياض في ترتيب المدارك (٢/ ٤٢) واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٠١)، وابن قدامة في مناقب الأئمة الأربعة (ص ٩٦)

(٢) الجامع لابن أبي زيد (ص ١٤١).

(٣) الإبانة لأبي عبد الله بن بطة العكبري، كتاب الرد على الجهمية (٣/ ٦٣).

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فأما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقا وتكلفًا، قد استهوته الشياطين في الأرض حيران، فصار أحدها ومنها.

يستدل ـ زعم ـ على جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه بأن قال: «لا بد إن كان له كذا من أن يكون له كذا»(١).

فعمي عن البين بالخفي، بجحد ما سمى الرب من نفسه، فلم يزل يملي له الشيطان حتى جحد قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة ٢٢]، فقال لا يراه أحد يوم القيامة، فجحد والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونضرته إياهم ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝﴾ [القمر ٥٥]، وقد قضى أنهم لا يموتون فهم بالنظر إليه ينضرون.

وإنما كان يهلك من رآه حيث لم يكن يبقى سواه، فلما حتم البقاء ونفى الموت والفناء أكرم أولياءه بالنظر إليه واللقاء، فوربِّ السماء والأرض ليجعلن الله رؤيته يوم القيامة للمخلصين ثوابًا، فتنضر بها وجوههم دون المجرمين، وتفلح بها حجتهم على الجاحدين.

كيف لم يعتبر قائله بقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين ١٥] أيظن أن الله يقصيهم ويعذبهم بأمر يزعم الفاسق أنه وأولياءه فيه سواء!؟ وإنما جحد رؤيته يوم القيامة إقامة للحجة الضالة المضلة،

---

(١) هذه مقالة الجهمية دائمًا في الاعتراض على من يثبت الصفات لله تعالى، فيقول لأهل السنة: يلزم من إثباتكم الوجه الكريم لله تعالى أن يكون مشابها للمخلوقين، ولا بد إن كان الله مستويًا على عرشه أن يكون مشابهًا للمخلوقين، وما أشبه ذلك من شبه نفاة الصفات للباري سبحانه.

لأنه قد عرف إذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين، وكان له جاحدًا.

وقال المسلمون: يا رسول الله هل نرى ربنا؟ وذلك قبل أن ينزل الله ﷻ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة ٢٢] فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر، ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترون ربكم يومئذ كذلك(١).

قال يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام: حدث أسد بن الفرات يومًا بحديث فيه رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة، وسليمان الفراء في مؤخر المجلس، فتكلم الفراء وأنكر، فسمعه أسد، فقام إليه وجمع بين طوقه ولحيته، واستقبله فضربه ضربًا شديدًا حتى أدماه(٢).

قال ابن الحداد: حدثت عن أسد أن أصحابه كانوا يقرؤون عليه يومًا في تفسير المسيب بن شريك، إلى أن قرأ القارئ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة ٢٢ ـ ٢٣]، وكان سليمان بن حفص جالسًا بين يديه، فقال له: يا أبا عبد الله: من الانتظار؟، وكان إلى جانب أسد نعل غليظ، فأخذ أسد بتلبيبه، وكان أيِّدًا، وأخذ بيده الأخرى نعله، وقال: إي والله يا زنديق، لتقولنها أو لأبيضنَّ بها عينيك، فقال نعم، ننظره(٣).

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣).

(٢) طبقات علماء إفريقية (ص ٨٢).

(٣) رياض النفوس (١/ ٢٦٥).

فصل: الإيمان بالقدر

قال الإمام مالك رحمه الله: ما أضلَّ من كذب بالقدر، لو لم يكن عليهم فيه حجة، إلا قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن ٢] لكفى بها حجة[١].

وقال أبو عمر الطلمنكي رحمه الله: أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الهمذاني ساكن مكة، فيما استجيز لنا فأجازه، قال ثنا أبو بكر محمد بن القاسم الدهشي ثنا أحمد بن عامر ثنا عمر بن حفص ثنا معروف الخياط قال: سمعت واثلة بن الأسقع يقول قال رسول الله ﷺ «لو أن مرجئًا أو قدريًا مات ودفن ثم نبش بعد ثلاثة أيام لوجد إلى غير القبلة»[٢].

قال الطلمنكي رحمه الله: إن صح متنه على إسناده، فالذي ردهم عن القبلة إعراضهم عن كتاب الله ورغبتهم عن سنة رسول الله عمدًا صراحًا، قال النبي ﷺ بعد أن وصفهم بكثرة الصلاة الصيام: «**يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميَّة ثم لا يعودون حتى يعود السهم على فوقه**»[٣]

---

(١) أخرجه الفريابي في كتاب القدر (٢٩١).

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (٦/ ٣٢٦) من طريق أحمد بن عامر به، قال ابن عدي: حديث معروف منكر جدًا لا يتابع عليه.، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (٥٣٨) وقال: هذه الأحاديث موضوعة على رسول الله ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٧١٢٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: (يخرج ناس من قبل المشرق ويقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه) وأخرج البخاري (٣٦١١) ومسلم (١٠٦٦) من حديث سويد بن غفلة قال: قال علي رضي الله عنه: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخرَّ من السماء أحب إليَّ من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير =

فإن اعتل أحد بأن هذا الوصف من رسول الله ﷺ على الخوارج، قيل له: أهل الأهواء يرون الخروج، ويستحلون السيف، والمعتزلة والقدرية يكفرون المسلمين بالذنوب، ويقولون بأن أهل التوحيد مخلدون في النار مع الكفار والمشركين والمنافقين، مع ما يضمون إلى ذلك من القول بخلق القرآن وخلق الأسماء والصفات، وتفسيق الصحابة الأزكياء، والتكذيب بالقدر إلى سائر ما يعتقدونه ويدينون، ويرون خلاف جماهير المسلمين والصحابة والتابعين، ومن كان هكذا فحري بأن يصرف في قبره عن القبلة، لتضليله أهل القبلة وخلافهم الكتاب والسنة وإجماع الأمة[١].

* * *

= قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة).

(١) إثبات أحاديث الصفات، لابن المحب المقدسي (٣٣٨/أ).

فصل: توقير الإمام مالك رحمه الله أصحاب رسول الله ﷺ

قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي المالكي الشهير بابن أبي زمنين رحمه الله: ومن قول أهل السنة أن يعتقد المرء المحبة لأصحاب النبي ﷺ، وأن ينشر محاسنهم وفضائلهم ويمسك عن الخوض فيما دار بينهم[(١)].

وقال: قال أيوب السختياني: من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان استنار بنور الله عز وجل، ومن أحب عليًّا فقد أخذ بالعروة الوثقى، ومن أحسن الثناء على أصحاب رسول الله ﷺ، فقد برئ من النفاق، ومن ينتقص أحدًا منهم أو بغضه لشيء كان منه فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح، والخوف عليه أن لا يرفع له عمل إلى السماء حتى يحبهم ويكون قلبه لهم سليمًا[(٢)].

فصل: حكم الإمام مالك رحمه الله فيمن سبَّ أصحاب رسول الله ﷺ

قال الإمام مالك رحمه الله: ليس لمن انتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ في الفيء حق[(٣)].

وقال معن بن عيسى: سمعت **مالك بن أنس** يقول: من سبَّ

(١) أصول السنة (ص٢٦٣).

(٢) أصول السنة (ص ٢٦٨).

(٣) أصول السنة (ص ٢٦٩).

أصحاب رسول الله ﷺ فليس له في الفيء حق، يقول الله ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ الآية [الحشر ٨]، هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ الذين هاجروا معه، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ الآية [الحشر ٩] هؤلاء الأنصار، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر ١٠].

قال مالك: فاستثنى الله ﷻ فقال ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر ١٠] الفيء لهؤلاء الثلاثة، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ، فليس هو من هؤلاء الثلاثة، ولا حق له في الفيء[١].

وقال أبو عروة ـ رجل من ولد الزبير ـ: كنا عند مالك فذكر أن رجلًا نقص أصحاب النبي ﷺ، فقرأ مالك هذه الآية: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح ٢٩] إلى قوله ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾.

فقال مالك رحمه الله: من أصبح في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته الآية.

قال مالك: من شتم أحدًا من أصحاب النبي ﷺ أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص، فأما إن قال كانوا على ضلال وكفر قتل، وإن شتمهم بغير ذلك من مشاتمة الناس نكل نكالًا شديدًا[٢].

وقال ابن حبيب رحمه الله: من غدا إلى البيعة إلى بغض عثمان والبراءة

(١) أخرجه اللالكائي في شرح الاعتقاد (٥/ ٤٩٣) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤/ ٣٩١).

(٢) النوادر والزيادات (١٤/ ٥٣١)، مناقب الإمام مالك للزواوي (ص ١٤٣).

منه، أدِّب أدبًا شديدًا ومن بادر إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد، ويكرر ضربه، ويطال سجنه حتى يتوب ولا يبلغ به القتل.

أما من تجاوز منهم إلى الإلحاد، فزعم أن عليًّا رفع ولم يمت، وسينزل إلى الأرض، وأنه دابة الأرض، ومنهم من قال كان الوحي يأتيه، ويعدد ذرية مفترضة طاعتهم، ونحو هذا من الإلحاد فهذا كفر، يستتاب قائله ويقتل إن لم يتب.

وذكر أن قومًا بالمغرب ادعوا نبيًّا سموه صالحًا، وأظهر لهم كتابًا بلسان البربر، وقالوا: محمد نبي العرب، وأكلوا رمضان وصاموا رجبًا، واستحلّوا تزويج تسع نسوة وشبه هذا، فهؤلاء مرتدون ويقتلون إن لم يتوبوا، ويجاهدون، ولا تسبى ذراريهم كالمرتدين وميراثهم للمسلمين[١].

وقال سحنون: من كفَّر أحدًا من أصحاب النبي ﷺ عليًّا أو عثمان أو غيرهما أوجع ضربًا[٢].

وقال سحنون رَحِمَهُ اللَّهُ: من قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي إنهم كانوا على ضلالة وكفر قتل، ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكِّل النكال الشديد.

قيل: فمن قال: أخطأ جبريل بالوحي، إنما كان النبي علي بن أبي طالب؟ قال يستتاب، فإن تاب وإلا قتل[٣].

---

(١) النوادر والزيادات (١٤/ ٥٣٥)، مناقب الإمام مالك للزواوي (ص ١٤٣).

(٢) مناقب الإمام مالك للزواوي (١٤٤).

(٣) النوادر والزيادات (١٤/ ٥٣١)، مناقب الإمام مالك للزواوي (ص ١٤٤).

وروي عن **الإمام مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: من سب أبا بكر جلد، ومن سب عائشة قتل، قيل له لم؟

قال: من رماها فقد خالف القرآن[١].

❊ ❊ ❊

(١) مناقب الإمام مالك للزواوي (١٤٤).

فصل: قول الأئمة المالكية رحمهم الله: وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر وإن جاروا وإن ظلموا

قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي المالكي الشهير بابن أبي زمنين رحمه الله: ومن قول أهل السنة أن السلطان ظل الله في الأرض، وأنه من لم ير على نفسه سلطانًا برًا كان أو فاجرًا فهو على خلاف السنة، وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء ٥٩](١).

وقال: فالسمع والطاعة لولاة الأمر أمر واجب، ومهما قصروا في ذاتهم فلم يبلغوا الواجب عليهم، غير أنهم يدعون إلى الحق، ويؤمرون به، ويدلون عليه، فعليهم ما حملوا، وعلى رعاياهم ما حملوا من السمع والطاعة لهم.

ثم روى حديث علقمة بن وائل الحضرمي عن أبيه أنه قال: سأل يزيد بن سلمة الجعفي رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرأيت لو كانت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا، فماذا تأمرنا؟ فأعرض عنه ثم سأله، فأعرض عنه، فجذبه الأشعث بن قيس في الثالثة أو في الثانية، فقال: قال رسول الله ﷺ: «**اسمعوا وأطيعوا إنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم**»(٢).

---

(١) أصول السنة (ص ٢٧٥).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٧٤) (٣٤٣٣).

وذكر حديث ابن مسعود[١] أن النبي ﷺ قال: «**إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها، قلنا**: فما تأمر من أدرك منّا ذلك؟ قال: **تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم**»[٢].

وقال شيخ المالكية ابن أبي زيد، والملقب بمالك الصغير رحمه الله:

فمما اجتمعت الأئمة عليه من أمور الديانة، ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة: السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وكل من ولي أمر المسلمين عن رضى أو عن غلبة، فاشتدت وطأته من برٍّ أو فاجر، فلا يخرج عليه، جار أو عدل، ويغزى معه العدو، ويحج معه البيت، ودفع الصدقات إليهم مجزية إذا طلبوها، وتصلى خلفهم الجمعة والعيدان.

ثم قال في آخره: وكل هذا قول مالك، فمنه منصوص من قوله ومنه معلوم من مذهبه[٣].

❊ ❊ ❊

فصل: في المنزلة العلية لولاة الأمر، والدعاء لهم، وعدم الخروج عليهم، أو سبهم، أو إهانتهم، ووجوب الصبر على ما يرى من جورهم

نقل الفقيه الونشريسي رحمه الله عن بعض فقهاء المالكية قوله بجواز أن يأخذ الحاكم من الرعية الضرائب يستعين بها على الدفاع عن الوطن ضد العدو بشروط ذكرها.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٤٣٠).

(٢) أصول السنة (ص ٢٧٦).

(٣) كتاب الجامع (ص ٢٤٨).

ثم إن العامة قد وجدت في نفسها من هذه الفتوى، قال الونشريسي رحمه الله: وقد وجدت العامة في أنفسها من الفتوى بمحوله، ولم تسلم لها تسليمًا، وليس العتب عليها، وإنما العتب على الصنف الذي يصوب منازعتها[١]، فهو إما غير مؤمن وإما خارجي من مجوس هذه الأمة.

قال ابن رشد: المعتزلة مجوس هذه الأمة.

وقال أبو عمر: ذهبت طائفة منهم وعامة الخوارج إلى منازعة الإمام الجائر، وأما أهل الحق وهم أهل السنة والأثر فقالوا: الصبر على طاعة الجائر أولى، والأصول تشهد أن أعظم المكروهين أولاهما بالترك.

قال عياض: وأحاديث مسلم كلها حجة على هذا، كقوله ﷺ: أطعهم وإن أخذوا مالك وضربوا ظهرك[٢].

وقال الطرطوشي في سراجه في الباب الموفي أربعين: حديث أبي

---

(١) يعني أن العتب على الصنف الذي يتزيا بالعلم ويسوغ للعامة أن تنازع ولي الأمر، وتجوز له ذلك، فالعامة لا مذهب لها سوى شبع البطون وملء الأيدي، أما الذي يفتيها بجواز منازعة ولي الأمر ويذكر لذلك الأدلة والحجج فهذا هو الخارجي من مجوس هذه الأمة.

(٢) في صحيح مسلم (١٨٧٤) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله إنا كنا بشرّ فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شرّ؟ قال: نعم، قلت: هل من وراء ذلك الشرّ خير؟ قال: نعم، قلت: فهل من وراء ذلك الخير شرّ؟ قال: نعم، قلت:كيف؟ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قال قلت:كيف أصنع؟ يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع.

داود عظيم الموقع في هذا الباب، قال رسول الله ﷺ فيه: يطلبون منكم ما لا يجب عليكم، فإذا سألوا ذلك فأعطوهم ولا تسبوهم، ولتوفوا لهم، فيدفع لهم ما طلبوا من الظلم، ولا ننازعهم فيه، ونكف ألسنتنا عن سبِّهم.

وقال ابن العربي: السلطان نائب رسول الله ﷺ يجب له ما يجب لرسول الله ﷺ من التعظيم والحرمة والطاعة، ويزيد على النبي ﷺ لا بحرمة زائدة، لكن لعلة حادثة بأوجه منها الصبر على إذايته ويدعى له عند فساده بالصلاح.

وقيل لمالك: الرجل عنده علم بالسنة أيجادل عليها؟ قال يخبر بالسنة، فإن سمع منه وإلا سكت، قيل فينصح للسلطان؟ قال: إن رجا أن يسمعه وإلا فهو في سعة(١).

قال الإمام أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله(٢): إن لم يكن يتمكن من نصح السلطان فالصبر والدعاء، فإنهم كانوا ينهون عن سبّ الأمراء.

ثم روى عن أنس بن مالك قال: كان الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ ينهوننا عن سبِّ الأمراء(٣).

وروى عن عبادة بن نسي قال: وقف أبو الدرداء على باب معاوية فحجبه لشغل كان فيه، فكأن أبا الدرداء وجد في نفسه فقال: من يأت

(١) المعيار المعرب ٥/ ٣٥

(٢) التمهيد لابن عبد البر (٢١/ ٢٨٧).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم (٢/ ٤٨٨)، وابن حبان في الثقات (٥/ ٣١٤ ـ ٣١٥)، وقوام السنة الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٣/ ٦٨)، وإسناده جيد رجاله كلهم ثقات.

أبواب السلطان قام وقعد، ومن يجد بابًا مغلقًا يجد إلى جنبه بابًا رجا فتحا، إن سأل أعطي وإن استعاذ أعيذ، **وإن أول نفاق المرء طعنه على إمامه**[١].

وروى عن أبي إسحاق قال: ما سبَّ قوم أميرهم إلا حرموا خيره[٢].

وقال شهاب الدين القرافي رحمه الله: ضبط المصالح العامة واجب، ولا تنضبط إلا بعظمة الأئمة في نفس الرعية، ومتى اختلفت عليهم أو أهينوا تعذرت المصلحة، ولذلك قلنا لا يتقدم في إمامة صلاة الجنازة ولا غيرها، لأن ذلك مخلّ بأبهتهم[٣].

وقال ابن حبيب في الواضحة: ومن صلى خلف أحد من أهل الأهواء أعاد أبدًا، إلا أن يكون هو الوالي الذي تؤدَّى إليه الطاعة، أو قاضيه أو خليفته على الصلاة أو صاحب شرطته، فيجوز أن يصلى خلفهم الجمعة وغيرها، ومن أعاد في الوقت منهم فحسن، ومنع الصلاة خلفهم داعية إلى الخروج من طاعتهم، وسبب إلى الدماء والفتنة[٤].

وقال ابن فرحون المالكي رحمه الله: ومن تكلم بكلمة لغير موجب في أمير من أمراء المسلمين، لزمته العقوبة الشديدة ويسجن شهرًا كاملًا[٥].

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٨).

(٢) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (١/ ٤٠٥).

(٣) الذخيرة ١٣/ ٢٣٤.

(٤) النوادر والزيادات لابن أبي زيد (١/ ٢٨٩).

(٥) المسائل الملقوطة ص ٨٣

قال أبو محمد القاسم بن ثابت السرقسطي رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]:

ذكرت الأمراء عند ابن عباس فابترك فيهم رجل يقال له الهزهاز، فتطاول حتى ما رأيت في البيت رجلًا أطول منه، فقال ابن عباس: يا هزهاز! لا تجعل نفسك فتنة للقوم الظالمين، فتقاصر حتى ما رأيت في البيت رجلًا أقصر منه.

أخبرنا به محمد بن علي قال نا سعيد بن منصور قال نا سفيان عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس[(٢)].

قال السرقسطي: وقول ابن عباس: «لا تجعل نفسك فتنة للقوم الظالمين» يريد لا تعرض نفسك لهم.

أخبرنا محمد بن علي قال نا سعيد بن منصور قال نا سفيان عن ابن أبي نجيح عن ابن عباس في قول الله ﷻ: ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس ٨٥] قال: لا تسلطهم علينا فيفتنونا ويفتتنوا بنا.

وفي غير هذا الحديث: لا تسلطهم علينا فيرون أنهم على حق وأنا على باطل.

حدثنا إبراهيم قال نا أبو الحسن قال نا سعيد بن أبي سليمان قال نا هشيم قال نا العوام قال نا شيخ من أهل الكوفة، قال: قال ابن

---

(١) أبو محمد القاسم بن ثابت بن حزم، رحل مع أبيه إلى مكة، ومصر، قال ابن الفرضي: كان القاسم عالمًا بالحديث والفقه، متقدما في معرفة الغريب والنحو والشعر، ورعًا ناسكًا، أريد على أن يلي القضاء فامتنع، وأراد أبوه أن يكرهه عليه، فسأله أن يتروى في أمره ثلاثًا، ويستخير الله تعالى، فمات في هذه الثلاثة الأيام، وكانت وفاته سنة (٣٠٢هـ) (ترتيب المدارك ٥/ ٢٤٩).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في التفسير رقم (١٠٧١) وإسناده صحيح.

مسعود: إنكم اليوم في زمان العارف فيه لأمر الله الآخذ به أفضل، وستكون من بعدكم زمان، العارف فيه لأمر الله التارك له أفضل، فقال كيف يكون أمر هو اليوم هدى، يكون بعد اليوم ضلالًا؟

قال: فغضب ابن مسعود، قال: فكفوا عنه حتى سكن، ثم قال لهم: أرأيتم لو أن رجلين مرّا ببعض عمال هذه الملوك، فرآه بعضهم يعمل ببعض المعاصي، فأما أحد الرجلين فأنكر ذلك بقلبه ومضى، وأما الآخر فغير عليهم فأخذوه فدفعوه فرفعوه إلى ملوكهم، فحملوه على أعظم مما أنكر، فأي الرجلين أفضل؟

قال: وقال ابن مسعود: إنه سيكون بعد اليوم زمان فيه ملوك لهم عمال يعملون بالمعاصي، فيمر الرجل ببعض عمالهم وهو يعمل بالمنكر، فينكر عليهم فيأخذونه فيرفعونه إلى ملوكهم، فيحملونه على فتنة هي أعظم من ذلك.

وحدثنا إبراهيم قال نا أحمد بن مندوس قال نا أحمد بن أبي الحواري قال نا ثقة من أصحابنا قال: قال فضيل وابن المبارك جميعًا: ليس الآمر والناهي من دخل عليهم فأمرهم ونهاهم، إنما الآمر الناهي الذي جانبهم.

وحدثنا إبراهيم قال نا أحمد بن مندوس قال نا أحمد بن أبي الحواري قال نا أبو موسى عن عبيدة قال: قيل لابن المبارك: يا أبا عبدالرحمن لو أتيت هذا فأمرته ونهيته ـ يعنون هارون ـ لعل الله ينفعه بك، قال: قال ابن المبارك: من اعتزلهم فقد أمرهم ونهاهم[1].

---

(١) الدلائل في غريب الحديث (مخطوط ٢/ ٨٧).

حكم الجماعة الباغية الخارجة عن طاعة وليّ الأمر

سئل فقهاء الأندلس بما نصه: سيدي رضي الله عنكم وأدام النفع بكم، جوابكم في عصابة من قواد الأندلس وفرسانها نبذوا بيعة مولانا أبي الحسن(١) نصره الله وخرجوا عن طاعته وقاموا بدعوة ابنه ودعوا الناس إلى بيعته، وطاوعهم على ذلك من شاء الله تعالى، إلى أن وقعت كائنة اللسانة(٢) وفقد فيها جملة منهم، وأسر الأمير(٣) وانجلى من سلم

(١) السلطان أبو الحسن بن سعد المستعين بالله المعروف بابن الأحمر، الملقب بالغالب بالله، ولد قبل سنة ٨٤٠هـ تولى والده ملك غرناطة في سنة ٨٦٧هـ ، وما كاد يجلس على العرش حتى ثار عليه ولده أبو الحسن وأخرجه من غرناطة وامتلكها، وكان شجاعًا قويًا، حصن بلاده ضد هجمات النصارى، ودافع عن مملكة غرناطة، وأبلى بلاءً حسنًا، ثم إنه مال إلى الدعة والركون، وكانت له جارية نصرانية عشقها، وتزوجها فأنجبت له ولدين، وحرصت الزوجة الجديدة أن تصرف أبا الحسن عن عائشة أم عبد الله زوجته الأولى، بل وصل الأمر إلى أن تزيل ولاية العهد من عبد الله إلى ابنها هي، ثم إلى سجن عائشة وأبنائها، ثم استطاعت أم عبد الله أن تهرب مع أبنائها بمساعدة بعض وجهاء غرناطة، وقام ابنها عبد الله يدعو لنفسه وخرج عن طاعة والده، فتبعه على ذلك كثير، واعتلى عرش غرناطة وخرج أبوه أبو الحسن منها إلى مالقة حيث أخوه الأمير أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بالزعل، وتوفي سنة ٨٩٠هـ (تاريخ الأندلس، محمد عبد الله عنان ٤/ ١٩٦).

(٢) بلدة صغيرة حصينة تقع اليوم في نطاق ولاية قرطبة، جنوب شرقي مدينة قرطبة، وترسم باللغة الأجنبية هكذا: (Lucena) تاريخ الأندلس محمد عبد الله عنان ٤/ ٢٠٣.

(٣) الأمير أبو عبد الله بن الأحمر، آخر ملوك الإسلام في الأندلس، اعتلى عرش غرناطة سنة ٨٨٧هـ نازعًا سلطة أبيه مغالبًا له على عرش غرناطة، وكان يومئذ فتى في الخامسة والعشرين من العمر، وفي سنة ٨٨٨هـ خرج بقواته يغزو النصارى، وحقق عدة انتصارات، لكنه وفي طريق العودة أدركه النصارى في ظاهر قلعة اللسانة، ونشبت بينه وبين الجيشين معركة هائلة أسر فيها السلطان أبو عبد الله، =

منهم عن الحضرة فلجؤوا إلى صاحب قشتالة[١] دمره الله، مستنصرين به ومعتصمين بحبل جواره.

فواطؤوه على شروط التزموها إليه، ووعدهم بتسريح الأمير المذكور للخروج به لأرض المسلمين، وعقد له صلحًا على ما طاع له من البلاد. ولا خفاء بما هو قصد الكافر قصمه الله في هذا الذي فعل، فلكم الفضل في الجواب عن فعلهم أولًا، هل كان له مستمسك من الشرع، أو إنما كان بمحض عصيان الله تعالى وخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله؟ وإن قدر الله بخروجهم من أرض النصارى مصرِّين على ما كانوا عليه من التعصب على الفتنة والخلاف، فهل يحل لأحد من المسلمين مساعدتهم على ذلك والأخذ معهم فيه؟ وهل يحلّ لأهل مدينة

= فأخذ أسيرًا إلى ملكي قشتالة فرناندو وإيزابيلا، ولم يفرج عنه ملكا قشتالة إلا بعد معاهدة سرية تتلخص في أن يعترف أبو عبد الله بطاعة الملك فرناندو وزوجه الملكة إيسابيلا، وأن يدفع لهما جزية سنوية قدرها اثنا عشرألف دوبل من الذهب، وأن يفرج في الحال عن أربعمائة من أسرى النصارى الموجودين في غرناطة يختارهم ملكهم، ثم يطلق بعد ذلك في كل عام سبعين أسيرًا لمدة خمسة أعوام، وأن يقدم أبو عبد الله ولده الأكبر رهينة مع عدد آخر من أبناء الأمراء والأكابر ضمانا بحسن وفائه، وتعهد الملكان بالإفراج عن أبي عبد الله فورًا، وألا يكلف في حكمه بأي أمر يخالف الشريعة الإسلامية، وأن يعاوناه في افتتاح المدن الثائرة عليه في مملكة غرناطة، وهذه المدن متى تم فتحها تغدو واقعة تحت طاعة ملك قشتالة، وأن تستمر هذه الهدنة لمدة عامين من تاريخ الإفراج عن السلطان الأسير، وكان أبو عبد الله ضعيف العزم والإرادة قليل الحزم والخبرة، ولم يكن يتمتع بشيء من الخلال الباهرة التي امتاز بها أسلافه وأجداده العظام من بني الأحمر، وكان الملك والحكم غايته يبتغيها بأي الأثمان والوسائل (تاريخ الأندلس، محمد عبد الله عنان ٤/ ١٩٦).

(١) يعني به ملك النصارى المحارب للمسلمين في ذلك الوقت.

من المدن أو حصن من الحصون أن يؤويهم؟ وما حكم الله فيمن آواهم وأعانهم، وانتظم في سننهم أو مال بقلبه أو فعله إليهم؟ بينوا لنا ذلك بيانًا شافيًا ليستضاء بنوره ويهتدى بهديه، والله يبقي بركتكم ويعلي في أعلام العلماء درجتكم والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته

فأجابوا بما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله، صدرت الفتيا من السادات العلماء الجلة الأعلام، هداة الأنام ومصابيح الظلام بالحضرة العلية غرناطة حرسها الله على السؤال فوقه، وهم:

السيد البركة المفتي أبو عبد الله المواق[١].

والسيد قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن الأزرق[٢].

---

(١) محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري الغرناطي، عالمها ومفتيها، الإمام العلامة الصالح الحافظ المحقق الحجة القدوة آخر أئمة الأندلس توفي في شعبان سنة (٨٩٧ هـ) كفاية المحتاج (ص ٤٤٣).

(٢) محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي الغرناطي قاضي الجماعة بها الإمام العلامة يعرف بابن الأزرق، ذكره المقري في نفح الطيب ضمن الراحلين عن الأندلس إلى المشرق بعد أخذ جميع بلاد الأندلس من قبل النصارى، ومن أعظم تآليفه شرحه الحافل على مختصر خليل المسمى شفاء العليل في شرح مختصر خليل، ولم أر في شروح خليل مع كثرتها مثله، ودخل تلمسان لما استولى العدو على بلاد الأندلس، ثم ارتحل إلى المشرق، فدخل مصر واستنهض عزائم السلطان قايتباي لاسترجاع الأندلس، فكان كمن يطلب بيض الأنوق، أو الأبيض العقوق، ثم حج، ورجع إلى مصر، فجدد الكلام في غرضه، فدافعوه عن مصر بقضاء القضاة في بيت المقدس، فتولاه بنزاهة وصيانة وطهارة، ولم تطل مدته هنالك =

والسيد المفتي أبو الحسن علي بن داود[١].

والسيد المفتي أبو عبد الله محمد الجعدالة[٢].

والسيد الخطيب أبو عبد الله محمد الفخار.

والسيد الشيخ الحاج أبو الحسن علي القلصادي[٣].

والسيد الشيخ أبو حامد بن الحسن.

والسيد القاضي أبو عبد الله محمد بن سرحونه.

والسيد الخطيب أبو عبد الله محمد المشدالي[٤].

والسيد الخطيب أبو محمد عبد الله الزليجي.

= حتى توفي به بعد سنة (٨٩٥هـ)، كان حيًّا في حدود (٨٩٠هـ) رحل لتلمسان لما استولى العدو على الأندلس ثم للشرق. (كفاية المحتاج ص ٤٤٢، نفح الطيب ٢/ ٧٠٢).

(١) هو علي بن أحمد بن داود البلوي الغرناطي، وصفه ابن غازي في فهرسته بالعالم العلامة الثقة، قال السخاوي: تصدر للإقراء والإمامة والخطابة والتدريس وغيرها، ثم تورع عن القضاء بعد نحو شهر، وهو في سنة (٨٦٦ هـ) وقد كان حيًّا سنة (٨٩٦هـ) وانتقل مع أولاده من الأندلس لتلمسان بعد التسعين. (كفاية المحتاج ص ٢٦٢).

(٢) محمد الجعدالة الأندلسي المالقي، من جلة الفقهاء العلماء، أخذ عنه أحمد بن داود، له فتاوى في المعيار، كان حيًّا سنة (٨٨٨هـ)، كفاية المحتاج (ص ٤٤٤).

(٣) علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي البسطي، شهر بالقلصادي الفرضي المؤلف، آخر من له التواليف الكثيرة من أهل الأندلس، حج ولقي أعلامًا وعاد لغرناطة فوطنها ثم خرج منها لما حلَّ بغرناطة ما حلَّ، فمات بباحة إفريقية نصف ذي الحجة عام (٨٩١هـ)، كفاية المحتاج (ص ٢٦٠).

(٤) محمد المشدالي الغرناطي من علمائها، كان حيًّا سنة ٨٨٨هـ ، (كفاية المحتاج ص ٤٤٤).

والسيد الخطيب أبو عبد الله محمد الحذام.

والأستاذ الشيخ الحاج أبو جعفر أحمد بن عبد الجليل.

والأستاذ أبو عبد الله محمد بن فتح.

والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد البر.

والأستاذ أبو جعفر محمد البقني.

أبقى الله بركتهم وحفظ في درجة الأعلام رتبتهم، بأن خلع القوم المسؤول عنهم لبيعة مولانا أبي الحسن نصره الله، وقيامهم بدعوة ابنه ليس له متمسك من دين الله، وإنما هو محض عصيان، وخروج عن طاعة الله وطاعة رسول الله ﷺ لما ارتكبوه بذلك من وجوه المفاسد التي لا يرضى الله بها؛ من شق عصا الإسلام في هذا الوطن الغريب، وتفريق أمره بعد ما كان مجتمعًا، وإيقاد نار الفتنة، وإلقاء العداوة والبغضاء بسببها في قلوب المسلمين، وإفساد ذات البين التي قال فيها رسول الله ﷺ: «**إنها هي الحالقة**»[1] مع ما في ذلك من توهين المسلمين وإطماع العدو الكافر في استئصال بيضتهم واستباحة حريمهم، وكل ذلك محرم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإجماع العلماء إلى غير ذلك من وجوه المعاطب التي لا تخفى.

وإن ركونهم إلى الكفار واستنصارهم بهم لا يخفى أنهم داخلون في وعيد قول الله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن (٤٩١٩) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا بلى يارسول الله قال: إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة».

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الممتحنة ١] وقال سبحانه في الآية ذاتها ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة ١] وإن تجديد بيعتهم للأمير المأسور إصرار على ما ذكر من المعاصي والمحرمات، وتأكيد لما ارتكبوه من الجرائم والسيئات، فمن آواهم أو أعانهم بقول أو فعل فهو معين على معصية الله تعالى، ومخالف لسنة رسوله، ومن هوى فعلهم أو أحب ظهورهم فقد أحب أن يعصى الله في أرضه بأعظم العصيان.

هذا ما داموا مصرين على فعلهم، فإن تابوا ورجعوا عما هم عليه من الشقاق والخلاف فالواجب على المسلمين قبولهم، لأن الله تعالى يقول ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ﴾ [المائدة ٣٩]

نسأل الله أن يلهمنا رشدنا وأن يقينا شر نفوسنا، وأن يصلح ذات بيننا، إنه ولي ذلك والقادر عليه(١).

* * *

(١) المعيار المعرب (١١/ ١٤٨).

فصل: في فناء الأرواح

قال محمد بن وضاح: سمعت سحنون بن سعيد يقول ـ وذكر له عن رجل يذهب إلى أن الأرواح تموت بموت الأجساد ـ فقال: معاذ الله: هذا قول أهل البدع(١).

قال ابن أبي زيد رحمه الله:

ومن قول أهل السنة وأئمة الدين في الأرواح أنها باقية، فأرواح أهل السعادة منعمة إلى يوم الدين، وأرواح أهل الشقاء معذبة إلى يوم يبعثون، قال الله تعالى في الشهداء: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران ١٦٩] إلى قوله: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ [آل عمران ١٧٠] الآية، وهذا والذين من خلفهم بعد في الدنيا، وقال في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر ٤٦] وهذا قبل قيام الساعة ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر ٤٦] وقال: ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر ٤٢] ولم يقل: فيميت التي قضى عليها الموت.

فوفاة النفوس والأرواح توفي قبض، لا توفي بلا شيء، قال الله ﷻ: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام ٦١] وذلك زوال الروح عن الجسد، وقال في الكفار: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام ٩٣] ولم يقل إنهم يميتون أنفسهم، وقال في قول من قال من الموتى «ارجعون»

(١) جذوة المقتبس للحميدي (ص ٨٧).

فهذا قول الروح، وإذا كان الشهداء قبل يوم القيامة أحياء يرزقون، فكذلك لا يدفع أن يكون من سعد بطاعته أن تكون روحه حيًّا منعمًا، ويتفاضلون في الدرجات.

وقد تظاهرت الأحاديث بنعيم أرواح المؤمنين بعد الموت قبل يوم القيامة، وأنها تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش، وأنها تعلق في شجر الجنة، يقول: تأكل كما قال في الشهداء «يرزقون» وهذا لا يدفعه إلا زائغ أو ملحد.

وأما حديث في حواصل طير، فليس بصحيح، والصحيح ما ذكرنا، مما يؤيده القرآن، ولأن الروح لا يرجع إلا إلى جسده الذي كان فيه، وبذلك جاء الحديث في النفخ في الصور، ليخرج به الأرواح، كل روح إلى جسده(١).

* * *

فصل: في ترك الإمام مالك رحمه الله التحديث ببعض الأحاديث مخافة الفتنة على الناس

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت بعض أصحابنا يقول: كان مالك إذا قيل له: هذا الحديث يحتجّ به أهل البدع تركه(٢).

وسئل الإمام مالك رحمه الله عن الرجل يقدم من السفر، فيتناول غلامه ومولاه يده فيقبلها، قال ترك ذلك أحبّ إلي، وذكر له حديث سالم،

---

(١) النوادر والزيادات (١/ ٦٥٧).

(٢) ذكره الزواي في مناقب مالك (ص ١٣٧).

شيخ يقبل شيخًا، فأنكره إنكارا شديدًا، قال: فإياكم مثل هذه الأحاديث أن تهلكوا فيها[١].

وقال رَحِمَهُ اللهُ: إن من الأحاديث أحاديث قد سمعتها وأنا أتقيها[٢].

وقال أبو عبد الله بن الفرات: وضع مالك في الموطأ عشرة آلاف حديث، فلا يزال ينقيها حتى صارت إلى ما هي عليه الآن[٣].

وقال ابن وهب: كان علم الناس يزيد، ومالك ينقص كل سنة من حديثه[٤].

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ: ليس يسلم الرجل يحدث بجميع ما يسمع، ولا يكون إمامًا أبدًا[٥].



فصل: موقف الأئمة المالكية من مذهب متأخري الأشعرية[٦]

قال الحافظ أحمد بن يحيى بن أحمد الضَّبِّي رَحِمَهُ اللهُ:

---

(١) البيان والتحصيل لابن رشد (١٧/ ٨٥).

(٢) البيان والتحصيل لابن رشد (١٧/ ٢٠٣).

(٣) الزواوي (ص١٣٧).

(٤) مناقب الإمام مالك للزواوي (ص ١٣٧).

(٥) مناقب الإمام مالك للزواوي (ص ١٥٢).

(٦) النسبة للأشعرية هي انتساب للإمام أبي الحسن الأشعري، وقد كان رَحِمَهُ اللهُ على الاعتزال أربعين عامًا حتى هداه الله تعالى لطريقة أهل السنة فصنف المصنفات في نصرة السنة والرد على أهل الاعتزال، قال أبو بكر إسماعيل بن أبي محمد بن إسحاق الأزدي القيرواني المعروف بابن أبي عزرة: إن أبا الحسن الأشعري كان =

....

= معتزليًا، وإنه أقام على مذهب الاعتزال أربعين سنة، وكان لهم إمامًا، ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يومًا، ثم خرج إليهم، وقال إني استهديت الله تعالى فهداني إلى ما أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا، وانخلع من ثوب كان عليه.

ثم صنف في بيان السنة المصنفات فمنها «كتاب الإبانة عن أصول الديانة» الذي ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر في كتابه «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري» (ص ١٥٣) قال ابن عساكر: فاسمع ما ذكره في أول كتابه الذي سماه بالإبانة، فإنه قال: الحمد لله الأحد الواحد، العزيز الماجد، المتفرد بالتوحيد... ثم شنع على المعتزلة وأهل القدر، ثم قال (ص ١٥٨): فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون، قيل له: **قولنا الذي به نقول وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون وبما كان عليه أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال، وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وكبير مفهم، وعلى جميع أئمة المسلمين.**

ثم قال (ص ١٥٩): وجملة قولنا أن نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا نرد من ذلك شيئًا... ثم قال: وأن الله استوى على عرشه كما قال ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه ٥] وأن له وجهًا كما قال ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن ٢٧] وأن له يدًا كما قال ﴿قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة ٦٤].

وهكذا كان أبو الحسن الأشعري رحمه الله على عقيدة الإمام أحمد بن حنبل طيب الله ثراه، ويؤكد ذلك تاج الدين السبكي الشافعي الأشعري في طبقات الشافعية في ترجمة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي (٤/ ٢٣٦) يقول: أبو الحسن الأشعري كبير أهل السنة بعد الإمام أحمد بن حنبل، وعقيدته وعقيدة الإمام أحمد رحمه الله واحدة =

قال أبو عمر ابن عبد البر: أجمع أهل الفقه والآثار في جميع

= لا شك في ذلك ولا ارتياب، وبه صرح الأشعري في تصانيفه، وذكره غير ما مرة من أن عقيدتي هي عقيدة الإمام المبجل أحمد بن حنبل هذه عبارة الشيخ أبي الحسن في غير موضع من كلامه ا.هـ كلام السبكي.
والمستفاد من هذا أن الأشعري والمتقدمين من أصحابه يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، وكذا ما أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ومن غير تعطيل، ومن غير تحريف ومن غير تمثيل، إذ هذه عقيدة أحمد بن حنبل رحمه الله.
وكذا كان أبو الطيب الباقلاني المالكي رحمه الله من كبار أتباع الأشعري، يقول الإمام الذهبي عنه (سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٩٠، ٥٥٨): هو الذي كان ببغداد يناظر عن السنة وطريقة الحديث بالجدل والبرهان، وبالحضرة رؤوس المعتزلة والرافضة والقدرية وألوان البدع، ولهم دولة وظهور بالدولة البويهية، وكان يرد على الكرامية وينصر الحنابلة عليهم، وبينه وبين أهل الحديث عامر، وإن كانوا يختلفون في مسائل دقيقة، فلهذا عامله الدارقطني بالاحترام، ثم قال: فهذا المنهج هو طريقة السلف وهو الذي أوضحه أبو الحسن وأصحابه، وهو التسليم لنصوص الكتاب والسنة، وبه قال ابن الباقلاني وابن فورك والكبار إلى زمن أبي المعالي، ثم زمن الشيخ أبي حامد فوقع اختلاف وألوان نسأل الله العفو ا.هـ كلام الذهبي.
فهذه هي طريقة الأشعري والمتقدمين من أصحابه، أما متأخرو الأشعرية فقد خالفوا الشيخ في طريقته فلم يثبتوا الصفات للباري سبحانه كما هي طريقة أهل السنة، بل أثبتوا لله تعالى سبع صفات فقط هي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر، ونفوا عن الله تعالى العلوّ، والاستواء على العرش، والوجه الكريم، واليد كما جاءت بذلك نصوص الكتاب العزيز، وقالوا إن من أثبت لله تعالى العلوّ والاستواء فإنه ضالّ أو كافر.
وهذا المذهب أعني مذهب المتأخرين من الأشاعرة، تجد أئمة المالكية المتقدمين كلهم على خلافه يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه من الصفات، لا يقتصرون على السبع دون غيرها، بل يسلمون لله تعالى في كل ما جاءهم به خاتم النبيين ﷺ، ولك أيها القارئ الكريم أن ترجع إلى ما سبق لترى مذهب المالكية رحمهم الله في إثبات الصفات، فإنهم بهذه الطريقة مجانبون لمتأخري الأشعرية تمامًا.
وقد صنف الأستاذ مصطفى باحو كتابًا بعنوان **«علماء المغرب ومقاومتهم للبدع»** =

الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ، ولا يعدون عند الجميع في طبقات العلماء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه في الاتفاق والميز والفهم.

وقال أبو عمر في كتاب بيان العلم له:

أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع، أشعريًّا كان أو غير أشعري، ولا تقبل له شهادة في الإسلام، ويهجر ويؤدب على بدعته، فإن تمادى عليها استتيب منها[١].

وقال السلاوي[٢] في الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى:

فبعد أن طهره الله ـ يعني المغرب ـ من فرقة الخارجية والرافضة ثانيًا، أقاموا على مذهب أهل السنة والجماعة، مقلدين للجمهور من السلف في الإيمان بالمتشابه وعدم التعرض له بالتأويل، مع التنزيه عن الظاهر، وهو والله أحسن المذاهب وأفضلها.

= ضمن فيه فصلًا بعنوان: المالكية والمذهب الأشعري، فأجاد فيه وأفاد جزاه الله خيرًا.

(١) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص ١٥٧)، جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٢).

(٢) السلاوي أحمد بن خالد الناصري شهاب الدين، العلامة النابغة آية في الذكاء بالغة، رفيع النسب، عين الأدب، وترجمان لسان العرب، الأستاذ الورع المؤرخ المطلع وحيد زمانه وفريد عصره وأوانه مؤرخ بحاث، مولده وفاته في مدينة سلا بالمغرب الأقصى، اشتهر بتاريخه الممتع النفيس الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ولد سنة (١٢٥٠ هـ)، وتوفي رحمه الله سنة (١٣١٣ هـ).
شجرة النور الزكية في تراجم علماء المالكية (ص ٤٣٢).

واستمر الحال على ذلك مدة إلى أن ظهر محمد بن تومرت مهدي الموحدين، فرحل إلى المشرق وأخذ عن علمائه مذهب أبي الحسن الأشعري ومتأخري أصحابه، ثم عاد ابن تومرت إلى المغرب ودعا الناس إلى سلوك هذه الطريقة، وجزم بتضليل من خالفها، بل تكفيره، وسمى أتباعه بالموحدين تعريضًا بأن من خالف طريقته ليس بموحد.

ومن ذلك الوقت أقبل علماء المغرب على اعتناق المذهب الأشعري وتقريره وتحريره درسًا وتأليفًا، وإن كان قد ظهر بالمغرب قبل ابن تومرت فظهورًا ما[1].

وذكر ابن خلدون أن أهل المغرب قبل ابن تومرت كانوا بمعزل عن علم الكلام، وأن ابن تومرت أدخل مذاهب الأشعرية وعلم الكلام للأندلس، قال في مقدمته: «بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه، والاعتقاد بمذهب السلف في ترك التأويل وإقرار المتشابهات كما جاءت»[2].

وقال الإمام الذهبي رحمه الله في ترجمة أبي ذر الهروي:

أخذ الكلام ورأي أبي الحسن عن القاضي أبي بكر بن الطيب، وبثَّ ذلك بمكة، وحمله عنه المغاربة إلى المغرب والأندلس، وقبل ذلك كان علماء المغرب لا يدخلون في الكلام بل يتقنون الفقه أو الحديث أو العربية، ولا يخوضون في المعقولات[3].

---

(١) الاستقصاء (١/ ٦٣).

(٢) مقدمة ابن خلدون (١/ ١٣٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٥٧).

وقال القاضي أبو الوليد بن رشد رحمه الله: فمن الحق الواجب على من ولاه أمر المسلمين أن ينهى العامة والمبتدئين عن قراءة مذاهب المتكلمين من الأشعريين، ويمنعهم من ذلك غاية المنع مخافة أن تنبو أفهامهم عن فهمها، فيضلوا بقراءتها، ويأمرهم أن يقتصروا فيما يلزمهم اعتقاده على الاستدلال الذي نطق به القرآن ونبه الله عباده في محكم التنزيل، إذ هو بيِّن واضح لائح يدرك ببديهة العقل بأيسر تأمل في الحين، فيبادروا بعد إلى تعلم ما يلزمهم من التفقه فيه من أحكام الوضوء والصلاة والزكاة والصيام وسائر الشرائع والأحكام، ومعرفة الحلال في المكاسب من الحرام[(١)].

وقد كان أبو عمر الطلمنكي المالكي رحمه الله من المجانبين للأشعرية، ذكره ابن عبد الهادي وقال: أبوعمر الطلمنكي الحافظ صاحب التصانيف، كان سيفا عليهم وعلى غيرهم[(٢)].

***

(١) فتاوى ابن رشد (٢/ ٩٦٦).

(٢) جمع الجيوش والدساكر (٥٨/ ب).

فصل: موقف الإمام مالك من الصوفية ورقصهم وسماعهم

قال عبد الله بن يوسف التنيسي: كنا عند مالك بن أنس، فقال له رجل من أهل نصيبين، يا أبا عبد الله! عندنا قوم يقال لهم الصوفية، يأكلون كثيرًا، فإذا أكلوا أخذوا في القصائد، ثم يقومون فيرقصون، فقال مالك:

هم مجانين؟

فقال له: لا.

قال: هم صبيان؟

فقال: لا، هم مشايخ عقلاء.

قال مالك: ما سمعنا أن أحدًا من أهل الإسلام يفعل هكذا.

قال الرجل: بل يأكلون ثم يقومون فيرقصون، يلطم بعضهم رأسه، وبعضهم وجهه.

فضحك مالك وقام إلى منزله، فقال أصحاب مالك للرجل: يا هذا أدخلت والله مشقة على صاحبنا، لقد جالسناه نيفًا وثلاثين سنة، فما رأيناه ضحك إلا هذا اليوم[1].

---

(١) ترتيب المدارك (٢/ ٥٤)، وقد ذكرهذه القصة الزواوي في مناقب مالك (ص١٥٧)، والزرويلي في رسالة ذم البدعة وأهلها (ص ٢٣٦)، والوغليسي كما في المعيار المعرب (١١/ ٣٤)، والشاطبي كما نقله عنه الونشريسي أيضًا (١١/ ٣٩) ويأتي (ص ٢٠٣).

وقال الإمام مالك رحمه الله في لباس الصوف الغليظ: لا خير في الشهرة، ولو كان المرء يلبس ذلك مرة ويطرحه أخرى، إذًا رجوت ألا يكون به بأس، فأما أن يعاهد عليه، حتى يعرف ويشهر فإني أكرهه ولا أحبه.

ومن ثياب القطن ما هو أخشن في اللباس، وأبعد في الشهرة، ومن رخص الثمن في مثل نصف ثمن هذا الصوف، فلا أحب ذلك ولا أستحسنه، وقد روي أن رسول الله ﷺ رأى على رجل أطمارًا، فقال له: هل لك من مال؟ فقال نعم، قد آتاني الله من أنواع المال كله، فقال له رسول الله ﷺ: «**فلير عليك مالك**»(١).

قال الإمام مالك رحمه الله: وسمعت أن رجلًا قال لرسول الله ﷺ: إني أحب أن يحسن ثوبي ويحسن صوتي، ونحو ذلك، أفذلك من الكبر يا رسول الله؟

فقال: لا، ولكن الكبر من سفه الحق وغمط الناس(٢).

وقال القاضي ابن عطية الأندلسي رحمه الله صاحب التفسير المشهور:

---

(١) خرجه أبو داود (٣٥٤١) والنسائي (٥١٢٩) من حديث أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن أبيه مالك قال قلت يا رسول الله الرجل أمر به فلا يضيفني ولا يقريني، فيمر بي فأجزيه؟ قال لا، بل اقره، قال: فرآني رث الهيئة، فقال هل لك من مال؟ فقلت: قد أعطاني الله ﷻ من كل المال، من الإبل والنعم، قال فلتر أثر نعمة الله عليك.

(٢) البيان والتحصيل (١٨/ ٤٣١)، والحديث خرجه مسلم (١٤٨) وأبو داود (٣٥٦٩) والترمذي (١٩٢٢) من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة؟ قال إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس.

تعلقت الصوفية في القيام والقول بقوله: ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الكهف ١٤].

قلت: وهذا تعلق غير صحيح، هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته وشكروا لما أولاهم من نعمه ونعمته، ثم هاموا على وجوههم منقطعين إلى ربهم، خائفين من قومهم.

وهذه سنة الله في الرسل والأنبياء والفضلاء الأولياء، أين هذا من ضرب الأرض بالأقدام؟! والرقص بالأكمام، وخاصة في هذه الأزمان عند سماع الأصوات الحسان، من المرد والنسوان، هيهات بينهما والله ما بين الأرض والسماء.

ثم هذا حرام عند جماعة العلماء[1].

وسئل الإمام أبو بكر الطرطوشي رَحِمَهُ اللَّهُ: ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية، واعلم حرس الله مدته أنه اجتمع جماعة من رجال، فيكثرون من ذكر الله تعالى، وذكر محمد ﷺ، ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشيًّا عليه، ويحضرون شيئًا يأكلونه، هل الحضور معهم جائز أم لا؟ أفتونا مأجورين.

الجواب: يرحمك الله، مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، ما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري، لما اتخذ لهم عجلًا جسدًا له خوار، قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون، فهو دين الكفار وعباد العجل، لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطل،

---

(١) ذكره في التفسير، تفسير سورة الكهف الآية (١٢) (٩/ ٢٥٠).

هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق(١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا(٢):

قد كان الناس فيما مضى يستتر أحدهم بالمعصية إذا واقعها، ثم يستغفر الله ويتوب إليه منها، ثم كثر الجهل، وقل العلم، وتناقص الأمر حتى صار أحدهم يأتي المعصية جهارًا، ثم ازداد الأمر إدبارًا حتى بلغنا أن طائفة من إخواننا المسلمين ـ وفقنا الله وإياهم ـ استزلَّهم الشيطان، واستغوى عقولهم في حب الأغاني واللَّهْوِ، وسماع الطقطقة والزمر، واعتقدته من الدين الذي يقربهم من الله ﷻ، وجاهرت به جماعة المسلمين وشاقت به سبيل المؤمنين وخالفت العلماء والفقهاء وحملة الدين ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء ١١٥]...

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذه الطائفة مخالفة لجماعة المسلمين لأنهم جعلوا الغناء دينًا وطاعة، ورأت إعلانه في المساجد والجوامع وسائر البقاع الشريفة والمشاهد الكريمة، وليس في هذه الأمة من يرى هذا الرأي.

وقد كان أولى الناس بالاحتياط لدينهم هذه الطائفة، فإنهم يتلبسون بالدين، ويدعون الورع والزهد حتى يوافق باطنهم ظاهرهم(٣).

وقال الإمام أبو عبد الله المازري رَحِمَهُ اللَّهُ: الاجتماع بالذكر بالتطريب

---

(١) ذكره القرطبي في التفسير (١١/ ١٥٨)، والمعيار المعرب (١١/ ١٦٢).
(٢) رسالة في تحريم الغناء والسماع (ص ١٦٠).
(٣) رسالة في تحريم الغناء والسماع (ص ١٦٦).

والتحنين ورفع الصوت قد نهى عنه العلماء وأنكروه وعدوه بدعة، وقد قال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»(١).

وقد علم أن هذا الفعل لم يكن مما سبق في الزمن الأول، ولا فعله السلف الصالح من الصحابة، لقوله: «أصحابي كالنجوم»(٢) مع العلم بأنهم أعبد ممن يأتي بعدهم، ونقل عنهم بالتواتر أنهم شديدو الحزم في الازدياد من الطاعة والحمل على النفس من مقاساة القرب، حتى يخف عليهم إراقة دمائهم وقتل أولادهم وآبائهم في الجهاد في ذات الله ورسوله.

فلو كان خيرًا ما سبق هؤلاء إليه، فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران ١١٠] وقال: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح ٢٩]، وقال ﷺ: «لو أنفق أحدكم مثل جبل أحد ذهبًا ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه»(٣).

فمن عرف هذا وجب وقوفه عمّا وقفوا عنه، ويفعل ما فعلوه، وهم كانوا لا يفعلون هذا.

---

(١) خرجه الترمذي في السنن (٢٨٩١) وابن ماجة (٤٤) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع العلم (٢/ ٩١) وابن حزم في الإحكام (٦/ ٨٢) من حديث جابر رضي الله عنه، وضعفه الإمام أحمد رحمه الله، وابن حزم، وقال الألباني: موضوع، السلسلة الصحيحة (٥٨).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٣٣٩٧) ومسلم (٤٦١٠).

ولا يعتقد عاقل أن يقول ما فعلوه تخفيفًا على أنفسهم من المشقة، بل هو أخف شيء عليهم لو أرادوه، وكذا من بعدهم من السلف لم يرد عنهم الأمر بهذا ولا الحض عليه، وما ذاك إلا لاتباعهم من مضى، ولو لم يكن فيه إلا أن العلماء سكتوا عنه ولم يفعلوه لكان من حق العاقل ألا يفعله، فكيف وهم أنكروه ونهوا عنه؟!

فقال مالك فيمن يقرأ القرآن بالألحان ويعلِّم ذلك الجواري كالغناء: ما هكذا كان رسول الله ﷺ يقرأ القرآن، فجعل حجته أنه لم يفعله من مضى، ففعله بعدهم بدعة.....

فينبغي أن يقال لهؤلاء: أنتم وإن سبق إلى أنفسكم أن الازدياد من الخير مطلوب، فيجب أن تعلموا أن هذه الأمور لم تكن خيرًا من جهة العقول ولا من جهة الشهوات، ولا أحكام الإرادات، وإنما هي إخبار من جهة الشريعة وما رسمه من آياتها عن الله، ووعده من الثواب عليها، فإذا رسمها على صفة من الصفات وحدّ من الحدود ونهى عن مجاوزته، صارت الزيادات شرًّا.

فإن يكونوا من أهل الاجتهاد فهلموا إلى المناظرة، وإن كانوا من أهل التقليد فيسألون أهل العلم لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل ٤٣]

وقد أخبرناك بما تقدم لمالك وأصحابه وغيرهم من العلماء، فلا ينبغي التساهل في هذه المعاني، ولا يغفل عن تفقدها ولا عن ما وقع منها، فصغار الأمور تجر كبارها.

وربما كانت هذه حيلًا لاستمالة قلوب الأغنياء، وصيد الدراهم، فإن قال هؤلاء المستفتى فيهم: لسنا نريد إلا وجه الله.

قيل له: أصل مذهب مالك حماية الذرائع، ففي بعض مسائل المدونة: أخاف إن صح من هؤلاء أن لا يصح من غيرهم، وقد سئلت عن بعض لباس هؤلاء المتهمين للخز والمسوح والصوف الخشن الأسود فأنكرت ذلك(١).

وقال ابن المزين أبوالعباس القرطبي شارح الصحيح في رسالة له في السماع:

وقد بلغنا عن بعض مشايخ هذا العصر، وهو لعمري من أحسن الناس سمتًا ووقارًا وأبهة قبل حضوره السماع، فإذا حضر رقص على طارات هؤلاء العشاق وشباباتهم إلى أن يطيب فيمرغ خديه وشيبته الحسنة عند أقدام هؤلاء المناحيس من المغنين والمخنثين، ويخلع كل ما عليه فيدفعه لهم، فمثل هذا الإعطاء وهذه المحاضر من أعظم المعاصي والكبائر لأنه بالإعطاء معين لأهل المعاصي على معاصيهم، ومحسِّن لهم ما هم عليه من القبائح، ومعظِّم لمن حقر الله أمره، وأوجب علينا نكره وزجره وهجره، وهذه كلها مخالفة لأمر الله ولسنة رسوله ﷺ، وتعاون على الإثم والعدوان، وتعظيم لمن أمر الله بذمهم من أهل الفسوق والعصيان، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ما أعظم هذه المصائب، ولكن لا يشعرون...

وعلى الجملة فللمتأخرين من هذه الطائفة من الطرق المبتدعة والتحكمات المخترعة والألفاظ المبهرجة والشطحات المزعجة ما يتبرأ منه أهل التحقيق، ولا يقبله إلا كل جاهل أو زنديق، ولا يظن غمر

(١) المعيار المعرب١٢/ ٣٦٢

جاهل أو ذو غمر متجاهل أنا ننكر طريق العباد المحققين والأولياء والصالحين، وإنما ننكر على الجهال المبتدعين الذين يتحكمون في دين الله بأهوائهم، وبما يقع في قلوبهم، ويتركون القواعد الشرعية والأحكام النبوية جامحين إلى ما تقتضيه النفوس والطباع من الأكل والرقص والسماع، لا عرفنا الله بهم، وتاب علينا من مشاهدتهم(١).

وسئل الشيخ الصالح أبو فارس عبد العزيز بن محمد القيرواني(٢) تلميذ الشيخ أبي الحسن الصغير، عن قوم تسمَّوا بالفقراء، يجتمعون على الرقص والغناء، فإذا فرغوا من ذلك أكلوا طعامًا كانوا أعدوه للمبيت عليه، ثم يصلون ذلك بقراءة عشر من القرآن والذكر، ثم يغنون ويرقصون ويبكون، ويزعمون في ذلك كله أنهم على قربة وطاعة، ويدعون الناس إلى ذلك، ويطعنون على من لم يأخذ بذلك من أهل العلم، ونساء اقتفين في ذلك أثرهم، وعملن في ذلك على نحو عملهم، وقوم استحسنوا ذلك وصوَّبوا فيه برأيهم، فما الحكم فيهم، وفيمن رأى رأيهم، هل تجوز إمامتهم وتقبل شهادتهم أم لا؟ بينوا لنا ذلك.

فأجاب بأن قال: الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة على محمد خاتم النبيين، وآله الطيبين الطاهرين، أكرمكم الله وإيانا بتقواه، ووفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه لاتباع سنة نبينا محمد ﷺ حتى نلقاه.

---

(١) كشف القناع عن حكم الوجد والسماع لأبي عبد الله القرطبي ص ٨٤.

(٢) عبد العزيز بن محمد القروي الفاسي الفقيه الصالح المفتي، قال الإمامان المقرئ وابن مرزوق: هو أكبر تلاميذ أبي الحسن الزرويلي علمًا ودينًا، زاد ابن مرزوق، وتقييده على المدونة عنه أحسن تقاييده. توفي سنة ٧٠٥ هـ.
كفاية المحتاج (ص ١٩٨).

قد وقفنا على ما رسمتم، وتصفحنا فصوله، فالجواب فيه ما قاله بعض أئمة الدين من علماء المسلمين الناصحين حين سئلوا عن ذلك، من أن رسول الله ﷺ أخبر: «**إن بني إسرائيل افترقت على اثنتين وسبعين فرقة، وأن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، اثنان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة**»[(١)].

وقد ظهر ما أخبر به ﷺ من افتراق أمته على هذه الفرق، وتبين صدقه ﷺ وتحقق، ولم يكن أحد في مغربنا من هذه الطوائف فيما سلف، إلى أن ظهرت هذه الطائفة الأمية الجاهلة الغبية، الذين ولعوا بجمع أقوام جهال، فتصدوا إلى العوام الذين صدورهم سالمة، وعقولهم قاصرة، فدخلوا فيهم من طريق الدين، وأنهم لهم من الناصحين، وأن هذه الطريق التي هم عليها هي طريق المحبين، فصاروا يحضونهم على التوبة والإيثار، والمحبة وصدق الأخوة، وإماتة الحظوظ والشهوة، وتفريغ القلب إلى الله بالكلية، وصرفه إليه بالقصد والنية.

وهذه الخصال محمودة في الدين فاضلة، إلا أن الذي في ضمنه على مذاهب القوم سموم قاتلة، وطامات هائلة، وهذه الطائفة أشد ضررًا على المسلمين من مردة الشياطين، وهي أصعب الطوائف للعلاج، وأبعدها عن فهم طرق الاحتجاج، لأنهم أول أصل أصَّلوه في مذهبهم بغض العلماء والتنفير عنهم، ويزعمون أنهم عندهم قطاع الطريق، المحجوبون بعلمهم عن رتبة التحقيق، فمن كانت هذه حالته سقطت مكالمته، وبعدت معالجته، فليس للكلام معه فائدة، والمتكلم معه

---

(١) خرجه أبو داود في السنن (٤٥٩٨) والترمذي (٢٨٥٢) وابن ماجة (٤١٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال الترمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.

يضرب في حديد بارد، وإنما كلامنا مع من لم ينغمس في خابيتهم، ولم يسقط في مهواتهم، لعله يسلم من عاديتهم، وينجو من غاويتهم.

واعلموا أن هذه البدعة في فساد عقائد العوام أسرع من سريان السمّ في الأجسام، وأنها أضرُّ في الدين من الزنى والسرقة وسائر المعاصي والآثام، فإن هذه المعاصي كلها معلوم قبحها عند من يرتكبها ويجتلبها، فلا يلبس مرتكبها على أحد، وترجى له التوبة منها والإقلاع عنها، وصاحب هذه البدعة يرى أنها أفضل الطاعات، وأعلى القربات، فباب التوبة عنده مسدود، وهو عنه شرود مطرود، فكيف ترجى له منها التوبة، وهو يعتقد أنها طاعة وقربة، بل هو ممن قال الله فيهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [البقرة ١٠٤] وممن قال فيهم: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر ٨].

ثم ضرر المعاصي إنما هي في أعمال الجوارح الظاهرة، وضرر هذه البدع إنما هي في الأصول التي هي العقائد الباطنة، فإذا أفسد الأصل ذهب الفرع والأصل، وإذا فسد الفرع بقي الأصل، يرجى أن ينجبر الفرع، وإن لم ينجبر الفرع لم تذهب معه منفعة الأصل.

ثم إن الذي يغوي الناس ويدعوهم إلى بدعته يكون عليه وزره ووزر من استنَّ بسنَّته، قال الله العظيم: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل ٢٥] وقال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [العنكبوت ١٣] وقال رسول الله ﷺ: «**من سنَّ سُنَّةً حسنةً كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سنَّ سُنَّةً سيئةً كان عليه**

وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»[(١)]، ولا تنشأ هذه العلل إلا من مرض في القلب خفيّ أو حمق جليّ، فاحذروها واحذروا أهلها ولا تغتروا بهم، ولو أنهم يطيرون في الهواء ويمشون على الماء، فإن ذلك فتنة لمن أراد الله فتنته وعلم شقوته، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾ [المائدة ٤١]

فلا يغترَّ أحدكم بما يظهر من الأوهام والخيالات من أهل البدع والضلالات، ويعتقد بأنها كرامات، بل هي شرك وحبالات، نصبها الشيطان ليقتنص بها معتقد البدع ومرتكب الشهوات، وإنما تكون من الله الكرامة لمن ظهرت منه الاستقامة، وإنما تكون الاستقامة باتباع الكتاب والسنة، والعمل بما كان عليه سلف هذه الأمة، فمن لم يسلك طريقهم، ولم يتبع سبيلهم فهو ممن قال الله فيهم: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ [النساء ١١٥] الآية.

فمن حرَّف كتاب الله أو ترك العمل به أو عطله، فقد افترى على الله كذبًا واتخذ آيات الله هزوًا ولعبًا، فإذا رأيتم من يعظِّم القرآن فعظموه، وإذا رأيتم من يكرم العلماء وأهل الدين فأكرموه، قال الله العظيم: ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الحج ٣٠] الآية.

ومن رأيتموه خالف القرآن فارفضوه واهجروه في الله وأبغضوه، ومن رأيتموه يجانب العلماء فجانبوه، فإنه لا يجانبهم إلا ضال مبتدع غير مقتد بالشرع ولا متبع، فإن الشرائع لا تؤخذ إلا عن العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، كيف وقد جعل الله شهادته وشهادة ملائكته كشهادة

(١) خرجه الإمام مسلم (١٦٩١) من حديث جرير بن عبد الله ﷺ.

أولي العلم، قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران ١٨] الآية.

ولست أعني بالعلماء المشتغلين في زماننا هذا بعلوم الجدال والمماراة، ولا المعتنين بدرس مسائل الأقضية والشهادات، فيتقربون بذلك إلى جمع الحطام والتقرب من الولايات والحكام، ونيل الرياسة عند العوام، وإنما نعني بالعلماء الذين يعملون بعلمهم، وقال فيهم النبي ﷺ «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين**»(١) وقال فيهم: «**علماء كادوا يكونون من ربهم أنبياء**»(٢) فأولئك ورثة النبيين، وأئمة المتقين الذين يجب أن يقتدى بهم، ويتأدب بآدابهم، وتقتفى آثارهم، وتحفظ أخبارهم، ولكنهم ضمهم لحودهم، قَلَّ على بسيط الأرض وجودهم، فما يورد من آثارهم أثر، فهم الكبريت الأحمر، وإن كان عجز عن بلوغ رتبتهم وقصر، لكنه يعرف الحق فلا يغلط في نفسه ولا يغترّ.

فهذه نصيحة لمن وقف عليها من الإخوان الصادقين والمريدين والعامة المسلمين المصححين، ليميزوا بها بين المحق والمبطل من المنتمين إلى الدين، ولا يغتروا بالملبس من أجل حسن الظن ومحبتهم للصالحين، ويدخل عليهم الخلل في عقائدهم، ويميلون بها إلى عوائدهم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٦٩) والإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٥٩، ٢٠٢) والخطيب في شرف أصحاب الحديث (٥/ ٢٥) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٤٠)، صححه الإمام أحمد وحسنه العلائي وصححه الألباني

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٩/ ٢٧٩) وأبو سعد النيسابوري في الأربعين (٣٩) والضياء المقدسي في الجزء الثالث من الحكايات المنثورة (١٤٩)، وهو حديث منكر.

وأما ما ذكرتموه من أفعالهم واشتغالهم بالرقص والغناء والنوح فممنوع غير جائز، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [لقمان ٦] الآية، قال ابن مسعود: هو الغناء والذي لا إله إلا هو، يردِّدها ثلاث مرات(١)، وهو قول مجاهد وعطاء: من كانت له جارية مغنية، فمات لم يصلّ عليه، لقول الله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [لقمان ٦] الآية.

قال مالك في المدونة: وأكره الإجارة على تعليم الشعر والنوح، وعلى كتابة ذلك.

قال عياض: معناه نوح المتصوفة وإنشادهم على طريق النوح والبكاء، فمن اعتقد في ذلك أنه قربة لله تعالى فهو ضالّ مضلّ، ولا يعلم ـ مسكين ـ أن الجنة حُفَّت بالمكاره، وأن النار حُفَّت بالشهوات، والله تعالى لم يبعث أحدًا من الأنبياء باللَّهْوِ والراحة والغناء، وإنما بعثوا بالبر والتقوى وما يخالف الهوى، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات ٤٠] فالباطل خفيف على النفوس، ولذلك خف في الميزان، والحق ثقيل ولذلك ثقل في الميزان، قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المزمل ٥]

وقال عبد الوهاب(٢): ومن البدع الكبرى ما نشاهده ممن يدعي لنفسه العبادة والتقدم، انظر تمامه، ولعله في شرح الرسالة لعبد الوهاب.

---

(١) خرجه محمد بن جرير الطبري في التفسير (٢٠/ ١٢٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ١٣٢) والحاكم (٢/ ٤١١) والبيهقي في شعب الإيمان (٥٠٩٦) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه ابن القيم والألباني

(٢) هو القاضي عبد الوهاب المالكي، قاضي المذهب، تقدمت ترجمته.

وأما ما ذكرتموه من قراءة القرآن والاستماع إليه فإنه جائز، وفيه قربة وطاعة الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الأعراف ٢٠٤] الآية، وإن كان بعضٌ أوَّلَ ذلك في الصلاة، وهذا إذا كان الوجه المأذون فيه لا يقصد به رياء ولا سمعة.

قال أبو محمد في رسالته: ويبجل كتاب الله العزيز أن يتلى إلا بسكينة ووقار، والنساء فيما ذكرنا كالرجال فالمنع في حقهن أشد[١].

وسئل فقيه بجاية وصالحها أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي رحمه الله[٢] عما تفعله الصوفية؟ فأجاب عنه بما نصه:

قد علم نص أهل العلم فيما ذكرت من أحوال بعض الناس من الرقص والتصفيق على أن ذلك بدعة وضلالة، وقد أنكره مالك، وتعجب ممن يفعل ذلك، لما ذكر له أن أقوامًا يفعلون ذلك، فقال: أصبيان هم أم مجانين؟.

ما سمعنا أحدًا من أهل الإسلام يفعل هذا، وقد يغترّ من لا يميز الأمور بما يذكر عن بعض أهل الصدق من الصوفية، مما يقع لهم عند السماع عند صفوه من حالة صادقة من التواجد، وربما لا يملكون

---

(١) المعيار المعرب (١١/ ٢٩).

(٢) الوغليسي أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد الفقيه الأصولي المحدث المفسر عمدة أهل زمانه، وفريد عصره وأوانه، شيخ الجماعة ببجاية، له تآليف كثيرة منها الأحكام الفقهية تسمى الوغليسية، ومقدمة في الفقه، وفتاوى مشهورة، توفي سنة (٧٨٦هـ)، وقد طبعت المقدمة الوغليسية في الفقه بدار ابن حزم ٢٠٠٧، تحقيق حفيظه بليهوب.
كفاية المحتاج (ص ١٨٠)، شجرة النور الزكية (ص ٢٣٧).
كفاية المحتاج ص ١٨٠

أنفسهم عن القيام والحركة لغلبة ما يرد عليهم، وقد تخلصوا من مذامٍّ أنفسهم وقبائحهم، وقوموا على منهاج الشريعة، فكيف يتشبه بهم من هو في غمرات الجهل لم يستخلص من أداء فرض، ولا اجتناب محرم، ثم يأكل حتى يملأ بطنه، ثم يقوم ويصفق ويشطح ويتمايل، وقد قال القرطبي: إن ذلك مما لا يختلف في تحريمه، وقد انتهى التواقح بأقوام إلى أن يقولوا: إن تلك الأمور من أبواب القرب وصالح الأعمال، وإن بذلك يتم صفاء الأوقات وسنيات الأحوال، فنعوذ بالله من البدع والضلال، وهذا الذي يقولون هو الذي يعتقده أهل زماننا في غالب ظني[١].

وأجاب عن السؤال الفقيه الصالح أبو عبد الله الحفار[٢] بما نصه:

الحمد لله والصلاة على محمد رسول الله ﷺ، الجواب مستعينًا بالله: أن هذه الطائفة المنتمية للتصوف في هذا الزمان وفي هذه الأقطار، قد عظم الضرر بهم في الدين، وفشت مفسدتهم في بلاد المسلمين، لا سيما في الحصون والقرى البعيدة عن الحضرة، هنالك يظهرون ما انطوى

---

(١) المعيار المعرب ١١/ ٣٤

(٢) الشيخ المعمر ملحق الأبناء بالآباء الفقيه الصالح محمد بن علي الأنصاري، عرف بالحفار الغرناطي، كان محدثها وعالمها، قال في الإحاطة: فاضل خير عفيف حسن الخلق والعشرة، كثير الصمت، خاص التمعش ظاهر الاقتصاد، متفنن في معارف شتى من قرآن وفقه ونحو وتاريخ، نشأ بالحضرة لم يعدّ سورها، مكبًّا على العلم بعيدًا من البطالة، ولما بان فضله وظهر اطلاعه، قلد خطبة مطخشارس بالمدينة، وتكلم على الجمهور فبان فضله وظهر اطلاعه وحفظه، وجعلت بيده صدقات الضعفاء فكرم أثره وحسن الثناء عليه ـ توفي (سنة ٨١١ هـ)
كفاية المحتاج ص ٣٧٣، الدرر الكامنة (٢/ ٤٣).

عليه باطنهم من الضلال من تحليل ما حرم الله، والافتراء عليه وعلى رسوله.

وبالجملة فهم قوم استخلفهم الشيطان على حلِّ عرى الإسلام وإبطاله، وهدم قواعده، ولسنا لبيان حال هؤلاء فهم أعظم ضررًا على الإسلام من الكفار، وإنما يقع الجواب على حال من ذكر في السؤال على تقدير سلامة عقيدته، وعدم تعرضه لما دخل فيه غيره من ننبه عليه، بل نقتصر على ما ذكر من الغناء وسماعه.

فحال هذه الطائفة المسؤول عنها أخف بالنسبة إلى الطائفة الأولى وأحسن، وما فيهم حسن، لكنهم قوم جهلة، ليس لديهم شيء من المعارف، ولا يحسن واحد منهم أن يستنجي ولا يتوضأ، دع ما سوى ذلك، لا يعرف ما فرض الله عليه، بهيمة من البهائم في دينه، وما أوجب الله عليه في يومه وليلته، ليس عنده من الدين إلا الغناء والشطح، وأكل أموال الناس بالباطل، واعتقاد أنه على شيء.

وهذا كله ضلال من وجوه: أعظمها أنهم يوهمون على عوام المسلمين ومن لا عقل له من النساء، ومن يشبههن في قلة العقل من الرجال، أن هذه الطريقة التي يرتكبونها هي طريقة أولياء الله، وهي من أعظم ما يتقرب به إلى الله، فيَضلون ويُضلون، وفي ذلك افتراء على الله وعلى شريعته وأوليائه.

قال عمر ﷺ على منبر رسول الله ﷺ بحضرة الصحابة ﷺ: **أيها الناس قد سُنَّت لكم السنن، وفُرضت لكم الفرائض، وتُرِكتم على الجادَّة إلا أن تميلوا بالناس يمينًا وشمالًا**[(١)].

---

(١) خرجه مالك في الموطأ (٣٠٤٤) والحاكم في المستدرك (٥/ ٢٦٤).

فليس في دين الله ولا فيما شرع أن يتقرب إليه بغناء ولا شطح.

والذكر الذي أمر به وحث عليه ومدح الذاكرين له به، هو على الوجه الذي كان يفعله ﷺ، ولم يكن على تلك الطريقة من الجمع ورفع الصوت على لسان واحد.

وقد روى الإمام ابن وضاح رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب البدع بسنده إلى رسول الله ﷺ قال: انتهى رسول الله ﷺ إلى قوم في بيت، فقال: ما جمعكم؟ قالوا: نذكر الله يوم غاب شره، فقال رسول الله ﷺ: يوم غاب شره! على جهة الإنكار عليهم «انتشروا إلى ضياعكم» الحديث(١).

فأنكر عليهم ﷺ اجتماعهم للذكر، وأمرهم إلى أن ينتشروا إلى ضياعهم، فيشتغلون في ضياعهم بما يستعينون به على دينهم، فلا يتقرب إلى الله إلا بما شرع، على الوجه الذي شرع، فمن كلام السلف: لن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها.

وسئل عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الصراط المستقيم؟ فقال: تركنا محمد ﷺ في أدناه، وطرفه في الجنة، وعن يمينه جواد، وعن شماله جواد، وعليها رجال يدعون من مر بهم، هلم لك، هلم لك، فمن أخذ منهم في تلك الطرق سلك به إلى النار، ومن استقام على الطريق الأعظم انتهى به إلى الجنة، ثم تلا ابن مسعود هذه الآية ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام ١٥٣](٢).

---

(١) خرجه ابن وضاح القرطبي في البدع والنهي عنها (٣٢) (٣٨) من طرق عن عبد الله ابن غالب مرسلًا، وهو حديث ضعيف.

(٢) خرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (٤٣) والطبري في التفسير (١٢/ ٢٣٠).

وحين ذكر ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي[1] أو كما قال ﷺ، إلى غير ذلك مما جاء في هذا الباب، ولا يحصى كثرةً.

وإنما حمل هذه الطائفة على ارتكاب هذه الطرق المهلكة في الدين، أنهم لما احتاجوا إلى ما يحتاج إليه الناس من المأكل والمشرب والملبس، وسائر المآرب التي يحتاج الإنسان إليها، ولم تكن لهم لا صناعة ولا حرفة يتعيشون بها، أو كانت وصعب عليهم الكد في طلب المعاش وتكلف الخدمة، لخسَّة همتهم بركونهم إلى الدعة والراحة، فسوَّل لهم الشيطان وزيَّن لهم هذه الطريقة التي هي لهو ولعب، ولبَّسوا فيها على الجهال بالذكر الذي يفتتحون به مجالسهم، ولبسوا المرقَّعات، ونصبوها شبكة، إذ كانت لباس الخيار من أهل هذه الطريقة قبل أن تدخلها البدع والضلالات، وقالوا لهم: هذه طريقة الأولياء وهي أقرب الطرق إلى الله، وإلى نيل رضاه، والكون في جواره في الآخرة، فتهافت الجهال عليهم، وأوصلوهم إلى ما شاؤوا من نيل شهواتهم إلى أقصى الغايات، فالإنسان إذا قيل له كل واشرب واشطح وتلذذ بالغناء، والهُ والعب طول عمرك ولا تتعب في عبادة ولا

---

(١) خرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ (ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية، لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟! قال: ما أنا عليه وأصحابي) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب مفسر لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه. وهو حسن كما قال رحمه الله.

غيرها، ثم مصيرك في الآخرة إلى أعلى الدرجات، مع الأولياء والصالحين، فيرى أن هذه الجنة معجلة قبل الموعود بها، وأنه قد حصل على ما لا غاية بعده من السعادة، فأيّ مصيبة أعظم من هذه في إضلال عباد الله؟

فالواجب على من قدر على هؤلاء الذين هم كالأكلة في جنب الدين أن يمنعهم، ويحول بينهم وبين ما هم بسبيله، وأن يجليهم عن موضعه، فهو في ذلك مجاهد مأجور، فمفاسدهم متعددة دينا ودنيًا.

وأما حضور الفقهاء معهم، وقولهم لو كنا على غير طريقة مرضية لما حضرها الفقهاء معنا، فيقال: إن حضور الفقهاء معهم ليس بدليل على الجواز، ولا عدمه دليل على المنع، ولا يعرف الحق بالرجال، بل الرجال يعرفون بالحق، فالفقيه إذا حضر معهم، ووافق واستحسن فعلهم فهو مثلهم، بل هو شر منهم، وهو باسم الفسق أولى منه باسم الفقه، وإن حضر ليرى تلك الطريقة وما تنطوي عليه حتى يحكم بما يشاهد من أحوال أهلها، ثم بعد ذلك يحكم عليهم بما يقتضيه علم الفقه، فحضوره حسن، وإن كان حضوره على جهة تفريج النفس كما يحضر الإنسان مجالس اللهو واللعب، فإن تكرر ذلك منه على هذا الوجه، فذلك مسقط لعدالته، وإن كانت فلتة فلتقل عثرته، ولا يعد للحضور معهم، فيكون مثلهم على ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأنعام ٦٨] فمن كثَّر سواد قوم فهو منهم.

هذا ما حضر تقييده في هذا الوقت والسائل يستحث في التعجيل، فهذا القدر كافٍ في الغرض المطلوب، والله يوفقنا إلى الاقتداء بسلفنا،

ويعصم من الابتداع في الدين، والسلام على من يقف على هذا والرحمة والبركة من كاتبه محمد الحفار[١].

وسئل الشيخ أبو إسحاق الشاطبي رحمه الله[٢] عن حال طائفة ينتمون إلى التصوف والفقر، يجتمعون في كثير من الليالي عند واحد من الناس، فيفتتحون المجلس بشيء من الذكر على صوت واحد، ثم ينتقلون بعد ذلك إلى الغناء والضرب بالأكف والشطح، هكذا إلى آخر الليل، ويأكلون في أثناء ذلك طعامًا يعدّه لهم صاحب المنزل، ويحضر معهم بعض الفقهاء، فإذا تكلم معهم في أفعالهم تلك يقول: لو كانت هذه الأفعال مذمومة أو محرمة شرعًا لما حضرها الفقهاء.

فأجاب فيما نصه:

الحمد لله كما يجب لجلاله، والصلاة على محمد وعلى آله، سألت وفقني الله وإياك عن قوم يتسمون بالفقراء، يجتمعون في بعض الليالي ويأخذون في الذكر ثم في الغناء والضرب بالأكف والشطح إلى آخر الليل، وأن اجتماعهم على إمامين من أئمة ذلك الموضع يتوسمان بوسم الشيوخ في تلك الطريقة، وذكرت أن كل من يزجر عن ذلك الفعل

---

(١) المعيار المعرب (١١/ ٤٢).

(٢) الإمام الجليل العلامة المجتهد أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي ناصر السنة المحقق القدوة الحافظ الثبت الثقة الورع الصالح السني الباحث الحجة، من أفراد المحققين الأثبات وأكابر متقني الأئمة الثقات ذو القدم الراسخ في الفنون فقهًا وأصولًا وتفسيرًا وحديثًا وعربيةً وغيرها مع تحرٍّ عظيم وتحقيق بالغ واتباع السنة وتجنب البدع والشبه والانحراف عن كامل ما يجرّ للبدع وأهلها، اجتهد وبرع وفاق الأكابر والتحق بالأئمة الكبار، وبالغ في التحقيق وتكلم مع الأئمة في المشكلات، وجرى له معهم أبحاث ومراجعات أجلت عن ظهوره فيها وقوة عارضته وإمامته، توفي يوم الثلاثاء سنة (٧٩٦هـ) (نيل الابتهاج ص ٩١).

يحتج بحضور الفقهاء معهم، ولو كان حرامًا أو مكروهًا لم يحضروا معهم.

والجواب والله الموفق للصواب: إن اجتماعهم للذكر على صوت واحد إحدى البدع المحدثات، التي لم تكن في زمن رسول الله ﷺ، ولا في زمن الصحابة ولا من بعدهم، ولا عرف ذلك قط في شريعة محمد عليه السلام، بل هو من البدع التي سماها رسول الله ﷺ ضلالة وهي مردودة، ففي الصحيح أنه عليه السلام قال: «**من أحدث في أمرنا ما ليس منه، فهو ردّ**»[1] يعني فهو مردود وغير مقبول، فذلك الذكر الذي يذكرونه غير مقبول، وفي رواية: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو مردود**»[2].

وفي الصحيح أنه ﷺ كان يقول في خطبته: «**أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»[3] وفي رواية «**وكل محدثة بدعة، وكل بدعة في النار**»[4] وهذا الحديث يدل على أن صاحب البدعة في النار، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٩٩) ومسلم (٣٢٤٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) هذه الرواية في مسلم (٣٢٤٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٤٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: (صبحكم ومساكم). ويقول: (بعثت أنا والساعة كهاتين). ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى، ويقول: (أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة).

(٤) لعل الشاطبي رحمه الله يشير إلى الزيادة التي في النسائي (١٥٨٩) من حديث جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول في خطبته... الحديث، وفيه: (وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار).

وعن الحسن البصري أنه سئل، وقيل له: ما ترى في مجلسنا هذا؟ قوم من أهل السنة والجماعة لا يطعنون على أحد، نجتمع في بيت هذا يومًا، فنقرأ كتاب الله وندعو الله ربنا، ونصلي على النبي ﷺ، وندعو لأنفسنا ولعامة المسلمين؟ قال فنهى الحسن عن ذلك أشد النهي(١).

لأنه لم يكن من عمل الصحابة ولا التابعين، وكل ما لم يكن عليه عمل السلف الصالح فليس من الدين، فقد كانوا أحرص على الخير من هؤلاء، ولو كان فيه خير لفعلوه، وقد قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة ٣]، قال مالك بن أنس: **فما لم يكن يومئذ دينًا، لم يكن اليوم دينًا**(٢).

وإنما يعبد الله بما شرع، وهذا الاجتماع لم يكن مشروعًا قطّ، فلا يصح أن يعبد الله به، وأما الغناء والشطح فمذمومان على ألسنة السلف الصالح، فعن الضحاك: الغناء مفسدة للقلب مسخطة للربّ، وقال المحاسبي: الغناء حرام كالميتة.

وسئل مالك بن أنس عن الغناء الذي يفعل بالمدينة؟. فقال إنما يفعله عندنا الفسّاق، وهذا محمول على غناء النساء، وأما الرجال فغناؤهم مذموم أيضًا، بحيث إذا داوم أحد على فعله أو سماعه سقطت عدالته، لما فيه من إسقاط المروءة ومخالفة السلف.

حكى عياض عن التنيسي أنه قال: كنا عند مالك، وأصحابه حوله، فقال رجل من أهل نصيبين: يا أبا عبد الله عندنا قوم يقال لهم الصوفية،

---

(١) خرجه ابن وضاح القرطبي في البدع والنهي عنها (٢٩).

(٢) خرجه ابن حزم في الأحكام (٦/ ٢٢٥) من طريق عبد الملك بن حبيب أخبرني ابن الماجشون عن مالك رحمه الله به.

يأكلون كثيرًا، ثم يأخذون في القصائد، ثم يقومون فيرقصون؟ فقال مالك: أصبيان هم؟ قال: لا، قال: أمجانين هم؟ قال: لا، قوم مشايخ وغير ذلك عقلاء، فقال مالك: ما سمعت أحدًا من أهل الإسلام يفعل هذا إلا أن يكون مجنونًا أو صبيًّا، فهذا بين أنه ليس من شأن الإسلام.

ثم يقال: ولو فعلوه على جهة اللعب كما يفعله الصبيّ، لكان أخفّ عليهم مع ما فيه من إسقاط الحشمة وإذهاب المروءة، وترك هدي أهل الإسلام وأرباب العقول، لكنهم يفعلونه على جهة التقرب إلى الله والتعبد به، وأن فاعله أفضل من تاركه، هذا أدهى وأمرّ، حيث يعتقدون أن اللهو واللعب عبادة، وذلك من أعظم البدع المحرمات الموقعة في الضلالة، الموجبة للنار والعياذ بالله.

وأما ما ذكرتم من شأن الفقيهين الإمامين، فليسا بفقيهين إذا كانا يحضران شيئًا من ذلك، وحضورهما ذلك على الانتصاب إلى المشيخة قادح في عدالتهما، فلا يصلى خلف واحد منهما حتى يتوبا إلى الله من ذلك، ويظهر عليهما أثر التوبة، فإنه لا تجوز الصلاة خلف أهل البدع. نص عليه العلماء.

وعلى الجملة فواجب على من كان قادرًا على تغيير ذلك المنكر الفاحش القيام بتغييره، وإخماد نار الفتنة، فإن البدع في الدين هلاك، وهي في الدين أعظم من السم في الأبدان والله الواقي بفضله، والسلام على من يقف على هذا من كاتبه: إبراهيم الشاطبي[١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في الاعتصام:

وقد رأينا أن نختم الكلام في الباب بفصل جمع جملة من

(١) المعيار المعرب (١١/ ٣٩).

الاستدلالات المتقدمة وغيرها في معناها، وفيه من نكت هذا الكتاب جملة أخرى، فهو مما يحتاج إليه بحسب الوقت والحال، وإن كان فيه طول ولكنه يخدم ما نحن فيه إن شاء الله تعالى.

وذلك أنه وقع السؤال عن قوم يتسمون بالفقراء، يزعمون أنهم سلكوا طريق الصوفية، فيجتمعون في بعض الليالي ويأخذون في الذكر الجهوري على صوت واحد، ثم في الغناء والرقص إلى آخر الليل، ويحضر معهم بعض المتسمِّين بالفقهاء، يترسمون برسم الشيوخ الهداة إلى سلوك ذلك الطريق، هل هذا العمل صحيح في الشرع أم لا؟

فوقع الجواب بأن ذلك كله من البدع المحدثات، المخالفة طريقة رسول الله ﷺ، وطريقة أصحابه والتابعين لهم بإحسان، فنفع الله بذلك من شاء من خلقه.

ثم إن الجواب وصل إلى بعض البلدان، فقامت القيامة على العاملين بتلك البدع، وخافوا اندراس طريقتهم وانقطاع أكلهم بها، فأرادوا الانتصار لأنفسهم بعد أن راموا ذلك بالانتساب إلى شيوخ الصوفية الذين ثبتت فضيلتهم، واشتهرت في الانقطاع إلى الله والعمل بالسنَّة طريقتهم، فلم يستقرّ لهم الاستدلال لكونهم على ضد ما كان عليه القوم، فإنهم كانوا بنوا نحلتهم على ثلاثة أصول؛ الاقتداء بالنبي ﷺ في الأخلاق والأفعال، وأكل الحلال، وإخلاص النية في جميع الأعمال، وهؤلاء قد خالفوهم في هذه الأصول، فلا يمكنهم الدخول تحت ترجمتهم.

وكان من قدر الله أن بعض الناس سأل بعض شيوخ الوقت في مسألة تشبه هذه، لكن حسن ظاهرها بحيث يكاد باطنها يخفى على غير

المتأمل، فأجاب عفا الله عنه على مقتضى ظاهرها، من غير تعرض إلى ما هم عليه من البدع والضلالات.

ولما سمع بعضهم بهذا الجواب أرسل به إلى بلدة أخرى، فأتي به، فرحل إلى غير بلده، وشهر في شيعته أن بيده حجة لطريقتهم تقهر كل حجة، وأنه طالب للمناظرة فيها، فدعي لذلك فلم يقم فيه ولا قعد، غير أنه قال إن هذه حجتي، وألقى بالبطاقة التي بخط المجيب، وكان هو وأشياعه يطيرون بها فرحًا.

فوصلت المسألة إلى غرناطة وطلب من الجميع النظر فيها، فلم يسع أحدًا له قوة على النظر فيها إلا أن يظهر وجه الصواب فيها، الذي يدان الله به، لأنه من النصيحة التي هي الدين القويم والصراط المستقيم.

ونص خلاصة السؤال: ما يقول الشيخ فلان في جماعة من المسلمين يجتمعون في رباط على ضفة البحر، في الليالي الفاضلة، يقرؤون جزءًا من القرآن، ويستمعون من كتب الوعظ والرقائق ما أمكن في الوقت، ويذكرون الله بأنواع التهليل والتسبيح والتقديس، ثم يقوم من بينهم قوّال يذكر شيئًا في مدح النبي ﷺ، ويلقي من السماع ما تتوق النفس إليه، وتشتاق سماعه من صفات الصالحين، وذكر آلاء الله ونعمائه، ويشوقهم بذكر المنازل الحجازية والمعاهد النبوية، فيتواجدون اشتياقًا لذلك ثم يأكلون ما حضر من الطعام ويحمدون الله تعالى، ويرددون الصلاة على النبي ﷺ، ويبتهلون بالأدعية إلى الله في صلاح أمورهم، ويدعون للمسلمين ولإمامهم ويفترقون .

فهل يجوز اجتماعهم على ما ذكر أم يمنعون وينكر عليهم. ومن

دعاهم من المحبين إلى منزله بقصد التبرك هل يجيبون دعوته ويجتمعون على الوجه المذكور أم لا؟

فأجاب بما محصوله: مجالس تلاوة القرآن وذكر الله هي رياض الجنة.

ثم أتى بشواهد على طلب ذكر الله.

وأما الإنشادات الشعرية، فإنما الشعر كلام؛ حسنه حسن وقبيحه قبيح، وفي القرآن في شعراء الإسلام: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الشعراء ٢٢٧] وذلك أن حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعبًا لما سمعوا قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ الآيات، بكوا عند سماعها، فنزل الاستثناء[1]، وقد أنشد الشعر بين يدي

(١) قال الطبري كَلَلهُ (التفسير ١٩ /٦٧٨): وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وهذا استثناء من قوله ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾. وذكر أن هذا الاستثناء نزل في شعراء رسول الله ﷺ، كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ثم هو لكلّ من كان بالصفة التي وصفه الله بها، وبالذي قلنا في ذلك جاءت الأخبار. ثم أسند من طريق محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبد الله عن سالم البراد مولى تميم الداري، قال: لما نزلت: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ قال: جاء حسان ابن ثابت وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك إلى رسول الله ﷺ، وهم يبكون، فقالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء، فتلا النبيّ ﷺ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾. وإسناده ضعيف فيه ابن إسحاق، مدلس ولم يصرح بالتحديث.

وقال ابن كثير (التفسير ٦/ ٢٣٨): وهكذا قال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، وزيد بن أسلم، وغير واحد أن هذا استثناء مما تقدم. ولا شك أنه استثناء، ولكن هذه السورة مكية، فكيف يكون سبب نزول هذه الآية في شعراء الأنصار؟ =

رسول الله ﷺ، ورقت نفسه الكريمة وذرفت عيناه لأبيات أخت النضر، لما طبع عليه من الرأفة والرحمة.

وأما التواجد عند السماع، فهو في الأصل رقة النفس، واضطراب القلب، فيتأثر الظاهر بتأثر الباطن، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال ٢] أي اضطربت رغبًا ورهبًا، وعن اضطراب القلب يحصل اضطراب الجسم، قال الله تعالى: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ [الكهف ١٨] الآية، وقال: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات ٥٠] فإنما التواجد رقة نفسية وهزة قلبية ونهضة روحانية، وهذا هو التواجد عن وجد، ولا يسع فيه نكير من الشرع، وذكر السلمي أنه كان يستدل بهذه الآية على حركة الوجد في وقت السماع، وهي: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا﴾ [الكهف ١٤] الآية، وكان يقول: إن القلوب مربوطة بالملكوت، حركتها أنوار الأذكار وما يرد عليها من فنون السماع، ووراء هذا تواجد لا عن وجد، فهو مناط الذم لمخالفة ما ظهر لما بطن، وقد يغرب فيه الأمر عند القصد إلى استنهاض العزائم، وإعمال الحركة في يقظة القلب النائم، يا أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، ولكن شتان ما بينهما.

وأما من دعا طائفة إلى منزله فتجاب دعوته، وله في ذلك قصده ونيته، فهذا ما ظهر تقييده على مقتضى الظاهر والله يتولى السرائر، وإنما الأعمال بالنيات؛ انتهى ما قيده.

= في ذلك نظر، ولم يتقدم إلا مرسلات لا يعتمد عليها، والله أعلم، ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم، حتى يدخل فيه مَنْ كان متلبسًا من شعراء الجاهلية بذم الإسلام وأهله، ثم تاب وأناب، ورجع وأقلع، وعمل صالحًا، وذكر الله كثيرًا مقابلة ما تقدم من الكلام السيئ، فإن الحسنات يذهبن السيئات، وامتدح الإسلام وأهله في مقابلة ما كذب بذمه.

فكان مما ظهر لي في هذا الجواب، أن ما ذكره في مجالس الذكر صحيح، إذا كان على حسب ما اجتمع عليه السلف الصالح، فإنهم كانوا يجتمعون لتدارس القرآن فيما بينهم حتى يتعلم بعضهم من بعض، ويأخذ بعضهم من بعض، فهو مجلس من مجالس الذكر التي جاء في مثلها من حديث أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفت بهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**»[١] وهو الذي فهمه الصحابة ﵃ من الاجتماع على تلاوة كلام الله.

وكذلك الاجتماع على الذكر، فإنه اجتماع على ذكر الله، ففي رواية أخرى[٢] أنه قال: «**لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفَّتهم الملائكة**» الحديث المذكور، لا الاجتماع للذكر على صوت واحد[٣]، وإذا اجتمع القوم على

(١) خرجه الإمام مسلم (٢٦٩٩).

(٢) أيضًا في صحيح مسلم.

(٣) حكى ابن حبيب: أن أهل العلم يستحبون التكبير في العساكر والثغور والمرابطات دبر صلاة العشاء وصلاة الصبح تكبيرًا عاليًا ثلاث تكبيرات، ولم يزل ذلك من شأن الناس قديمًا، وسمعتهم يكرهون التطريب في ذلك، وأن يتقدمهم واحد بالتكبير أو التهليل، ثم يجيبه الآخرون بنحو كلامه جمًّا غفيرًا.

البيان والتحصيل (١/ ٣٠٦)، الحوادث والبدع للطرطوشي (ص ٦٦).

وقال ابن الحاج في المدخل: قد مضت السنة أن أهل الآفاق يكبرون دبر كل صلاة من الصلوات الخمس في أيام إقامة الحاج بمنى، فإذا سلم الإمام من صلاة الفرض في تلك الأيام كبر تكبيرًا يسمع نفسه ومن يليه، وكبر الحاضرون بتكبيره، كل واحد يكبر لنفسه لا يمشي على صوت غيره، على ما وصف من أنه يسمع نفسه ومن يليه.

فهذه هي السنة، وأما ما يفعله بعض الناس اليوم من أنه إذا سلم الإمام من صلاته كبر المؤذنون على صوت واحد، على ما يعلم من زعقاتهم، ويطولون فيه =

التذكر لنعم الله أو التذاكر في العلم، إن كانوا علماء أو كان فيهم عالم فجلس إليه متعلمون، أو اجتمعوا يذكر بعضهم بعضًا بالعمل بطاعة الله والبعد عن معصيته وما أشبه ذلك، مما كان يعمل به رسول الله ﷺ في أصحابه، وعمل به الصحابة والتابعون، فهذه المجالس كلها مجالس ذكر، وهي التي جاء فيها من الأجر ما جاء، كما يحكى عن ابن أبي ليلى أنه سئل عن القصص، فقال: أدركت أصحاب محمد ﷺ يجلسون ويحدث هذا بما سمع، وهذا بما سمع، فأما أن يجلسوا خطيبًا فلا[(١)].

وكالذي نراه معمولًا به في المساجد، من اجتماع الطلبة على معلم يقرئهم القرآن، أو علمًا من العلوم الشرعية، أو تجتمع إليه العامة فيعلمهم أمر دينهم، ويذكرهم بالله ويبين لهم سنة نبيهم ليعملوا بها، ويبين لهم المحدثات التي هي ضلالة ليحذروا منها، ويتجنبوا مواطنها والعمل بها.

فهذه مجالس الذكر على الحقيقة، وهي التي حرمها الله أهل البدع من هؤلاء الفقراء، الذين زعموا أنهم سلكوا طريق التصوف، وقل ما تجد منهم من يحسن قراءة الفاتحة في الصلاة إلا على اللحن، فضلًا عن غيرها، ولا يعرف كيف يتعبد ولا كيف يستنجي أو يتوضأ أو يغتسل من الجنابة.

= والناس يستمعون إليهم، ولا يكبرون في الغالب، وإن كبر أحد منهم فهو يمشي على أصواتهم، وذلك كله من البدع، وفيه إخرام حرمة المسجد، والتشويش على المصلين والتالين والذاكرين.

المدخل لابن الحاج (٢/ ٤٥١)، ونقله عنه الحطاب في مواهب (٢/ ١٩٨).

وسوف يأتي لهذا مبحث خاص في التكبير في أيام التشريق

(١) الأثر خرجه ابن وضاح القرطبي في البدع والنهي عنها (٤٠).

وكيف يعلمون ذلك وهم قد حرموا مجالس الذكر التي تغشاها الرحمة، وتنزل فيها السكينة، وتحف بها الملائكة، فبانطماس هذا النور عنهم ضلوا، فاقتدوا بجهال أمثالهم، وأخذوا يقرؤون الأحاديث النبوية والآيات القرآنية فينزلونها على آرائهم لا على ما قال أهل العلم فيها، فخرجوا عن الصراط المستقيم إلى أن يجتمعوا ويقرأ أحدهم شيئًا من القرآن يكون حسن الصوت طيب النغمة، جيد التلحين تشبه قراءته الغناء المذموم، ثم يقولون: تعالوا نذكر الله!! فيرفعون أصواتهم يمشون ذلك الذكر مداولةً، طائفة في جهة، وطائفة في جهة أخرى، على صوت واحد يشبه الغناء، ويزعمون أن هذا من مجالس الذكر المندوب إليها.

وكذبوا فإنه لو كان حقًّا لكان السلف الصالح أولى بإدراكه وفهمه والعمل به، وإلا فأين في الكتاب أو في السنة الاجتماع للذكر على صوت واحد جهرًا عاليًا، وقد قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف ٥٥] والمعتدون في التفسير هم الرافعون أصواتهم بالدعاء.

وعن أبي موسى قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي ﷺ: «**أربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا، وهو معكم**»(١).

وهذا الحديث من تمام تفسير الآية، ولم يكونوا رضي الله عنهم يكبرون على صوت واحد، ولكن نهاهم عن رفع الصوت ليكونوا ممتثلين للآية.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٠٥) ومسلم (٢٧٠٤).

وقد جاء عن السلف أيضًا النهي عن الاجتماع على الذكر والدعاء بالهيئة التي يجتمع عليها هؤلاء المبتدعون، وجاء عنهم النهى عن المساجد المتخذة لذلك وهي الربط التي يسمونها بالصفة، ذكر من ذلك ابن وهب وابن وضاح وغيرهما ما فيه كفاية لمن وفقه الله.

فالحاصل من هؤلاء أنهم حسنوا الظن بأنهم فيما هم عليه مصيبون، وأساءوا الظن بالسلف الصالح، أهل العمل الراجح الصريح وأهل الدين الصحيح.

ثم لما طالبهم لسان الحال بالحجة، أخذوا كلام المجيب ـ وهم لا يعلمون ـ وقوَّلوه ما لا يرضى به العلماء، وقد بين ذلك في كلام آخر إذ سئل عن ذكر فقراء زماننا؟

فأجاب: بأن مجالس الذكر المذكورة في الأحاديث أنها هي التي يتلى فيها القرآن، والتي يتعلم فيها العلم والدين، والتي تعمر بالعمل والتذكير بالآخرة والجنة والنار، كمجالس سفيان الثوري والحسن وابن سيرين وأضرابهم، أما مجالس الذكر اللساني فقد صرح بها في حديث الملائكة السياحين، لكن لم يذكر فيه جهرًا بالكلمات ولا رفع أصوات وكذلك غيره، لكن الأصل المشروع إعلان الفرائض وإخفاء النوافل، وأتى بالآية وبقوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝﴾ [مريم ٣]، وبحديث: «**أربعوا على أنفسكم**».

قال: وفقراء الوقت قد تخيروا فئات، وتميزوا بأصوات هي إلى الاعتداء أقرب منها إلى الاقتداء، وطريقتهم إلى اتخاذها مأكلة وصناعة أقرب منها إلى اعتدادها قربة وطاعة، انتهى معناه على اختصار أكثر الشواهد.

وهي دليل على أن فتواه المحتج بها ليس معناها ما رام هؤلاء المبتدعة، فإنه سئل في هذه عن فقراء الوقت فأجاب بذمهم، وأن حديث النبي ﷺ لا يتناول عملهم، وفي الأولى إنما سئل عن قوم يجتمعون لقراءة القرآن أو لذكر الله.

وهذا السؤال يصدق على قوم يجتمعون مثلًا في المسجد، فيذكرون الله كل واحد منهم في نفسه، أو يتلو القرآن لنفسه كما يصدق على مجالس المعلمين والمتعلمين، وما أشبه ذلك مما تقدم التنبيه عليه، فلا يسعه وغيره من العلماء إلا أن يذكر محاسن ذلك والثواب عليه، فلما سئل عن أهل البدع في الذكر والتلاوة بين ما ينبغي أن يعتمد عليه الموفق،ولا توفيق إلا بالله العليّ العظيم.

وأما ما ذكره في الإنشادات الشعرية؛ فجائز للإنسان أن ينشد الشعر الذي لا رفث فيه،ولا يذكر بمعصية وأن يسمعه من غيره إذا أنشد على الحد الذي كان ينشد بين يدي رسول الله ﷺ، أو عمل به الصحابة والتابعون ومن يقتدى به من العلماء،وذلك أنه كان ينشد ويسمع لفوائد،منها المنافحة عن رسول الله ﷺ وعن الإسلام وأهله، ولذلك كان حسان بن ثابت رضي الله عنه قد نصب له منبر في المسجد ينشد عليه إذا وفدت الوفود، حتى يقولوا خطيبه أخطب من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا، ويقول له ﷺ: «**اهجهم وجبريل معك**»[(١)]. وهذا من باب الجهاد في سبيل الله، ليس للفقراء من فضله في غنائهم بالشعر قليل ولا كثير.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢١٣) ومسلم (٢٤٨٦) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

ومنها: أنهم كانوا يتعرضون لحاجاتهم، ويستشفعون بتقديم الأبيات بين يدى طلباتهم، كما فعل ابن زهير ﵁، وأخت النضر بن الحارث مثل ما يفعل الشعراء مع الكبراء، هذا لا حرج فيه ما لم يكن في الشعر ذكر ما لا يجوز، ونظيره في سائر الأزمنة تقديم الشعر للخلفاء والملوك ومن أشبههم قطعًا من أشعارهم بين يدي حاجاتهم، كما يفعله أهل الوقت المجردون للسعاية على الناس، مع القدرة على الاكتساب، وفي الحديث: «**لا تصحُّ الصدقة لغنيٍّ ولا لذي مِرَّةٍ سَوِيٍّ**»[1] فإنهم ينشدون الأشعار التي فيها ذكر الله وذكر رسوله، وكثيرًا ما يكون فيها ما لا يجوز شرعًا، ويتمندلون بذكر الله ورسوله في الأسواق والمواضع القذرة، ويجعلون ذلك آلة لأخذ ما في أيدي الناس، لكن بأصوات مطربة يخاف بسببها على النساء ومن لا عقل له من الرجال.

ومنها: أنهم ربما أنشدوا الشعر في الأسفار الجهادية تنشيطًا لكلال النفوس، وتنبيهًا للرواحل أن تنهض في أثقالها، وهذا حسن لكن العرب لم يكن لها من تحسين النغمات ما يجري مجرى ما الناس عليه اليوم، بل كانوا ينشدون الشعر مطلقًا من غير أن يتعلموا هذه الترجيعات التي حدثت بعدهم، بل كانوا يرققون الصوت ويمططونه على وجه يليق بأُمِّيَّة العرب، الذين لم يعرفوا صنائع الموسيقى، فلم يكن فيه إلذاذ ولا إطراب يلهي، وإنما كان لهم شيء من النشاط كما كان الحبشة وعبد الله بن رواحة يحدوان بين يدي رسول الله ﷺ، وكما كان الأنصار يقولون عند حفر الخندق:

---

(١) خرجه أبو داود (١٦٣٦) والترمذي (٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو ﵄، قال الترمذي: حديث عبد الله بن عمرو حديث حسن.

نحن الذين بايعوا محمدًا   على الجهاد ما حيينا أبدًا

فيجيبهم ﷺ بقوله:

اللَّهمَّ لا خير إلا خير الآخرة   فاغفر للأنصار والمهاجرة

ومنها: أن يتمثل الرجل بالبيت أو الأبيات من الحكمة في نفسه، ليعظ نفسه أو ينشطها أو يحركها لمقتضى معنى الشعر،أو يذكرها ذكرًا مطلقًا كما حكى أبو الحسن القرافي الصوفي، عن الحسن: أن قومًا أتوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا: يا أمير المؤمنين؛ إن لنا إمامًا إذا فرغ من صلاته تغنى، فقال عمر: **من هو؟** فذكر الرجل، فقال: **قوموا بنا إليه، فإنا إن وجهنا إليه يظن أنا تجسسنا عليه أمره**، قال: فقام عمر مع جماعة من أصحاب النبي ﷺ، حتى أتوا الرجل وهو في المسجد، فلما أن نظر إلى عمر قام فاستقبله، فقال: يا أمير المؤمنين؛ ما حاجتك وما جاء بك؟ إن كانت الحاجة لنا كنا أحق بذلك منك أن نأتيك؟ وإن كانت الحاجة لك فأحق من عظمناه خليفة رسول الله ﷺ؟ قال له عمر: **ويحك! بلغني عنك أمر ساءني**. قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: **أتتمجن في عبادتك؟!** قال: لا يا أمير المؤمنين لكنها عظة أعظ بها نفسي. قال عمر: قلها فإن كان كلامًا حسنًا قلته معك وإن كان قبيحًا نهيتك عنه، فقال:

وفؤاد كلما عاتبته عاد   في مدى الهجران يبغي تعبى

لا أراه الدهر إلا لاهيًا   في تماديه فقد برَّح بي

يا قرين السوء ما هذا الصبا   فني العمر كذا في اللعب

وشباب بان عني فمضى   قبل أن أقضي منه أربي

ما أرجي بعده إلا الفنا   ضيَّق الشيبُ على مطَّلبي

ويح نفسي لا أراها أبدًا في جميل لا ولا في أدب
نفس لا كنت ولا كان الهوى راقبي المولى وخافي وارهبي

قال فقال عمر رضي الله تعالى عنه:

نفس لا كنت ولا كان الهوى راقبي المولى وخافي وارهبي

ثم قال عمر: على هذا فليغن من غنى[١].

فتأملوا قوله (بلغني عنك أمر ساءني)، مع قوله (أتتمجن في عبادتك)، فهو من أشد ما يكون في الإنكار، حتى أعلمه أنه يردد على لسانه أبيات حكمة فيها موعظة، فحينئذ أقرَّه وسلم له.

هذا وما أشبهه كان فعل القوم، وهم مع ذلك لم يقتصروا في التنشيط للنفوس، ولا الوعظ على مجرد الشعر، بل وعظوا أنفسهم بكل موعظة، ولا كانوا يستحضرون لذكر الأشعار المغنين، إذ لم يكن ذلك من طلباتهم، ولا كان عندهم من الغناء المستعمل في أزماننا شيء، وإنما دخل في الإسلام بعدهم حين خالط العجم المسلمين.

وقد بين ذلك أبو الحسن القرافي فقال: إن الماضين من الصدر الأول حجة على من بعدهم، ولم يكونوا يلحنون الأشعار ولا ينغمونها بأحسن ما يكون من النغم، إلا من وجه إرسال الشعر واتصال القوافي، فإن كان صوت أحدهم أشجى من صاحبه كان ذلك مردودا إلى أصل الخلقة، لا يتصنعون ولا يتكلفون. هذا ما قال.

---

(١) إسناده ضعيف، الحسن البصري رحمه الله لم يسمع من عمر رضي الله عنه، وعلامة الوضع عليه ظاهرة.

فلذلك نص العلماء على كراهية ذلك المحدث، وحتى **سئل مالك بن أنس** ﷺ عن الغناء الذي يستعمله أهل المدينة؟ **فقال**: إنما يفعله الفسّاق.

ولا كان المتقدمون أيضًا يعدون الغناء جزءًا من أجزاء طريقة التعبد، وطلب رقة النفوس وخشوع القلوب، حتى يقصدونه قصدا ويتعمدون الليالي الفاضلة فيجتمعون لأجل الذكر الجهري، والشطح والرقص والتغاشي والصياح، وضرب الأقدام على وزن إيقاع الكفّ أو الآلات وموافقة النغمات.

هل في كلام النبي ﷺ وعمله المنقول في الصحاح أو عمل السلف الصالح أو أحد من العلماء من ذلك أثر، أو في كلام المجيب ما يصرح بجواز مثل هذا؟!

بل سئل عن إنشاد الأشعار بالصوامع كما يفعله المؤذنون اليوم في الدعاء بالأسحار؟ فأجاب بأن ذلك بدعة مضافة إلى بدعة، لأن الدعاء بالصوامع بدعة، وإنشاد الشعر والقصائد بدعة أخرى، إذ لم يكن ذلك في زمن السلف المقتدى بهم.

كما أنه سئل عن الذكر الجهري أمام الجنازة؟

فأجاب: بأن السنة في اتباع الجنائز الصمت والتفكير والاعتبار، وأن ذلك فعل السلف واتباعهم سنة، ومخالفتهم بدعة، وقد قال مالك: لن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها.

وأما ما ذكره المجيب في التواجد عند السماع من أنه أثر رقة النفس واضطراب القلب، فإنه لم يبين ذلك الأثر ما هو، كما أنه لم يبين معنى الرقة ولا عرَّج عليها بتفسير يرشد إلى فهم التواجد عند الصوفية،

وإنما في كلامه أن ثم أثرًا ظاهرًا يظهرعلى جسم المتواجد، وذلك الأثر يحتاج إلى تفسير، ثم التواجد يحتاج إلى شرح بحسب ما يظهر من كلامه فيه.

والذي يظهر في التواجد ما كان يبدو على جملة من أصحاب رسول الله ﷺ، وهو البكاء واقشعرار الجلد التابع للخوف الآخذ بمجامع القلوب، وبذلك وصف الله عباده في كلامه حيث قال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر ٢٣] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة ٨٣] وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال ٢] إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال ٣] وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: «**انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل**»[1]، يعنى من البكاء، والأزيز صوت يشبه صوت غليان القدر.

وعن الحسن قال: قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾ [الطور ٧ - ٨] فربى لها ربوة عيد منها عشرين يومًا[2].

وعن عبيد الله بن عمر قال: صلى بنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة الفجر، فافتتح سورة يوسف فقرأها، حتى إذا بلغ: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ

(١) أخرجه أبو داود (٩٠٤) والنسائي (١٢٢٢).

(٢) خرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص ١٣٦)، وابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٩٩) وأورده ابن كثير في تفسير سورة الطور، وابن عساكر في التاريخ (٤٤/ ٣٠٩) من طرق عن عمر رضي الله عنه

ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف ٨٤] بكى حتى انقطع، وفي رواية: لما انتهى إلى قوله: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف ٨٦] بكى حتى سمع نشيجه من وراء الصفوف(١).

وعن أبي صالح قال: لما قدم أهل اليمن في زمان أبي بكر رضي الله عنه سمعوا القرآن، فجعلوا يبكون، فقال أبو بكر: هكذا كنّا حتى قست قلوبنا(٢).

وعن ابن أبي ليلى أنه قرأ سورة مريم، حتى انتهى إلى السجدة: ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم ٥٨] فسجد بها فلما رفع رأسه قال: هذه السجدة قد سجدناها، فأين البكاء(٣)؟

إلى غير ذلك من الآثار الدالَّة على أن أثر الموعظة الذي يكون بغير تصنع، إنما هو على هذه الوجوه وما أشبهها.

ومثله ما استدل به بعض الناس من قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف ١٤] ذكره بعض المفسرين، وذلك أنه لما ألقى الله الإيمان في قلوبهم حضروا عند ملكهم دقيانوس الكافر، فتحركت فأرة أو هرة خاف لأجلها الملك، فنظر الفتية بعضهم إلى بعض ولم يتمالكوا أن قاموا مصرحين بالتوحيد، معلنين بالدليل

(١) خرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٢٩٧) وعبد الرزاق (٢٧٣٠)، وأبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص ١٣٧) وابن المنذر في الأوسط (٣/ ٢٥٦) والبيهقي في السنن (٤/ ٦٨) وفي شعب الإيمان (٣/ ٧٦) وصحح إسناده الألباني في الإرواء

(٢) خرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص ١٣٥) من طريق أبي صالح به، ولا يصح سماع وإدراك أبي صالح زمان أبي بكر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص ١٤٠).

والبرهان، منكرين على الملك نحلة الكفر، باذلين أنفسهم في ذات الله، فأوعدهم ثم أخلفهم فتواعدوا الخروج إلى الغار، إلى أن كان منهم ما حكى الله تعالى في كتابه، فليس في ذلك صعق ولا صياح ولا شطح، ولا تغاش مستعمل ولا شيء من ذلك، وهو شأن فقرائنا اليوم.

وخرّج سعيد بن منصور في تفسيره عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال: قلت لجدتي أسماء: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا قرؤوا القرآن؟ قالت: **كانوا كما نعتهم الله تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم.**

قلت: إن ناسًا هاهنا إذا سمعوا ذلك تأخذهم عليه غشية.

فقالت: **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**(١).

وخرَّج أبو عبيد من أحاديث أبي حازم، قال: مرَّ ابن عمر برجل من أهل العراق ساقط والناس حوله، فقال: **ما هذا؟** فقالوا: إذا قرىء عليه القرآن أو سمع الله يذكر خرَّ من خشية الله، قال ابن عمر: **والله إنا لنخشى الله ولا نسقط**(٢)، وهذا إنكار.

وقيل لعائشة ﵂: إن قومًا إذا سمعوا القرآن يغشى عليهم؟

فقالت: **إن القرآن أكرم من أن تنزف عنه عقول الرجال، ولكنه كما قال الله تعالى**: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر ٢٣](٣).

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في التفسير (٩٥) والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه (٢٠٦٢)، والبغوي في التفسير، تفسير سورة الزمر، وإسناده صحيح.

(٢) خرجه الإمام أحمد في الزهد (ص ٣٣٠)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (ص ٢١٤) والبغوي في التفسير، تفسير سورة الزمر، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣١٠).

(٣) خرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص ٢١٤).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه سئل عن القوم يقرأ عليهم القرآن فيصعقون؟ فقال: **ذلك فعل الخوارج**(١).

وخرج أبو نعيم عن عامر بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: جئت أبي، فقال: أين كنت؟ فقلت: وجدت أقوامًا يذكرون الله فيرعد أحدهم حتى يغشى عليه من خشية الله فقعدت معهم؟ فقال: لا تقعد بعدها، فرآني كأنه لم يأخذ ذلك فيَّ، فقال: **رأيت رسول الله ﷺ يتلو القرآن، ورأيت أبا بكر وعمر يتلوان القرآن، فلا يصيبهم هذا، أفتراهم أخشع لله من أبي بكر وعمر؟! فرأيت ذلك كذلك فتركتهم**(٢).

وهذا يشعر بأن ذلك كله تعمُّل وتكلُّف لا يرضى به أهل الدين.

وسئل محمد بن سيرين عن الرجل، يقرأ عنده فيصعق؟ **فقال**: ميعاد ما بيننا وبينه أن يجلس على حائط، ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره، فإن وقع فهو كما قال(٣).

وهذا الكلام حسن في المحقّ والمبطل، لأنه إنما كان عند الخوارج نوعًا من القحَّة في النفوس المائلة عن الصواب، وقد تغالط النفس فيه فتظنه انفعالًا صحيحًا وليس كذلك، والدليل عليه أنه لم يظهر على أحد من الصحابة لا هو ولا ما يشبهه، فإن مبناهم كان على الحق،

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص ٢١٥).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٤٠)، والطبراني في الكبير (قطعة من الجزء ١٣)، قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٢٠): وفيه عبد الله بن مصعب بن ثابت، وهو ضعيف.

(٣) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن ص (٢١٥) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٠٨).

فلم يكونوا يستعملون في دين الله هذه اللعب القبيحة، المسقطة للأدب والمروءة.

نعم قد لا ينكر اتفاق الغشي ونحوه أو الموت لمن سمع الموعظة بحق، فضعف عن مصابرة الرقة الحاصلة بسببها، فجعل ابن سيرين ذلك الضابط ميزانًا للمحقّ والمبطل، وهو ظاهر فإن القحَّة لا تبقى مع خوف السقوط من الحائط، فقد اتفق من ذلك بعض النوادر، وظهر فيها عذر التواجد، فحكي عن أبي وائل قال: خرجنا مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ومعنا الربيع بن خثيم، فمررنا على حداد، فقام عبد الله ينظر إلى حديدة في النار، فنظر الربيع إليها فتمايل ليسقط، ثم إن عبد الله مضى كما هو، حتى أتينا على شاطئ الفرات على أتون، فلما رآه عبد الله والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الآية: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان ١٢] إلى قوله: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان ١٣] فصعق الربيع ثم غشي عليه، فاحتملناه فأتينا به أهله، قال: ورابطه عبدالله إلى الظهر، فلم يفق، فرابطه إلى المغرب فأفاق ورجع عبد الله إلى أهله(١).

---

(١) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن (١٣٨) وابن أبي حاتم في التفسير (١٥٠٠١) وابن أبي عاصم في الزهد (٣٣٢) وعبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد الزهد (ص ١٣٣) والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٣٨٢) والبلاذري في أنساب الأشراف (٤/ ٤٣) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٥٣) والمزي في تهذيب الكمال (٩/ ٧٥) من طريق عيسى بن سليم عن أبي وائل به، وهذا إسناد ضعيف لجهالة عيسى بن سليم، وقد أنكره سفيان الثوري كما عند العقيلي، فقد قيل له إنهم يروون عن ربيع بن خثيم أنه صعق؟ فقال: ومن يروي هذا!؟ إنما كان يرويه ذلك القاص، فلقيته فقلت عمن تروي ذا!! منكرًا له.

قال ابن الجوزي في تلبيس إبليس: وأما حكاية الربيع فإن راويها عيسى بن =

فهذه حالات طرأت لواحد من أفاضل التابعين بمحضر صحابيّ، ولم ينكر عليه لعلمه أن ذلك خارج عن طاقته، فصار بتلك الموعظة الحسنة كالمغمى عليه، فلا حرج إذًا.

وحكي أن شابًا كان يصحب الجنيد رضي الله عنه ـ وهو إمام الصوفية إذ ذاك ـ فكان الشاب إذا سمع شيئًا من الذكر يزعق، فقال له الجنيد يومًا: إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني، فكان إذا سمع شيئًا يتغير ويضبط نفسه حتى كان يقطر العرق منه بكل شعرة من بدنه قطرة، فيومًا من الأيام صاح صيحة تلفت نفسه.

فهذا الشاب قد ظهر فيه مصداق ما قاله السلف، لأنه لو كانت صيحته الأولى غلبته لم يقدر على ضبط نفسه وإن كان بشدة، كما لم يقدر على ضبط نفسه الربيع بن خثيم، وعليه أدبه الشيخ حين أنكر عليه، ووعده بالفرقة إذ فهم منه أن تلك الزعقة من بقايا رعونة النفس، فلما خرج الأمر عن كسبه ـ بدليل موته ـ كانت صيحته عفوًا لا حرج عليه فيها إن شاء الله.

بخلاف هؤلاء القوم الذين لم يشمّوا من أوصاف الفضلاء رائحة، فأخذوا بالتشبه بهم، فأبرز لهم هواهم التشبه بالخوارج ويا ليتهم وقفوا

= سليم، وفيه مغمز... ثم ذكر أثر سفيان الثوري، ثم قال: فهذا سفيان الثوري ينكر أن يكون الربيع جرى له هذا، لأن الرجل كان على السمت الأول، وما كان في الصحابة من يجري له مثل هذا، ولا في التابعين، ثم نقول ـ على تقدير الصحة ـ: إن الإنسان قد يغشى عليه من الخوف، فيسكنه الخوف ويسكته، فيبقى كالميت، وعلامة الصادق أنه لو كان على حائط لوقع، لأنه غائب، فأما من يدعي الوجد، ويتحفظ من أن تزل قدمه، ثم يتعدى إلى تخريق الثياب، وفعل المنكرات في الشرع، فإنا نعلم قطعًا أن الشيطان يلعب به (نقله عن ابن الجوزي الشيخ مشهور حسن سلمان، محقق كتاب الاعتصام للشاطبي ٢/ ١١٢).

عند هذا الحد المذموم، ولكن زادوا على ذلك الرقص والزمر والدوران والضرب على الصدور، وبعضهم يضرب على رأسه وما أشبه ذلك من العمل المضحك للحمقى، لكونه من أعمال الصبيان والمجانين، المبكي للعقلاء رحمة لمن يتخذ مثل هذا طريقًا إلى الله وتشبهًا بالصالحين.

وقد صحَّ من حديث العرباض بن سارية ﵁ قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب» الحديث(١).

فقال الإمام الآجري العالم السنيّ أبو بكر ﵁: ميزوا هذا الكلام فإنه لم يقل صرخنا من موعظة، ولا طرقنا على رؤوسنا، ولا ضربنا على صدورنا، ولا زفنّا ولا رقصنا، كما يفعل كثير من الجهال يصرخون عند المواعظ ويزعقون ويتغاشون.

قال: وهذا كله من الشيطان يلعب بهم، وهذا كله بدعة وضلالة، ويقال لمن فعل هذا: اعلم أن النبي ﷺ أصدق الناس موعظة، وأنصح الناس لأمته، وأرق الناس قلبًا، وخير الناس من جاء بعده، لا يشك في ذلك عاقل، ما صرخوا عند موعظته، ولا زعقوا ولا رقصوا ولا زفنوا، ولو كان هذا صحيحًا لكانوا أحق الناس به أن يفعلوه بين يدي رسول الله ﷺ، ولكنه بدعة وباطل ومنكر فاعلم ذلك انتهى كلامه.

وهو واضح فيما نحن فيه، ولا بد من النظر في الأمر كله الموجب للتأثر الظاهر في السلف الأولين مع هؤلاء المدعين، فوجدنا

---

(١) خرجه الترمذي في السنن (٢٨٩١) وابن ماجة (٤٤) من حديث العرباض بن سارية ﵁.

الأولين يظهر عليهم ذلك الأثر بسبب ذكر الله، أو بسماع آية من كتاب الله، وبسبب رؤية اعتبارية،كما في قصة الربيع عند رؤيته للحداد والأتون وهو موقد النار، ولسبب قراءة في صلاة أو غيرها، ولم نجد أحدًا منهم فيما نقل العلماء يستعملون الترنم بالأشعار لترقَّ نفوسهم، فتتأثر ظواهرهم.

وطائفة الفقراء على الضدّ منهم، فإنهم يستعملون القرآن والحديث والوعظ والتذكير فلا تتأثر ظواهرهم، فإذا قام المزمر تسابقوا إلى حركاتهم المعروفة لهم، فبالحري أن لا يتأثروا على تلك الوجوه المكروهة المبتدعة، لأن الحق لا ينتج إلا حقًّا، كما أن الباطل لا ينتج إلا باطلًا.

وعلى هذا التقرير ينبني النظر في حقيقة الرقة المذكورة، وهي المحركة للظاهر، وذلك أن الرقة ضد الغلظ، فنقول: هذا رقيق ليس بغليظ، ومكان رقيق إذا كان ليِّن التراب، وضده الغليظ، فإذا وصف بذلك فهو راجع إلى لينه وتأثره، ضد القسوة.

ويشعر بذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر ٢٣] لأن القلب الرقيق إذا أوردت عليه الموعظة خضع لها ولان وانقاد، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال ٢] فإن الوجل تأثر ولين يحصل في القلب بسبب الموعظة، فترى الجلد من أجل ذلك يقشعر، والعين تدمع،واللين إذا حلّ بالقلب ـ وهو باطن الإنسان ـ حل بالجلد بشهادة الله وهو ظاهر الإنسان، فقد حل الانفعال بمجموع الإنسان، وذلك يقتضي السكون لا الحركة والانزعاج، والسكون لا الصياح، وهي حالة السلف الأولين كما

تقدم، فإذا رأيت أحدًا سمع موعظة أي موعظة كانت فيظهر عليه من الأثر ما ظهر على السلف الصالح، علمت أنها رقة هي أول الوجد وأنها صحيحة لا اعتراض فيها.

وإذا رأيت أحدًا سمع موعظة قرآنية أو سنية أو حكمية ولم يظهر عليه من تلك الآثار شيء، حتى يسمع شعرًا مرقمًا أو غناء مطربًا فتأثر فإنه لا يظهر عليه في الغالب من تلك الآثار شيء، وإنما يظهر عليه انزعاج بقيام أو دوران أو شطح أو صياح أو ما يناسب ذلك، وسببه أن الذي حل بباطنه ليس بالرقة المذكورة أولًا، بل هو الطرب الذي يناسب الغناء، لأن الرقة ضد القسوة ـ كما تقدم ـ والطرب ضد الخشوع ـ كما يقوله الصوفية، والطرب مناسب للحركة لأنه ثوران الطباع، ولذلك اشترك فيه مع الإنسان الحيوان كالإبل والنحل ومن لا عقل له من الأطفال وغير ذلك، والخشوع ضده لأنه راجع إلى السكون، وقد فسر به لغة كما فسر الطرب بأنه خفة تصحب الإنسان من حزن أو سرور، قال الشاعر:

طـرب الـوالـه أو كـالـمـخـتـبـل

والتطريب مدُّ الصوت وتحسينه، وبيانه أن الشعر المغنَّى به قد اشتمل على أمرين:

أحدهما: ما فيه من الحكمة والموعظة وهذا مختص بالقلوب، ففيها تعمل وبها تنفعل، ومن هذه الجهة ينسب السماع إلى الأرواح.

والثاني: ما فيه من النغمات المرتبة على النسب التلحينية، وهو المؤثر في الطبائع فيهيجها إلى ما يناسبها، وهي الحركات على اختلافها.

فكل تأثر في القلب ـ من جهة السماع ـ تحصل عنه آثار السكون

والخضوع فهو رقة، وهو التواجد الذي أشار إليه كلام المجيب، ولا شك أنه محمود.

وكل تأثر يحصل عنه ضد السكون، فهو طرب لا رقة فيه ولا تواجد، ولا هو عند شيوخ الصوفية محمود، لكن هؤلاء الفقراء ليس لهم من التواجد ـ في الغالب ـ إلا الثاني المذموم، فهم إذًا متواجدون بالنغم واللحون، لا يدركون من معاني الحكمة شيئًا، فقد باؤوا إذاً بأخسر الصفقتين، نعوذ بالله!.

وإنما جاءهم الغلط من جهة اختلاط المناطين عليهم، ومن جهة أنهم استدلوا بغير دليل، فقوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [الذاريات ٥٠] وقوله: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ [الكهف ١٨] لا دليل فيه على هذا المعنى، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا﴾ [الكهف ١٤] أين فيه أنهم قاموا يرقصون أو يزفنون أو يدورون على أقدامهم؟ ونحو ذلك، فهو من الاستدلال الداخل تحت هذا الجواب.

ووقع في كلام المجيب لفظ السماع غير مفسر، ففهم منه المحتج أنه الغناء الذي تستعمله شيعته، وهو فهم عموم الناس لا فهم الصوفية، فإنه عندهم يطلق على كل صوت أفاد حكمة يخضع لها القلب ويلين لها الجلد، وهو الذي يتواجدون عنده التواجد المحمود، فسماع القرآن عندهم سماع، وكذلك سماع السنة وكلام الحكماء والفضلاء، حتى أصوات الطير وخرير الماء وصرير الباب.

ومنه سماع المنظوم أيضًا إذا أعطى حكمة، ولا يستمعون هذا الأخير إلا في الفرط بعد الفرط، وعلى غير استعداد وعلى غير وجه

الالتذاذ والإطراب، ولا هم ممن يداوم عليه أو يتخذه عادة، لأن ذلك كله قادح في مقاصدهم التي بنوا عليها.

قال الجنيد: إذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة .

وإنما لهم من سماعه إذا اتفق وجه الحكمة إن كان فيه حكمة، فاستوى عندهم النظم والنثر، وإن أطلق أحد منهم السماع فمن حيث فهم الحكمة لا من حيث يلائم الطباع، لأن من سمعه من حيث يستحسنه فهو متعرض للفتنة، فيصير إلى ما صار إليه السماع الملذّ المطرب.

ومن الدليل على أن السماع عندهم ما تقدم، ما ذكر عن أبي عثمان المغربي أنه قال: من ادَّعى السماع ولم يسمع صوت الطير وصرير الباب وتصفيق الرياح فهو مفترٍ مبتدع.

وقال الحصري: إيش اعمل بسماع ينقطع ممن يسمع منه، وينبغي أن يكون سماعك سماعًا متصلًا غير منقطع.

وعن أحمد بن سالم: قال خدمت سهل بن عبد الله التسترى سنين فما رأيته تغير عند سماع شيء يسمعه، من الذكر أو القرآن أو غيره، فلما كان في آخر عمره قرئ بين يديه ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ [الحديد ١٥] تغيَّر وارتعد وكاد يسقط، فلما رجع إلى حال صحوه سألته عن ذلك؟ فقال يا حبيبي ضعفنا.

وقال السلمي: دخلت على أبي عثمان المغربي وواحد يستقي الماء من البئر على بكرة، فقال لي: يا أبا عبد الرحمن تدري إيش تقول هذه البكرة؟ فقلت: لا، فقال تقول: الله.

فهذه الحكايات وأشباهها تدل على أن السماع عندهم كما تقدم، وأنهم لا يؤثرون سماع الأشعار على غيرها، فضلًا على أن يتصنعوا فيها بالأغاني المطربة، ولما طال الزمان وبعدوا عن أحوال السلف الصالح أخذ الهوى في التفريع في السماع، حتى صار يستعمل منه المصنوع على قانون الألحان، فتعشقت به الطباع وكثر العمل به ودام، وإن كان قصدهم به الراحة فقط فصار قذًى في طريق سلوكهم، فرجعوا به القهقرى، ثم طال الأمد حتى اعتقده الجهال في هذا الزمان وما قاربه أنه قربة وجزء من أجزاء طريقة التصوف، وهو الأدهى.

وقول المجيب: وأما من دعا طائفة إلى منزله فتجاب دعوته وله في دعوته قصده.

مطابق حسب ما ذكر أولًا، بأن من دعا قومًا إلى منزله لتعلم آية أو سورة من كتاب الله أو سنة من سنن رسول الله ﷺ، أو مذاكرة في علم أو في نعم الله أو مؤانسة في شعر فيه حكمة ليس فيه غناء مكروه، ولا صحبه شطح ولا زفن ولا صياح وغير ذلك من المنكرات، ثم ألقى إليهم شيئًا من الطعام على غير وجه التكلف والمباهاة، ولم يقصد بذلك بدعة ولا امتيازًا لفرقة تخرج بأفعالها وأقوالها عن السنة، فلا شك في استحسان ذلك لأنه داخل في حكم المأدبة المقصود بها حسن العشرة بين الجيران والإخوان، والتودد بين الأصحاب، وهي في حكم الاستحباب، فإن كان فيها تذاكر في علم أو نحوه فهي من باب التعاون على الخير.

ومثاله ما يحكى عن محمد بن حنيف قال: دخلت يومًا على القاضي علي بن أحمد، فقال لي: يا أبا عبد الله! قلت: لبيك أيها

القاضي، قال، هاهنا أحكي لكم حكاية تحتاج أن تكتبها بماء الذهب، فقلت أيها القاضي: أما الذهب فلا أجده ولكني أكتبها بالحبر الجيد، فقال: بلغني أنه قيل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: إن الحارث المحاسبي[١] يتكلم في علوم الصوفية ويحتج عليه بالآي، فقال أحمد: أحبُّ أن اسمع كلامه من حيث لا يعلم.

---

(١) الحارث بن أسد المحاربي أبو عبد الله الصوفي الزاهد، له كتب كثيرة في الزهد وأصول الديانة والرد على المعتزلة والرافضة، قال أبو سعيد بن الأعرابي: في طبقات النساك: كان الحارث قد كتب الحديث وتفقّه، وعرف مذاهب النساك وآثارهم وأخبارهم، وكان من العلم بموضع، لولا أنه تكلم في مسألة اللفظ ومسألة الإيمان، وقال أبو القاسم النصرآباذي: بلغني أن الحارث تكلم في شيء من الكلام، فهجره أحمد بن حنبل، فاختفى في دار ببغداد، ومات فيها، ولم يصلِّ عليه إلا أربعة نفر، وقال أحمد بن أبي خالد: إن هذا الشيخ ـ لشيخ قد حضر معنا ـ هو جاري، وقد نهيته عن رجل، ويحب أن يسمع قولك فيه، حارث القصير، يعني حارثًا المحاسبي، كنت رأيتني معه منذ سنين كثيرة، فقلت لي لا تجالسه، ولا تكلمه، فلم أكلمه حتى الساعة، وهذا الشيخ يجالسه، فما تقول فيه؟ فرأيت أحمد قد احمرَّ لونه وانتفخت أوداجه وعيناه، وما رأيته هكذا قط، ثم جعل ينتفض ويقول: ذاك فعل الله به وفعل، ليس يعرف ذاك إلا من خبره وعرفه، ذاك جالسه المغازلي ويعقوب وفلان فأخرجهم إلى رأي جهم، هلكوا بسببه، فقال له الشيخ: يا أبا عبد الله! يروي الحديث ساكن خاشع، من قصته، ومن قصته؟! فغضب أبو عبد الله وجعل يقول: لا يغرك خشوعه ولينه ويقول: لا تغترّ بتنكيس رأسه، فإنه رجل سوء، ذاك لا يعرفه إلا من قد خبره لا تكلمه ولا كرامة له، كل من حدث بأحاديث رسول الله ﷺ وكان مبتدعًا تجلس إليه!! لا ولا كرامة ولا نعمى عين، وجعل يقول ذاك ذاك، قال سعيد بن عمرو البردعي: شهدت أبا زرعة الرازي وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه، فقال إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر، فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب، قيل له: في هذه الكتب عبرة؟ قال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن مالكًا والثوري والأوزاعي صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس =

فقال: أنا أجمعك معه، فاتخذ دعوة ودعا الحارث وأصحابه ودعا أحمد، فجلس بحيث يرى الحارث، فحضرت الصلاة فتقدم وصلى بهم المغرب، وأحضر الطعام، فجعل يأكل ويتحدث معهم، فقال: أحمد هذا من السنة.

فلما فرغوا من الطعام وغسلوا أيديهم جلس الحارث وجلس أصحابه، فقال: من أراد منكم أن يسأل شيئًا فليسأل، فسئل عن الإخلاص وعن الرياء ومسائل كثيرة، فاستشهد بالآي والحديث، وأحمد يسمع لا ينكر شيئًا من ذلك، فلما هدأ من الليل أمر الحارث قارئًا يقرأ شيئًا من القرآن على الحدو، فقرأ فبكى بعضهم وانتحب آخرون، ثم سكت القارئ، فدعا الحارث بدعوات خفاف ثم قام إلى الصلاة، فلما أصبحوا قال أحمد: قد كان بلغني أن ها هنا مجالس للذكر يجتمعون عليها، فإن كان هذا من تلك المجالس فلا أنكر منها شيئًا[1].

= وهذه الأشياء؟! هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم، يأتونا مرة بالحارث المحاسبي، ومرة بعبد الرحيم الديبلي، ومرة بحاتم الأصم، ومرة بشقيق، ما أسرع الناس للبدع. ومات سنة (٢٤٣ هـ).

تاريخ الإسلام للذهبي (وفيات ٢٤١ ـ ٢٥٠) (ص ٢٠٥)، تاريخ بغداد (٨/ ٢١١)، طبقات الشافعية (٢/ ٣٧).

(١) لعل هذه الحادثة وهم من الشاطبي ﷺ، ولعله لم يحقق البحث فيها، وهي ليست كما رواها، بل تختلف معنى ومبنى، فقد رواها الخطيب في تاريخ بغداد (٨ / ٢١٤)، وأوردها الذهبي في تاريخ الإسلام (وفيات ٢٤١ ـ ٢٥٠) ص ٢٠٥، وابن كثير في البداية والنهاية (١٠/ ٣٦٣)، والسبكي في طبقات الشافعية (٢/ ٣٩)، وهذا سياقها: قال إسماعيل بن إسحاق السراج: قال لي أحمد بن حنبل يومًا: يبلغني أن الحارث هذا ـ يعني المحاسبي ـ يكثر الكون عندك فلو أحضرته منزلك وأجلستني من حيث لا يراني فأسمع كلامه؟ فقلت: السمع والطاعة لك يا أبا عبد الله، وسرني هذا الابتداء من أبي عبد الله، فقصدت الحارث وسألته أن =

ففي هذه الحكاية أن أحوال الصوفية توزن بميزان الشرع، وأن مجالس الذكر ليست ما زعم هؤلاء، بل ما تقدم لنا ذكره، وأما ما سوى ذلك مما اعتادوه فهو مما ينكر.

والحارث المحاسبي من كبار الصوفية المقتدى بهم، فإذًا ليس في كلام المجيب مايتعلق به هؤلاء المتأخرون إذ باينوا المتقدمين من كل

= يحضرنا تلك الليلة، فقلت: وتسأل أصحابك أن يحضروا معك؟ فقال: يا إسماعيل فيهم كثرة فلا تزدهم على الكسب والتمر وأكثر منهما ما استطعت، ففعلت ما أمرني به وانصرفت إلى أبي عبد الله، فأخبرته فحضر بعد المغرب وصعد غرفة في الدار، فاجتهد في ورده إلى أن فرغ، وحضر الحارث وأصحابه فأكلوا ثم قاموا لصلاة العتمة، ولم يصلوا بعدها وقعدوا بين يدي الحارث وهم سكوت لا ينطق واحد منهم إلى قريب من نصف الليل، فابتدأ واحد منهم وسأل الحارث عن مسألة، فأخذ في الكلام وأصحابه يستمعون وكأن على رؤوسهم الطير، فمنهم من يبكي ومنهم من يزعق وهو في كلامه، فصعدت الغرفة لأتعرف حال أبي عبد الله، فوجدته قد بكى حتى غشي عليه، فانصرفت إليهم ولم تزل تلك حالهم حتى أصبحوا، فقاموا وتفرقوا، فصعدت إلى أبي عبد الله وهو متغير الحال، فقلت: كيف رأيت هؤلاء يا أبا عبد الله؟ فقال: ما أعلم أني رأيت مثل هؤلاء القوم، ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل، وعلى ما وصفت من أحوالهم فإني لا أرى لك صحبتهم ثم قام وخرج.

قال الذهبي: وهذه حكاية صحيحة السند، ثم استنكر واستبعد حصول هذا من مثل الإمام أحمد. قال البيهقي والسبكي: يحتمل أنه كره له صحبتهم لأن الحارث بن أسد وإن كان زاهدًا، فإنه كان عنده شيء من علم الكلام، وكان أحمد يكره ذلك، أو كره له صحبتهم من أجل أنه لا يطيق سلوك طريقتهم وما هم عليه من الزهد والورع، قال ابن كثير: بل إنما كره ذلك لأن في كلامهم من التقشف وشدة السلوك التي لم يرد بها الشرع، والتدقيق والمحاسبة الدقيقة البليغة ما لم يأت بها أمر، ولهذا لما وقف أبو زرعة الرازي على كتاب الحارث المسمى بالرعاية، قال هذه بدعة..

وجه وبالله التوفيق ا.هـ [١] انتهى كلام الإمام الشاطبي ﷺ.

وسئل الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ مبارك[٢]: ما قولكم علماء المسلمين وفقهم الله لطاعته، وأعانهم على مرضاته في جماعة من المسلمين يجتمعون ويذكرون الله بلسان واحد، ويحضر معهم الأولاد والنساء ويصفقون ويرقصون ويضربون الأرض بالأقدام، ويتواجدون وربما أنشدوا الأشعار، فهل فعلهم هذا يجوز أم لا؟

وهل هذا فعله المصطفى أو أحد من أصحابه أم لا؟ وهل يطلب من ولاة الأمر نهيهم وزجرهم عن ذلك أم لا؟ أفتونا تؤجرون إن شاء الله تعالى، وقد أخذ الله عليكم المواثيق في العلم أن تبينوه ولا تكتموه، وصلى الله على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

قال الشيخ:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعد، نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

---

(١) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٨٥).

(٢) العالم الفقيه قاضي مدينة المحرق بالبحرين الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن الشيخ مبارك آل الشيخ مبارك التميمي المالكي الإحسائي ثم البحريني، أخذ العلم عن الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ مبارك استفاد منه الكثير، انصرف الشيخ إلى القضايا السياسية التي تهم المسلمين، لما شاهده من عدم استقرار الأمور وضعف بعض الولاة العثمانيين، وقد تولى القضاء في البحرين، ولاه حاكم البحرين آنذاك الشيخ عيسى بن علي، وقد توفي الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف سنة (١٣١٠هـ الموافق ١٨٩٢م).

علماء وأدباء البحرين في القرن الرابع عشر لبشار الحادي ص ٢٤٣

أما بعد؛ فالجواب والله الموفق للصواب، ومنه نستمد وعليه نعتمد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم:

ما ذكر في السؤال من اجتماع جماعة... الخ يذكرون الله بلسان واحد، فالذكر أصله مطلوب، ومن أفضل العبادات، وقد نص عليه تعالى وحث عليه في كتابه العزيز في مواضع عديدة، وكذلك رسوله ﷺ في سنته، وليس خفيًّا على ذي لبّ.

حث عليه العلماء الأعلام في كتبهم، فمن أجلها كتاب النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين فيه الذكر وهيئته ووقته، وعزاه إلى النبي ﷺ، فمن أراد حقيقة الذكر الوارد فليراجعه، وكذلك في كتب الفقه كالرسالة لابن أبي زيد، والعزية للشاذلي، والسنوسي في عقيدته، والدردير في أقرب المسالك، فقد بينوا هيئته وصفته ووقته، ولا ينكر ذلك إلا ضالّ مبتدع، وهو من أفضل العبادات.

ومن المعلوم أن العبادات ما عدا الفرائض إخفاؤها أفضل من إظهارها، لما يتطرق الإظهار من الرياء وشوائبه، فهذا نفس الإظهار فقط مع الخشوع وحضور القلب، وأما ما يقع في زماننا هذا من عقر الصوت، وربما إلى النباح، فأخشى أن يدخل في ضمن قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ [الأنعام ٧٠]

وأما حضور الأولاد والنساء، فإن حضور النساء مخالطة فهو حرام، وبالخصوص ما يقع اليوم للنساء من تجاذب الألحان فيه بالتطريب، وفي المولد يخشى على من يجيزه لهنَّ الخروج من الدين لتحليله ما حرم الله عليهنَّ، ويجب على ولاة الأمر إزالته، وإن كان بغير مخالطة، فينظر حالهنَّ إن كنَّ شوابَّ ولا سيما المتبرجات بزينة فحرام

ولا يحل، ومنعهنَّ واجب، وفي حالة التهمة كبعد العشاء الأخير من باب أولى، ويجب على ولاة أمرهنَّ منعهنَّ وردعهنَّ عن ذلك، لأنهنَّ منعنَّ عن حضور الجمع والجماعات، وشهود الجنائز سوى المترجلات القواعد، ولا سيما مع خشية الفتنة، وفي هذه الأزمان الفاسدة يتعين زيادة.

وكذلك يقال في شأن الصبيان المردان، وما ذكر من التصفيق وضرب الأرض بالأقدام، والرقص والتصفيق فليس من الدين ولا عمله سيد المرسلين وأصحابه، وكذا الأئمة الأربعة وأتباعهم، ولم ينص عليه أحد من مصنفي المذهب، حيث إنهم بينوا في كتبهم ما يستقذر ذكره، وعقدوا له أبوابًا كقضاء الحاجة، وما في حكمه، فلو كانت الهيئة المذكورة مرادة ومن تمام الدين، لعقدوا لها بابًا، وبينوا هذه الهيئة أعني ما ذكر من الاجتماع المذكور وما بعده في هذا السؤال بهذه الهيئة المخصوصة، وإلا فيلزم منه ضلالتهم وهداية من خصه، أو ضلالته وهدايتهم، فمن يعمله على هذه الهيئة والفقهاء أعني كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ ٢٤].

وأما الشعر وإنشاده فقد أنشد كعب بن زهير بين يديه في المسجد، وخلع عليه بردته، ووضع منبرًا لحسان بن ثابت في المسجد، وقال ﷺ: «اللهمَّ أيِّده بروح القدس» وبالجملة فالشعر كالكلام، فحسنه حسن ومستقبحه قبيح، بدليل قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشعراء ٢٢٧].

وحاصل الجواب: أن فعلهم هذا على هذه الهيئة بدعة محدثة، وما نصها الفقهاء في كتبهم كفعلهم في المولد، وقد نص الفقهاء في باب

الوصية أن الوصية بإقامة المولد على الوجه الذي يقع في هذه الأزمنة من اختلاط النساء بالرجال والنظر للمحرم ونحو ذلك من المنكر أن الوصية باطلة لا يعمل بها، فمن أشكل عليه فليراجع كتب الفقه في باب الوصية، ومن هذا قد أفتيت لمن نذر أن يعمل المولد على الحالة هذه أنه لا يلزمه الوفاء به، لأنه ليس من الطاعة في شيء، ولنذكر كلام الإمام العلامة الفاكهاني رحمه الله[(١)]...

وقد وقع الفراغ من السؤال المذكور في ٧ ذو القعدة سنة (١٢٩٩هـ) وصلى الله على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا آمين.

أملاه فقير رحمة ربه وأسير وصمة ذنبه الفقير إلى الله تبارك، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن مبارك عفا الله عنهم بمنه وكرمه آمين[(٢)].

فهؤلاء أئمة أعلام في مذهب مالك، كلهم يقتدي بإمامه، وينكر هذه الطرق الصوفية المحدثة؛ أبو بكر الطرطوشي[(٣)]، أبو عبد الله محمد بن علي المازري[(٤)]، عبد العزيز بن محمد القيرواني تلميذ أبي الحسن[(٥)]، أبو زيد عبد الرحمن الواغليسي[(٦)]، أبو إسحاق

---

(١) ثم نقل كلام ابن الفاكهاني، وابن الحاج في المدخل، وسوف يجيء إن شاء الله بعد الفصل التالي.

(٢) علماء وأدباب البحرين في القرن الرابع عشر الهجري، تأليف بشار بن يوسف الحادي ص ٢٤٣.

(٣) سبقت ترجمته وقد توفي سنة ٥٣٠ هـ

(٤) سبقت ترجمته وقد توفي سنة ٥٣٦ هـ

(٥) سبقت ترجمته وقد توفي سنة ٧٠٥ هـ

(٦) سبقت ترجمته وقد توفي سنة ٧٨٦ هـ

الشاطبي[١]، محدث غرناطة أبو عبد الله الحفار[٢]، إمام المذهب أبو الفضل محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد[٣]، الشيخ عبد الرحمن بن

---

(١) سبقت ترجمته وقد توفي سنة ٧٩٠ هـ

(٢) سبقت ترجمته وقد توفي سنة ٨١١ هـ

(٣) توفي سنة ٨٤٢ هـ ، وهو العلامة ابن مرزوق الحفيد التلمساني الإمام المشهور العلامة الحجة الحافظ المطلق المحقق الكبير الثقة الثبت الفقيه النظار المجتهد التقي الصالح الزاهد الورع البركة، شيخ الشيوخ وخاتمة النظار، قال الحافظ ابن حجر في ترجمة جده أبي عبد الله: وقدم علينا حفيده محمد بن أحمد بن أبي عبد الله بن مرزوق القاهرة، وحج بعد العشرين، وكان قد وقع لي شرح الشفاء بخط جده، فأتحفته به وسرَّ به سرورًا كثيرًا، ونعم الرجل هو معرفة بالعربية والفنون وحسن الخط والخلق والخلق، والوقار والمعرفة والأدب التام ورجع إلى بلاده بعد أن حدث شغل وظهرت فضائله، وقال في المجمع المؤسس: كان نزهًا عفيفًا متواضعًا سمع مني وسمعت منه، وأخذ عني قطعة من شرح البخاري ومن نظمي، وأجاز في استدعاء ابني محمد. قال السخاوي: قرأ البخاري على ابن صديق ومن البلقيني وابن الملقن والعراقي ولازم المحب ابن هشام في العربية، ولقيه شيخنا بالقاهرة توفي سنة (٨٤٢ هـ) ومولده سنة (٧٦٦هـ).

وابن مرزوق الحفيد هذا، له رسالة بعنوان النصح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكامل للناقص في سبعة كراريس يرد فيه على عصريِّه الإمام قاسم العقباني توفي سنة (٨٥٤ هـ) ذكرها التنبكتي في كفاية المحتاج، والسخاوي في الضوء اللامع، وذكرها الونشريسي في المعيار (١١/ ٧٣) بعد أن أورد رسالة العقباني بتمامها قال: للشيخ الحافظ المحقق أبي عبد الله ـ والصواب أبو الفضل ـ ابن مرزوق رحمه الله في الرد على هذا الجواب، تأليف وكلام شافٍ يشتمل على سبعة كراريس، منع من إثباته عقب هذا الجواب واستيفاء كلامه وجلب فوائده طوله. وذكرها أيضًا الوزاني نقلًا عن أحمد بن الحسن بن عرضون في كتابه «مقنع المحتاج في آداب الأزواج» (النوازل الجديدة الكبرى ١٢/ ٢٧٤).

كفاية المحتاج ص ٣٩١، الدرر الكامنة ٣/ ٣٦٢، المجمع المؤسس ٣/ ٢٦٣، درر العقود للمقريزي ٣/ ٢٢٧)، الضوء اللامع ٧/ ٥٠

عبد اللطيف آل مبارك[(١)]، وغيرهم كثير يصعب عدهم وحصرهم وفي كلامهم كفاية ومقنع لمن أراد الله هدايته، وبالله التوفيق.

* * *

فصل: قول السادة المالكية في التقرب إلى الله تعالى بألحان القصائد الزهـــدية

قال فرات بن محمد العبدري: كنت جالسًا عند سحنون عشيَّةً، فجاءه حسان، فقال له سحنون: اجلس وخذ لي «يا عاشق الحور» لابن المبارك، ولا تطرب، فابتدأ في القصيدة، فكلما أراد أن يطرِّبها، يقول له سحنون: هيه اسكت عن التطريب، حتى انتهى إلى قول هذا البيت:

لـمـن رآك قـتـيـلا بـيـن أوديـة في غربة قد سقيت المرَّ والصبرا

فقال سحنون: يرحم الله أبا عبد الرحمن، كيف يكون غريبًا من تبكي عليه السماء والأرض؟! إنما الغريب الذي قال فيه الله ﷻ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدخان ٢٩][(٢)].

قال أبو بكر الزرويلي: قد ألف يحيى بن عمر كتابًا في النهي عن حضور مسجد السبت، فدسوا عليه رجلًا أندلسيًّا كان حسن الصوت بالقراءة، فأتى إلى مسجد يحيى بن عمر، وهو المسجد الذي بحذاء حمام النعمان، فلما فرغ يحيى بن عمر من صلاة الظهر وسلم، استفتح الأندلسي بصوت حسن، وقرأ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ [البقرة ١١٤] وتمادى في القراءة إلى آخر

(١) سبقت ترجمته وقد توفي سنة ١٣١٠ هـ.
(٢) رياض النفوس (١/ ٣٦٥).

الآيتين، فبكى يحيى بن عمر حتى سالت دموعه على لحيته، ثم قال: اللهمَّ إن هذا القارئ ما أراد بقراءته رضاك ولا ما عندك، وإنما أراد بذلك نقصي وعيبي، اللهمَّ فلا تمهله بعد ثلاث، قال، فيقال إنه ما بلغ ثلاثة أيام حتى مات فيها، استجاب الله تعالى فيه دعوته.

قال: وكان يشتد عليه أمر «مسجد السبت»، ويودُّ لو أنه هدم، حتى لا يجتمع فيه أحد، وقد تكلم فيه بكلام شديد كثير، وخالف يحيى بن عمر من أصحاب سحنون جماعة في جميع ما ذكره، فكانوا يحضرونه ويجتمعون فيه منهم أحمد بن معتب وغيره، وفيه كانت وفاته، وحضره ممن هو دون أحمد بن معتب في الطبعة، أبو بكر بن اللَّبّاد، وأبو بكر بن سعدون، وربيع القطان، لكنه كان في ذلك الزمان على خلاف ما هو عليه اليوم، وذلك أنهم كانوا يحضرونه بالوقار والسكينة والخشوع وغزارة الدمعة وكثرة الصدقة والمعروف، وكانوا يقولون فيه أشعار أبي معدان في الزهد والمواعظ وأهوال يوم القيامة وصفات أولياء الله تعالى، ويركبون عليها أعمالها، أي بالألحان على طريق الحزن والخوف، وكان المتعبدون والصالحون إذا سمعوها استراحوا إليها بقلوبهم وانشرحت نفوسهم وانصرفوا منه وهم محزونون نادمون.

ولقد ذكر عن محمد بن فطيس المتعبد أنه قال: كان الذين يحضرون مسجد السبت إذا خرجوا منه يرى عليهم أثره إلى السبت الآخر.

حدث أبو الحسن علي بن محمد الأنصاري عن أبيه قال: حضرت مسجد السبت القديم وكان مبنيًا بالطوب، فقال القوالون أشعارًا في الزهد، فبكى الناس بكاءً عظيمًا حتى امتلأ المسجد بالبكاء وارتفعت أصواتهم، فقال رجل جالس بجواري: لقد طاب المسجد اليوم، فقال له

رجل كبير السن شيخ: يا هذا، تغير حال المسجد عما كنا عهدناه قبل هذا الوقت، أعرف أني حضرته يومًا، فقام ابن السامة فقرأ: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت ٤٠] فقام شاب من الركن يبكي ويصيح: «الأمان بالله» فرجع القارئ في الآية من أولها، فقال الشاب: «الأمان بالله»، فرجع القارئ مرة ثالثة، فصاح الشاب: «الأمان بالله» وخر ميتًا رحمة الله عليه، فهكذا كانت صفة المسجد في الزمان الذي كان يحضر فيه هؤلاء الأفاضل، وأما في هذا الوقت هو على خلاف ذلك، فلا ينبغي حضوره ولا السعي إليه ولا يحتج في حضوره بمن حضره ممن قدمنا ذكره لأنهم لو أدركوا هذا الزمان لتركوا حضوره[١].

علَّق ابن ناجي على نص الدباغ فقال: كان مسجد السبت يحضره الزهاد والعباد، فيقرأ فيه القارئ آية من كتاب الله ﷻ، وبعض حكايات الصالحين وتنشد فيه الأشعار، فكأن يحيى بن عمر رأى أن هذا بدعة لم تكن في الزمن الأول، فألَّف تأليفًا في وجوب عدم حضوره، فكان لا يحضره وينهى عن حضوره، وكانت المشيخة في زمانه على خلافه، وتابعه على قوله الشيخ أبو الحسن بن القابسي رحمه الله وكان يقول: يا قوم هذا القرآن يتلى، والأحاديث النبوية ولا متَّعظ ويسمع الإنسان بيتًا من الشعر فيبكي! هذا عجب.

وتبعه تلميذه الشيخ أبو عمران الفاسي رحمه الله على ذلك، هكذا سمعته من شيخنا أبي الفضل أبي القاسم بن أحمد البرزلي حفظه الله[٢].

---

(١) رياض النفوس (١/ ٤٩٠) في ترجمة يحيى بن عمر رحمه الله.

(٢) معالم أهل الإيمان في تراجم أهل القيروان (٢/ ٢٣٨).

قال أبوالحسين الدراج: قصدت يوسف بن الحسين الرازي[(١)] من بغداد، فلما دخلت الرّيّ سألت عن منزله، فكلهم يقول: أيش تفعل بذلك الزنديق، فضاق صدري، حتى عزمت على الانصراف، ثم قلت لا أقلّ من زيارته! فلما دخلت عليه وجدته في المحراب، وبين يديه رحل عليه مصحف يقرأ فيه، فسلمت عليه فرد عليَّ السلام، وقال من أين؟ قلت من بغداد، قال أتحسن أن تقول شيئًا؟ قلت نعم، ثم قلت:

رأيتك تبني دائبًا في قطيعتي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني

فأطبق المصحف، ولم يزل يبكي حتى بل لحيته وثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه، ثم قال لي: يا بني! تلوم أهل الرّيّ على قولهم إني زنديق! ومن وقت الصلاة وأنا أقرأ القرآن لم تقطر من عيني قطرة! وقد قامت عليَّ القيامة بهذا البيت[(٢)].

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله: وإنما يصير الشعر غناء

---

(١) يوسف بن الحسين الرازي، أحد الصوفية، قال أبو عبد الرحمن السلمي: كان مع علمه وتمام حاله هجره أهل الريّ، وتكلموا فيه بالقبائح، خصوصًا الزهاد، إلى أن أفشوا حديثه وقبائحه، حتى بلغني أن بعض مشايخ الريّ رأى في النوم كأن براءة نزلت من السماء فيها مكتوب: هذه براءة ليوسف بن الحسين مما قيل فيه، فسكتوا عنه بعد ذلك.
ترجمته في تاريخ بغداد (١٤/ ٣١٤)، وتاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٣٠٤ هـ) ص١٥١.

(٢) رسالة الطرطوشي في تحريم الغناء والسماع (ص ٢٣٢)، والقصة رواها القشيري في الرسالة (ص ١٥٠)، ومن طريقه الخطيب في التاريخ (١٤/ ٣١٧) وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٤٠).

مذمومًا إذا لحن وصنع صنعة تورث الطرب وتزعج القلب، وهي الشهوة الطبيعية(١).

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): وقد قال بعضهم: نحن لا نسمع الغناء بالطبع الذي يشترك فيه الخاص والعام، وإنما نسمع بحق، فنسمع بالله وفي الله ولا نتصف بهذه الأحوال التي هي ممزوجة بخطوب البشرية.

قلنا: إن زعمت أنك فارقت طبع البشر، وصرت مطبوعًا على العقل والبصيرة بمنزلة الملائكة، فقد كذبت على طبعك، وكذبت على الله تعالى في تركيبك، وما وصفك به من حب الشهوات، وقد قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من فارق نبيَّه وادَّعى العصمة فاجلدوه فإنه مفترٍ كذّاب».

وكان يجب ألا تكون مجاهدًا لنفسك ولا مخالفًا لهواك، فلا يكون لك ثواب على ترك اللَّذات والشهوات! وكان يجب أن تكون أنت وأصحابك تسبحون اللَّيل والنهار لا تفترون، وتستغفرون لمن في الأرض، ثم كان يجب أن تستبيح سماع العود والطنبور وسائر الملاهي، فهذا الطبع الذي لا يشاركك فيه أحد من الناس!

وفي استباحة ذلك خرق الإجماع!

فإن قيل: أليس قد روي عن جماعة من الصالحين أنهم سمعوه؟

قلنا: ما بلغنا أن أحدًا من السلف الصالح فعله! وهذه مصنفات أئمة الدين وأعلام المسلمين، مثل مصنف مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحيح

---

(١) رسالة في تحريم الغناء والسماع (ص ٢١٢).

(٢) رسالة في تحريم الغناء والسماع (ص ٢٢٢).

البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود وكتاب النسائي ﷺ إلى غيرهم خالية من دعواكم .

وهذه تصانيف فقهاء المسلمين الذين تدور عليهم الفتيا قديما وحديثًا، وفي شرق البلاد وغربها، فقد صنف المسلمون على مذهب مالك تصانيف لا تحصى، وكذلك مصنفات علماء المسلمين على مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل، وغيرهم من فقهاء المسلمين، كلها مشحونة بالردّ على الغناء وتفسيق أهله.

فإن كان فعله أحد من المتأخرين فقد أخطأ، ولا يلزم الاقتداء بقوله وترك الاقتداء بالأئمة الراشدين، ومن ههنا زلَّ من لا بصيرة له.

ونحتج عليهم بالصحابة والتابعين وعلماء المسلمين، ويحتجون بالمتأخرين، سيما وكل من يرى هذا الرأي الفاسد خلو من الفقه، عاطل من العلم، لا يعرف مآخذ الأحكام، ولا يفصل الحلال من الحرام، ولا يدرس العلم، ولا يصحب أهله، ولا يقرأ مصنفاته ودواوينه...

فمن هجر أهل الفقه والحكمة، وانقضى عمره في مخالطة أهل اللَّهْوِ والبطالة كيف يؤمن على هذه المسألة وغيرها ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف ٤٣].

فيا من رضي لدينه ودنياه، وتوثق لآخرته ومثواه، باختياره مالك بن أنس إن كنت على مذهبه، أو باختيار أبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل إن كنت ترى رأيهم، كيف هجرت اختيارهم في هذه المسألة، وجعلت إمامك فيها شهواتك وبلوغ أوطارك ولذاتك ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء ٢٢٧].

قال مالك في المدونة: وأكره الإجارة على تعليم الشعر والنوح، وعلى كتابة ذلك.

قال عياض: معناه نوح المتصوفة وإنشادهم على طريق النوح والبكاء، فمن اعتقد في ذلك أنه قربة لله تعالى فهو ضالّ مضلّ، ولا يعلم ـ مسكين ـ أن الجنة حُفَّتَ بالمكارِه، وأنَّ النار حُفَّتْ بالشَّهوات، والله تعالى لم يبعث أحدًا من الأنبياء باللَّهْوِ والراحة والغناء، وإنما بعثوا بالبر والتقوى وما يخالف الهوى، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات ٤٠] فالباطل خفيف على النفوس، ولذلك خف في الميزان والحق ثقيل، ولذلك ثقل في الميزان، قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المزمل ٥][(١)].

سئل الإمام أحمد بن حنبل عن إسماع القصائد، فقال: أكرهه[(٢)].

وقال عبد الرحمن المتطبب، قال: سألت أحمد بن حنبل، قلت: ما تقول في أهل القصائد قال: بدعة لا يجالسون[(٣)].

* * *

(١) المعيار المعرب (١١/ ٢٩).

(٢) خرجه الخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١٨٣).

(٣) خرجه الخلال (١٨٤).

فصل: الاحتفال بالمولد النبوي

قال تاج الدين عمر بن علي اللخمي بن الفاكهاني السكندري الفقيه المالكي رحمه الله[(١)]: بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله:

أما بعد: فإنه قد تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول ويسمونه المولد: هل له أصل في الشرع، أو هو بدعة وحدث في الدين؟ وقصدوا الجواب من ذلك مبينًا، والإيضاح عنه معينًا.

فقلت وبالله التوفيق: لا أعلم لهذا المولد أصلًا في كتاب ولا سنَّة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها المبطلون، وشهوة نفس اعتنى بها الأكالون، بدليل أنا إذا أدرنا عليها الأحكام

---

(١) عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري تاج الدين الفاكهاني المالكي، فقيه فاضل متفنن في الحديث والفقه والأصول والعربية والأدب، كان على حظ وافر من الدين المتين والصلاح العظيم، واتباع السلف الصالح، حسن الأخلاق، صحب جماعة من الأولياء وتخلق بأخلاقهم، وتأدب بآدابهم، وحج غير مرة، وحدث ببعض مصنفاته. وصنف شرح العمدة وغيرها، ومن تصانيفه الإشارة في النحو، والمورد في المولد، واللمعة في وقفة الجمعة، والدرة القمرية في الآيات النظرية.ولد بالإسكندرية (سنة ٦٥٤هـ) ومات بها في جمادى الأولى (سنة ٧٣٤هـ).
انظر ترجمته: الدرر الكامنة (١/ ٤٠٣)، المذهب في أعيان المذهب (١/ ١٠٨)، طبقات الأولياء لابن الملقن (١/ ٩٢)، أعيان العصر وأعوان النصر (٢/ ١٣٩)، البداية والنهاية (١٤/ ١٩٥) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (١/ ١٥٢).

الخمسة؛ قلنا إما أن يكون واجبًا أو مندوبًا، أو مباحًا أو مكروهًا أو محرّمًا، وليس هو بواجب إجماعًا، ولا مندوبًا، لأن حقيقة المندوب: ما طلبه الشارع من غير ذم على تركه، وهذا لم يأذن فيه الشارع، ولا فعله الصحابة، ولا التابعون، ولا العلماء المتدينون فيما علمت.

وهذا جوابي عنه بين يدي الله تعالى إن عنه سئلت، ولا جائزًا أن يكون مباحًا، لأن الابتداع في الدين ليس مباحًا بإجماع المسلمين، فلم يبق إلا أن يكون مكروهًا أو محرّمًا، وحينئذ يكون الكلام في فصلين، والفرقة بين حالين:

أحدهما: أن يعمله رجل من عين ماله لأهله وأصحابه في عياله، لا يجاوزون في ذلك الاجتماع أكل الطعام، ولا يقترفون شيئًا من الآثام. هذا الذي وصفناه بأنه بدعة مكروهة وشناعة، إذ لم يفعله أحد من متقدمي أهل الطاعة، الذين هم فقهاء الإسلام، وعلماء الأنام، سرج الأزمنة، وزين الأمكنة.

والثاني: أن تدخله الجناية، وتقوى به العناية، حتى يعطي أحدهم الشيء ونفسه تتبعه، وقلبه يؤلمه، ويوجعه لما يجد من ألم الحيف، وقد قال العلماء: أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف، لا سيما إن انضاف إلى ذلك شيء من الغناء مع البطون الملأى، وآلات الباطل من الدفوف والشبابات، واجتماع الرجال مع الشباب المرد والنساء الفاتنات، إما مختلطات بهم أو مشرفات، والرقص بالتثني والانعطاف، والاستغراق في اللَّهْوِ، ونسيان يوم المخاف، وكذلك النساء إذا اجتمعنَ على انفرادهن، رافعات أصواتهنّ بالتهتيك والتطريب في الإنشاد، والخروج في التلاوة والذكر عن المشروع، والأمر المعتاد، غافلات عن قوله

تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر ١٤] وهذا الذي لا يختلف في تحريمه اثنان، ولا يستحسنه ذوو المروءة الفتيان، وإنما يحلو ذلك لنفوس موتى القلوب، وغير المستقلين من الآثام والذنوب.

وأزيدك أنهم يرونه من العبادات لا من الأمور المنكرات المحرمات، فإنا لله وإنا إليه راجعون. بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ، ولله در شيخنا القشيري حيث يقول فيما أجازناه:

قد عرف المنكر واستنكر الـ	معروف في أيامنا الصعبه
وصار أهل العلم في وهدة	وصار أهل الجهل في رتبه
حادوا عن الحق فما للذي	ساروا به فيما مضى نسبه
فقلت للأبرار أهل التقى	والدين لما اشتدت الكربه
لا تنكروا أحوالكم قد أتت	توبتكم في زمنِ الغربه

ولقد أحسن الإمام أبو عمرو بن العلاء حيث يقول: لا يزال الناس بخير ما تعجب من العجب.

هذا مع أن الشهر الذي ولد فيه الرسول ﷺ هو ربيع الأول هو بعينه الذي توفي فيه، فليس الفرح فيه بأولى من الحزن فيه، وهذا ما علينا أن نقول، ومن الله نرجو حُسْنَ القبول[1].

وسئل الأستاذ أبو عبد الله الحفار. عن رجل حبس أصل توت على ليلة مولد سيدنا محمد ﷺ، ثم مات المحبس، فأراد ولده أن يتملك أصل التوت المذكور، فهل له ذلك أم لا؟

فأجاب: وقفت على السؤال فوقه، وليلة المولد لم يكن السلف

---

(١) نقله عنه السيوطي في الحاوي للفتاوي (١/ ١٩٠).

الصالح وهم أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لهم يجتمعون فيها للعبادة، ولا يفعلون فيها زيادة على سائر ليالي السنة، لأن النبي ﷺ لا يعظم إلا بالوجه الذي شرع فيه تعظيمه، وتعظيمه من أعظم القرب إلى الله، لكن يتقرب إلى الله جل جلاله بما شرع، والدليل على أن السلف لم يكونوا يزيدون فيها زيادة على سائر الليالي أنهم اختلفوا فيها، فقيل إنه ﷺ ولد في رمضان، وقيل في ربيع، واختلف في أي يوم ولد فيه على أربعة أقوال، فلو كانت تلك الليلة التي ولد في صبيحتها تحدث فيها عبادة بولادة خير الخلق ﷺ لكانت معلومة مشهورة لا يقع فيها اختلاف، ولكن لم تشرع زيادة تعظيم.

ألا ترى أن يوم الجمعة خير يوم طلعت عليه الشمس، وأفضل ما يفعل في اليوم الفاضل صومه، وقد نهى النبي ﷺ عن صوم يوم الجمعة مع عظيم فضله، فدل هذا على أنه لا تحدث عبادة في زمان ولا في مكان إلا إن شرعت، وما لم يشرع لا يفعل، إذ لا يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما أتى به أولها.

ولو فتح هذا الباب لجاء قوم فقالوا: يوم هجرته إلى المدينة يوم أعز الله فيه الإسلام، فيجتمع فيه ويتعبد، ويقول آخرون: الليلة التي أسري به فيها حصل له من الشرف ما لا يقدر قدره، فتحدث فيها عبادة، فلا يقف ذلك عند حدّ، والخير كله في اتباع السلف الصالح الذين اختارهم الله له، فما فعلوه فعلناه، وما تركوه تركناه.

فإذا تقرر هذا ظهر أن الاجتماع في تلك الليلة ليس بمطلوب شرعًا، بل يؤمر بتركه[١].

---

(١) المعيار المعرب ٧/ ٩٩.

قلت: صدق أبو عبد الله الحفار، وهو قد توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٨١١هـ)، ونحن في السنة التاسعة والعشرين بعد الأربعمائة وألف من هجرة المصطفى ﷺ، وقد حدث ما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، فعندنا اليوم احتفال بمناسبة مولده ﷺ، ثم في رجب احتفال بإسرائه ومعراجه، وفي أول السنة الهجرية احتفال بهجرته ﷺ، نسأل الله العفو والعافية، وأن يردَّنا إلى دينه ردًا جميلًا، وأن يرزقنا معرفة السنة، ولزومها واتباعها، وأن يشرح صدورنا لما كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة.

وسئل الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ مبارك: ما قولكم علماء المسلمين وفقهم الله لطاعته، وأعانهم على مرضاته في جماعة من المسلمين يجتمعون ويذكرون الله بلسان واحد، ويحضر معهم الأولاد والنساء ويصفقون ويرقصون ويضربون الأرض بالأقدام، ويتواجدون وربما أنشدوا الأشعار، فهل فعلهم هذا يجوز أم لا؟

وهل هذا فعله المصطفى أو أحد من أصحابه أم لا؟ وهل يطلب من ولاة الأمر نهيهم وزجرهم عن ذلك أم لا؟ أفتونا تؤجرون إن شاء الله تعالى، وقد أخذ الله عليكم المواثيق في العلم أن تبينوه ولا تكتموه، وصلى الله على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

قال الشيخ:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعد، نبينا محمد وعلى آله وصحبه. . .

ثم تكلم بكلام طويل سبق ذكره عن الذكر وعن الشعر، ثم نقل كلام الفاكهاني، ثم قال: وقال العلامة أبو عبد الله بن الحاج في كتابه

المدخل: فصل: ومن جملة ما أحدثوه من البدع مع اعتقادهم أن ذلك من أكبر العبادات، وأظهر الشعائر ما يفعلونه في شهر ربيع الأول من المولد وقد احتوى على بدع ومحرَّمات جملة، فمن ذلك استعمالهم المغاني ومعهم آلات الطرب من الطار المصرصر والشبابة وغير ذلك مما جعلوه آلة السماع، ومضوا في ذلك على العوائد الذميمة في كونهم يشتغلون في أكثر الأزمنة التي فضلها الله تعالى وعظمها ببدع ومحرمات إلى أن قال: ويا ليتهم لو عملوا المغاني ليس إلا، بل يزعم بعضهم أنه يتأدب فيبدأ المولد بقراءة الكتاب العزيز، وينظرون إلى ما هو أكثر معرفة بالهنوك والطرق المهيجة لطرب النفوس، وهذا فيه من الفساد وجوه، ثم إنهم لم يقصروا على ما ذكر، بل ضم بعضهم إلى ذلك الأمر الحظر، وهو أن يكون المغني شابًّا نظيف الصورة، وحسن الصوت والكسوة والهيئة، فينشد التغزل ويتكسر في صوته، فيثور من الفساد ما لا يحصى، وقد يؤول ذلك في الغالب إلى فساد حال الزوج وحال الزوجة، ويحصل الفراق والنكد العاجل، ويتشتت أمرهم بعد جمعهم.

وهذه المفاسد مركبة على فعل المولد إذا عمل بالسماع، **فإن خلا منه وعمل طعامًا فقط، ونوى به المولد ودعا إليه الإخوان، وسلم من كل ما تقدم فهو بدعة بنفس نيته فقط، إذ إن ذلك زيادة في الدين وليس من عمل السلف الصالح الماضين**، واتباع السلف أولى، ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد، ونحن لهم تبع، فيسعنا ما وسعهم.

وقد وقع الفراغ من السؤال المذكور في ٧ ذي القعدة سنة (١٢٩٩هـ) وصلى الله على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا آمين

أملاه فقير رحمة ربه وأسير وصمة ذنبه الفقير إلى الله تبارك، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن مبارك عفا الله عنهم بمنه وكرمه آمين[١].

* * *

(١) علماء وأدباء البحرين في القرن الرابع عشر الهجري، تأليف بشار بن يوسف الحادي ص ٢٤٣

فصل: قول السادة المالكية رحمهم الله فيما أحدث من البدع في ليلة النصف من شهر شعبان

ومن البدع التي عدها الإمام أبو بكر الطرطوشي المالكي: صلاة الرَّغائب ليلة النصف من شعبان.

ونقل عن ابن وضاح القرطبي عن زيد بن أسلم قال: ما أدركنا أحدًا من مشيختنا ولا فقهائنا يلتفتون إلى النصف من شعبان، ولا يلتفتون إلى حديث مكحول ولا يرون لها فضلًا على ما سواها.

قال الطرطوشي: وأخبرني أبو محمد المقدسي قال: لم يكن عندنا ببيت المقدس قط صلاة الرَّغائب هذه التي تصلَّى في رجب وشعبان، وأول ما حدثت عندنا في أول سنة ثمان وأربعين وأربعمائة (٤٤٨هـ)، قدم علينا في بيت المقدس رجل من نابلس يعرف بابن أبي الحمراء وكان حسن التلاوة، فقام فصلَّى في المسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان، فأحرم خلفه رجل ثم انضاف إليهما ثالث ورابع، فما ختمها إلا وهم في جماعة كثيرة.

ثم جاء في العام القابل فصلَّى معه خلق كثير، وشاعت في المسجد، وانتشرت الصلاة في المسجد الأقصى وبيوت الناس ومنازلهم ثم استقرَّت كأنها سُنَّة إلى يومنا هذا!

فقلت له: فأنا رأيتك تصليها في جماعة؟

قال: نعم وأستغفر الله منها[١].

وقال الإمام أبو الحسن الصغير الزرويلي[٢]: فإن قيل: لأي شيء أنكرتم علينا الاجتماع في أيام المواسم؟ كليلة النصف من شعبان، وسبعة وعشرين من رمضان، وعاشوراء، أليس أنكم تقولون بكثرة الناس تكثر الأجور، وربما يكون في الجماعة الكثيرة رجل مقبول، فنجد من بركته؟

فالجواب أن نقول: قيام غير رمضان من الليالي لا يجوز في جماعة إلا في اليسير من الناس، كالاثنين والثلاثة، لأن الجمع الكثير يؤدي إلى السمعة والشهرة كما يصنعون في النصف من شعبان، وسبعة وعشرين من رمضان وعاشوراء، وبعض المساجد خصوصًا كما ذكرت.

بل ينهون عن ذلك، ويفرق جمعهم، وقد أفتى أبو عمران

---

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص ١٢٨).

(٢) علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي أبو الحسن الصغير، قال الإمام أبو عبد الله ابن مرزوق: الشيخ أبو الحسن، شيخ الإسلام وهو الذي ما عاصره مثله بل وما تقدمه فيما قارب من الأمصار، وهو الذي جمع بين العلم والعمل، وبمقامه في التفقه والتحصيل يضرب المثل رَحِمَهُ اللهُ. قال ابن الخطيب في الإحاطة: كان هذا الرجل قيمًا على تهذيب البراذعي في اختصار المدونة، حفظًا وتفقهًا يشارك في شيء من أصول الفقه يطرز بذلك مجالسه، مغرمًا به بين أقرانه من المدرسين في ذلك الوقت لخمولهم من تلك الطريقة، وكان أحد الأقطاب الذين تدور عليهم الفتوى أيام حياته، ترد عليه السؤالات من جميع بلاد المغرب، فيحسن التوقيع على ذلك على طريقة من الاختصار، وترك فضول القول، ولي القضاء بفاس قدمه أبو الربيع سلطان المغرب، وأقام أوده وعضده، فانطلقت يده على أهل الجاه فأقام الحق على الكبير والصغير، وجرى في العدل على صراط مستقيم. توفي (٧١٩ هـ).
الديباج المذهب (ص ٣٠٥).

الفاسي رَحِمَهُ اللَّهُ بأن تهدم تلك المواضع ويبدد شملهم، والتنفل في البيوت أفضل إلا في رمضان ما لم يكن ممن يعمل ذلك في المساجد، فيصلي في بيته أفضل له[1].

***

(١) رسالة ذم البدعة وأهلها للزرويلي، مجلة البحوث الإسلامية، (العدد ٦٧، ص ٢٣١).

فصل: في التغني بالقرآن(١)

وسئل **مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ عن النفر يكونون في المسجد، فيخف أهل

---

(١) التغني بالقرآن وقراءته يراد منه أمران:
الأمر الأول: أن يقرأ القرآن على ألحان الفساق والفجار، قال الطرطوشي: فأما أصحاب الألحان فإنما حدثوا في القرن الرابع، منهم محمد بن سعيد صاحب الألحان، والكرماني والهيثم وأبان... فكانوا مهجورين عند العلماء، فنقلوا القراءة إلى أوضاع لحون الأغاني، فمدوا المقصور، وقصروا الممدود، وحركوا الساكن وسكنوا المتحرك، وزادوا في الحرف، ونقصوا منه، وجزموا المتحرك وحركوا المجزوم، لاستيفاء نغمات الأغاني المرطبة.
ثم اشتقوا لها أسماء، فقالوا: شذر، ونبر، وتفريق، وتعليق، وهز، وخز، وزمر، وزجر، وحذف، وتشريق، وإسجاح، وصياح!
ثم يقولون: مخرج هذا الحرف من الأنف، وهذا من الرأس، وهذا من الصدر، وهذا من الشدق، فما خرج من القحف فهو صياح.
وما خرج من الجبهة فهو زجر.
وما خرج من اللَّهوات فهو نبر.
وما خرج من الأنف فهو مر.
وما خرج من الحلق فهو خرير وشذر.
وما خرج من الصدر فهو هرير.
وسموها لحونا، ثم جعلوا لكل لحن منها اسمًا مخترعًا، فقالوا اللحن الصقلبي، فإذا قرؤوا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [الجاثية ٣٢] يرقصون في هذه الآية كرقص الصقالبة، بأرجلها، وفيها الخلاخيل، ويصفقون بأيديهم على إيقاع الأرجل، ويرجعون الأصوات بما يشبه تصفيق الأيدي ورقص الأرجل، كل ذلك على نغمات متوازنة.
ومن ذلك الرهب: أن ينظروا إلى كل موضع في القرآن فيه ذكر المسيح =

المسجد فيقولون لرجل حسن الصوت: اقرأ علينا، يريدون حسن صوته، فكره ذلك، وقال إنما هذا يشبه الغناء.

فقيل: أفرأيت الذي قال عمر لأبي موسى؟ ذكرنا ربنا(١)؟

= كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [النساء ١٧١]، وكقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة ١١٦] فمثلوا أصواتهم فيه بأصوات النصارى والرهبان والأساقفة في الكنائس.

ومن ألحانهم في القرآن النبطي والرومي والحساني والمكي والإسكندراني والمصري والكاروندي والراعي والديباجي والياقوتي والعروسي والزرجون والمرجي والمجوسي والزنجي والمنمنم والسندي وغيرها، كرهنا ذكر التطويل بها.

فهذه أسماء ابتدعوها في كتاب الله تعالى ما أنزل الله بها من سلطان، فالتالي منهم والسامع لا يقصدون فهم معانيه من أمر أو نهي أو وعد أو وعيد أو وعظ أو تخويف أو ضرب مثل، أو اقتضاء حكم أو غير ذلك مما أنزل به القرآن، وإنما هو للذّة والطرب والنغمات والألحان كنقر الأوتار وأصوات المزامير كما قال الله تعالى يذم قريشًا ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال ٣٥] وإنما أنزل القرآن لتتدبر آياته وتفهم معانيه.

وهذا النوع من التغني والتلحين حرمه أكثر العلماء وبه قال جماهير فقهاء الإسلام المالكية والحنفية والشافعية والحنابلة

الأمر الثاني مما يراد به القراءة بالألحان: أن يتغنى بالقرآن دون مشابهة للفساق أو الأوزان ودون إفراط في التلحين، فلا يخرجه هذا التغني عن صيغة القرآن، وليس فيه إدخال حركات أو إخراجها أو مد مقصور أو قصر ممدود أو تحويل الحركات إلى حروف

وهذا النوع اختلف فيه العلماء فأجازه الحنفية والشافعي وأصحابه وقال به بعض الحنابلة.

والقول الثاني: أن هذا التلحين أيضًا مكروه وبه قال الإمام مالك رحمه الله وأصحابه، وهو الظاهر من قول الإمام أحمد بن حنبل ووجه عند أصحابه.

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٥٠) والدارمي (٢/ ٤٧٣) وابن ماجة (١٣٤١) من طريق محمد ابن عمرو عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى وهو جالس في المجلس، يا أبا موسى ذكرنا ربنا، فيقرا عنده =

فقال: إن من الأحاديث أحاديث قد سمعتها وأنا أتقيها، ووالله ما سمعنا هذا قط قبل هذا المجلس، وكره القراءة بالألحان وقال: هذا عندي يشبه الغناء، ولا أحب أن يعمل بذلك، وقال: إنما اتخذوها يأكلون بها ويكسبون عليها[1].

قال مالك: ولا تعجبني القراءة بالألحان، ولا أحبه في رمضان ولا في غيره، لأنه يشبه الغناء ويضحك بالقرآن، ويقال: فلان أقرأ من فلان، وبلغني أن الجواري يعلمن ذلك كما يعلمن الغناء، أين القراءة التي يقرأ هؤلاء من القراءة التي كان رسول الله ﷺ يقرأ بها[2]!

= أبو موسى وهو جالس في المجلس ويتلاحن.
وأخرجه الدارمي (٢/ ٤٧٢) وعبد الرزاق (٤٨١٨) من طريق الزهري عن أبي سلمة به مرسلًا. وأبو سلمة لم يسمع من عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(١) البيان والتحصيل (١/ ٢٧٥، ١٧/ ٢٠٣)، قال الطرطوشي في الحوادث والبدع (ص ٨٩): قد ذكرنا أن مالكًا كره القراءة بالألحان، قال مالك: ولا يعجبني النبر والهمز في القراءة، وقال نافع بن أبي نعيم: سمعت عبد الله بن هرمز يسأل عن النبر في القراءة؟ فقال إن كانت العرب تنبر، فإن القرآن أحق أن ينبر.
وقال محمد بن جعفر: نهيت عن نبر القرآن في النوم
ومعنى هذا أن يمطط الحروف، ويفرط في المد، ويشبع الحركات حتى تصير حروفًا، فإنه متى أشبع حركة الفتح صارت ألفًا، وإن أشبع حركة الضم صارت واوًا، وإن أشبع حركة الكسر صارت ياءً.
وأعظم من هذا أن الحرف الذي فيه واو واحدة تصير واوات كثيرة، ويكون في الحرف ألف واحد، فيجعلونه ألفات كثيرة، وكذلك كل حرف من الآية يزيد فيه من الحروف بحسب ما تحتاج إليه نغمته ولحنه، فيزيل الحرف عن معناه، فتلحق الزيادة والنقصان على حسب النغمات والألحان، فلا تخلو من زيادة أو نقصان، وهذا أمر ليس في كلام العرب، ولا تعرفه الفصحاء والشعراء إذا ثبت هذا .

(٢) الجامع لابن أبي زيد (ص ١٩٦)، البيان والتحصيل (١٨/ ٣٢٥)، شرح جامع ابن عبد الحكم للأبهري (ص ١٢٥)، الحوادث والبدع للطرطوشي (ص ٨٣). =

....

= وفي الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ١٧٧): أخبرنا حجاج حدثنا عمارة قال حدثني الحسن أنه كان يكره الأصوات بالقرآن هذا التطريب

قال ابن الحاج في المدخل (١/ ٧١): قد اختلف علماؤنا رحمة الله عليهم هل يجوز التغني بالقرآن أم لا للحديث الوارد في ذلك عنه صلوات الله عليه وسلامه حيث يقول: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن).

فذهب مالك وجمهور أهل العلم رحمة الله عليهم إلى أن ذلك لا يجوز وروى ابن القاسم عن مالك رحمه الله أنه سأل عن الألحان فقال: لا تعجبني، وإنما هو غناء يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم.

وذهب الشافعي ومن تبعه إلى أن ذلك يجوز واحتجوا بالحديث المتقدم فحملوه على ظاهره، وهو عند الجماعة مؤول على أن معنى يتغنى يستغني به من الاستغناء الذي هو ضد الفقر وقيل: يجهر به لقوله عليه الصلاة والسلام ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به.

قال: علماؤنا رحمة الله عليهم معناه يسمع نفسه ومن يليه.

وقال عليه الصلاة والسلام: (الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة).

قال الإمام أبو عبد الله القرطبي: رحمه الله، وقد روي عن سفيان وجه آخر ذكره إسحاق ابن راهويه أي: يستغني به عما سواه من الأخبار وإلى هذا التأويل ذهب البخاري رحمه الله لاتباعه الترجمة في كتابه بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت ٥١] والمراد الاستغناء بالقرآن عن علم أخبار الأمم قاله أهل التأويل.

وقيل: إن معنى يتغنى به يتحزن به أي: يظهر في قارئه الحزن الذي هو ضد السرور عند قراءته وتلاوته وليس من الغنية لأنه لو كان من الغنية لقال: يتغانى به، ولم يقل يتغنى به ذهب إلى هذا جماعة من العلماء منهم الحليمي، وهو قول الليث بن سعد وأبي عبيد ومحمد بن حبان والنسائي واحتجوا بما رواه مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء.

وقد روي عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنه سمع عمر بن عبد العزيز يؤم بالناس فطرب في قراءته فأرسل إليه سعيد يقول: أصلحك الله إن الأئمة لا تقرأ هكذا فترك عمر التطريب بعد. =

....

= وروي عن مالك كَلَلهُ أنه سئل عن النبر في قراءة القرآن في الصلاة فأنكر ذلك وكرهه كراهة شديدة وأنكر رفع الصوت به.

وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس ﷺ قال: كان لرسول الله ﷺ مؤذن يطرب فقال: رسول الله ﷺ إن الأذان سهل سمح فإن كان أذانك سهلًا سمحًا وإلا فلا تؤذن. أخرجه الدارقطني في سننه.

فإذا كان النبي ﷺ منع ذلك في الأذان فأحرى أنه لا يجوزه في قراءة القرآن الذي حفظه الرحمن سبحانه وتعالى فقال: وقوله الحق: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر ٩] وقالﷻ: (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ [فصلت ٤٢]

وقال كَلَلهُ: قال علماؤنا رحمة الله عليهم: ويشبه هذا الذي يفعله قراء زماننا بين يدي الوعاظ في المجالس من اللحون الأعجمية التي يقرؤون بها ما نهى عنه النبي ﷺ، والترجيع في القراءة ترديد الحروف كقراءة النصارى، والترتيل في القراءة هو التأني فيها والتمهل وتبيين الحروف والحركات تشبيهًا بالشعر المرتَّل، وهو المطلوب في قراءة القرآن.قال: وقال الحليمي: والذي يظهر بدلالة الأخبار أنه أراد بالتغني أن يحسن القارئ صوته مكان ما يحسن المغني صوته بغنائه إلا أنه يميل به نحو التحزن دون التطريب أي: قد عوض الله من غناء الجاهلية خيرًا منه، وهو القرآن، فمن لم يحسن صوته بالقرآن ولم يرض به بدلًا من ذلك الغناء فليس منّا إلا أن قراءة القرآن لا يدخلها شيء من التغني وفضول الألحان، وترديد الصوت مما يلبس المعنى ويقطع أوصال الكلام كما قد دخل ذلك كله في الغناء، وإنما يليق بالقرآن حسن الصوت والتحزين به دون ما عداهما، وسئل رسول الله ﷺ: من أحسن الناس قراءة؟ فقال ﷺ: أحسن الناس قراءة من إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى. وقال: إن هذا القرآن نزل بحزن فاقرؤوه بحزن؛ فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا انتهى كلام القرطبي كَلَلهُ.

لكن يشترط في التحزن أن يكون القارئ في حال قراءته متلبسًا بحزن القلب، فإن لم يقدر فليتعاط أسباب الحزن يمثل نفسه أنه على الصراط، وأن النار تحت قدميه، وأن الجنة بين يديه إلى غير ذلك، وهو كثير، وذلك ليكون ظاهره موافقا لباطنه، =

وقال عبد الملك بن حبيب رحمه الله: ولا بأس أن يحزن القارىء قراءته وإنما المكروه الذي وصفنا التطريب، فأما التحزين فلا بأس به ما لم يكن تحزينًا له ترجيع يشبه الغناء، في مقاطعه ومكاسره أو تحزينا فاحشا يشبه النوح[(١)].

وقال أبو الوليد الباجي رحمه الله في المنتقى: ويكره للقارئ التطريب في قراءته ولا بأس أن يحزن قراءته من غير تطريب ولا ترجيع ولا تحزين فاحش يشبه النوح أو يميت به حروفه ولكن على معنى الترتيل والخشوع قاله ابن حبيب، والأصل في ذلك: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[(٢)].

قال ابن الحاج في المدخل: وينبغي أن يكون من أهل العلم والخير والديانة بخلاف ما يفعله بعضهم اليوم؛ لأن الغالب منهم أنهم إنما يقدمون الرجل لحسن صوته لا لحسن دينه.

وقد **قال مالك** رحمه الله في القوم يقدمون الرجل ليصلِّي بهم لحسن صوته: إنما يقدمونه ليغني لهم، وهذا إذا كان على ما يعلم من التطريب في القراءة ووضعها على الطرائق التي اصطلحوا عليها التي تشبه الهنوك، وأما لو قدموه لدينه وحسن صوته وقراءته على المنهج المشروع فلا شك أن هذا أفضل من غيره[(٣)].

وقال أبو بكر الطرطوشي رحمه الله: وكذلك سعيد بن المسيب نهى

= فليحذر أن يظهر بلسانه من التحزين ما لم يكن في قلبه فإنه من باب خشوع النفاق، وهو أن يكون البدن خاشعًا والقلب ليس كذلك نسأل الله السلامة بمنِّه.

(١) الواضحة لابن حبيب، كتاب الصلاة.

(٢) المنتقى للباجي (١/ ٢٦٤).

(٣) المدخل (٢/ ٤٥٥).

عمر بن عبد العزيز، وقد سمعه يطرب، فأرسل إليه فنهاه عن التطريب فانتهى(١).

وقال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون القراءة بتطريب، وكانوا إذا قرؤوا القرآن قرؤوه حدرًا مرسلًا بحزن(٢).

وقال عبد الله بن عمرو: يقال للقارئ يوم القيامة: اقرأ، واقرأ، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا.

وقال حذيفة: إذا قرأتم القرآن فاقرؤوه بحزن، ولا تجفوا عنه وتعاهدوه ورتلوه ترتيلًا.

وقال محمد بن سيرين: أصوات القرآن محدثة(٣).

وقال كعب: ليقرأن القرآن أقواهم هم أحسن أصواتًا فيه من العازفات بعزفهن ومن حداة الإبل لإبلهم لا ينظر الله إليهم يوم القيامة

وقال أبو ذر: سمعت النبي ﷺ يتخوف على أمته قومًا يتخذون القرآن مزامير، يقدمون الرجل يؤمهم ليس بأفقههم، إلا ليغنيهم.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي، وقد سئل عن القراءة بالألحان، فقال: محدث. انتهى كلام الطرطوشي رحمه الله(٤).

* * *

(١) أورده القرطبي في التفسير (١/ ١٠).
(٢) أورده ابن بطال في شرح البخاري (١٠/ ٢٥٨).
(٣) خرجه ابن وضاح القرطبي في البدع والنهي عنها (رقم ٤٥).
(٤) الحوادث والبدع للطرطوشي (ص ٨٣).

فصل: قراءة القرآن في المسجد

وسئل الإمام مالك رحمه الله عن القراءة في المسجد، فقال: لم يكن بالأمر القديم، وإنما هو شيء أحدث، ولم يأت آخر هذه الأمة بأهدى ما كان عليه أولها والقرآن حسن(١).

وسئل رحمه الله عن النفر يكونون في المسجد، فيخف أهل المسجد فيقولون لرجل حسن الصوت: اقرأ علينا، يريدون حسن صوته، فكره ذلك(٢).

وقال رحمه الله: لم تكن القراءة في المسجد في المصحف من أمر الناس القديم، وأول من أخذ به الحجاج، وأكره أن يقرأ في المسجد في المصحف(٣).

قال أبو الوليد ابن رشد رحمه الله: يريد أن التزام القراءة في المسجد بإثر صلاة من الصلوات أو على وجهٍ ما مخصوص حتى يصير ذلك كأنه سُنة، مثل ما يفعل بجامع قرطبة إثر صلاة الصبح، فرأى ذلك بدعة

وأما القراءة على غير هذا الوجه فلا بأس بها في المسجد، ولا وجه لكراهيتها، وقد قال في آخر رسم المحرم بعد هذا من هذا السماع

---

(١) البيان والتحصيل (١/ ٢٤٢).

(٢) البيان والتحصيل (١/ ٢٧٥، ١٧/ ٢٠٣).

(٣) الجامع لابن أبي زيد (ص ١٩٣).

ما يعجبني أن يقرأ إلا في الصلاة والمساجد لا في الأسواق والطرق[١].

وقال أبو محمد بن أبي زيد ﷺ: وأمّا من يجلس بعد الصبح لقراءة القرآن ويجتمعون بذلك، يريدون فيه الفضل، فهذا محدث لم يكن من السلف، وإنما أحدثه هؤلاء، وإنما كانوا في هذا الوقت يتفرقون ويذكرون الله إلى طلوع الشمس أو قرب طلوعها، ولا ينبغي أن يقال قراءة القرآن أفضل من الذكر في هذا الموطن، لأن هذا تتعين به مراتب كثيرة، وتتعطل أمور بما يتعاطى من هذا التفضيل، فلا ينبغي له أن يخلي نفسه من ساعة الذكر والدعاء مما تقول له نفسه؛ القراءة أفضل من الذكر والدعاء، وتقول له: القراءة أفضل من التطوع بالصلوات فلا ينبغي، ولكل وجه من مراتب العبادات موضع من قلب الرجل ونيته.

قال مالك: لا ينبغي أن يفضل هذه الأمور بهذا، فإنه إن أتى بعد السلف بأفضل مما أتوا به، وقد بارك الله في ذلك بأعظم مما يوجد في غيره. وإنما عليك أن تسلك سبيل السلف في آدابهم وعباداتهم، فهم أهدى طريقًا، وأقلّ تكلفًا، وقد قال ابن مسعود في القوم الذين خرجوا من الكوفة واعتزلوا يذكرون الله في مسجد أعدوه لذلك، ويقرؤون فيه القرآن: إما أن يكونوا أكثر من أصحاب محمد عملًا، أو أتيتم ببدعة ظلمًا، ونهاهم عن ذلك، وأمر بهدم المسجد.

وأما إن كان يفعل ذلك رجل نصب نفسه ليعلِّم القرآن بأجر أو بغير أجر يبتغي مثوبة الذين يعلِّمهم حينئذ؛ فلا بأس بذلك إن شاء الله، والأفضل له أن لا يأخذ في التعليم إلا بعد طلوع الشمس، ويأمر الذين

---

(١) المصدر السابق

يعلِّمهم بغير أجر، فيأتوه حينئذ، ويجعل ذلك الوقت للذكر هو الأفضل وهو أحبُّ إلينا، ولا أقول إنه يأثم إن لم يفعل ذلك، ولكن يستحبُّ له إقامة هذه لينال من كل وجه من الخير نصيبًا يأخذ منه بحظه، فإن ذكر الله أفضل شيء يتقرب به إلى الله تعالى، وكذلك التفكر في أمر الله، وما ينبغي من أمور الآخرة والوعد والوعيد ونعمه المشكورة، وذنب سالف يستعتب منه، واقتراب أجل، وغير ذلك ليربص به نفسه، وليتفقد الزائد والناقص من أحواله، فيفكر في ذلك، فما قصر فيه تلافى تمامه، وما زلَّ فيه فيراجع فيه نفسه، فهذه أمور تقتضيها القلوب بقدر ما يجعل عليه منها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء الله وبالله الاستعانة على مرضاته.انتهى كلام ابن أبي زيد رحمه الله[1].

وقال الإمام الطرطوشي رحمه الله: لأن القراءة مشروعة على وجه العبادة والانفراد بذلك أولى، وإنما يقصد بهذا صرف وجوه الناس، والأكل به خاصة، ونوع من السؤال به، وهذا مما يجب تنزيه القرآن عنه[2].

فصل: الاجتماع على تلاوة القرآن

وسئل مالك رحمه الله: عن النفر يتحلَّقون في السورة الواحدة؟

فكره ذلك، وقال: لا يعجبني هذا من العمل[3].

---

(١) نوازل البرزلي ١/ ٤٨٩

(٢) الحوادث والبدع للطرطوشي ص ٩٦

(٣) البيان والتحصيل (١٧/ ٢٠٣).

وقال رَحِمَهُ اللهُ في القوم الذين يجتمعون جميعًا فيقرؤون في السورة الواحدة مثل ما يفعل أهل الإسكندرية؟

فكره ذلك، وأنكر أن يكون من فعل الناس[١].

وسئل عن الرجل يقعد إليه النفر إبّان الصلاة، فيقرأ لهم فيمر بسجدة فيسجد، أترى أن يسجدوا؟ قال لا أحب له أن يسجد ولا يسجدوا معه، وأرى أن ينهى عن ذلك، فإن أبى أن ينتهي وإلا لم يقعد إليه.

فقيل له: فإنهم جلسوا إليه وشأنهم القرآن، فلا يسجدون إذا مرّوا بسجدة إذا سجد؟

فقال: أما أنا فلم أكن أفعل ذلك، ولا أحب لأحد أن يفعله[٢].

وسئل ابن القاسم رَحِمَهُ اللهُ عن دراسة القرآن بعد صلاة الصبح في المسجد، يجتمع عليه نفر فيقرؤون في سورة واحدة؟

فقال: **كرهها مالك** ونهى عنها ورآها بدعة[٣].

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ: لا بأس أن يجتمع القوم في القراءة عند من يقرئهم أو يفتح على كل واحد منهم فيما يقرأ ويكره الدعاء بعد فراغهم[٤].

وسئل رَحِمَهُ اللهُ عن قراء مصر الذين يجتمع الناس إليهم، وكل رجل

---

(١) البيان والتحصيل (١/ ٢٩٨).
(٢) البيان والتحصيل (١/ ٢٧٨).
(٣) البيان والتحصيل (٢/ ١٧).
(٤) الحوادث والبدع للطرطوشي (ص ٦٥).

منهم يقرئ العصبة يفتح عليهم؟ قال إنه حسن لا بأس به[١].

وسئل أبو إسحاق الشاطبي رحمه الله عن قراءة الحزب بالجمع هل يتناوله قوله ﷺ: «**ما اجتمع قوم في بيت**» الحديث[٢]. كما وقع لبعض الناس أو هو بدعة؟

فأجاب: إن مالكًا سئل عن ذلك فكرهه، وقال هذا لم يكن من عمل الناس.

وفي العتبيَّة: سئل عن القراءة في المسجد يعني على وجه مخصوص كالحزب ونحوه، ، فقال: لم يكن بالأمر القديم، وإنما هو شيء حدث يعني أنه لم يكن في زمان الصحابة والتابعين، قال: ولن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها، وقال في موضع آخر: أترى الناس اليوم أرغب في الخير ممن مضى، يعني أنه لو كان في ذلك خير لكان السلف أسبق إليه، يدل على أنه ليس بداخل تحت معنى الحديث. انتهى كلام الشاطبي[٣].

وسئل أبو الحسن القابسي هل يجوز اجتماع الصغار والبالغين يقرؤون في سورة واحدة جماعة على وجه التعليم؟

فأجاب: إن كنت تريد يفعلون ذلك عند المعلم فينبغي له أن ينظر فيما هو أصلح لهم، فيأمرهم به ويأخذ عليهم فيه، لأن اجتماعهم على

---

(١) الطرطوشي (ص ٩٥، ١٦١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) وأبو داود (١٢٤٣) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده.

(٣) المعيار المعرب (١١/ ١١٢).

القراءة بحضرته يخفي عليه القوي الحفظ من ضعيفه، ولكن إن كانوا من ذلك لهم خفة، فيخبرهم أنه سيعرض كل واحد منهم في حزبه فيؤديه مما يكون منه من غير تقصير، تهديدًا يهددهم بذلك، ولا يوقع الأدب إلا على ذنب بين[١].

قال الونشريسي: قيل وكذلك التجويد، وقد شوهد الإمام ابن عرفة ﷺ يجمع الثلاثة والأربعة في حزب واحد للتجويد، وشوهد أبو الحسن البطريني يجمع الثلاثة في القراءة ولو كانوا مختلفين في القراءة، وذلك لما كثر عليهم المجودون.

لكن إنما كانوا يُقْرِئُونَ لله تعالى، فلا يدركهم هذا الحكم المذكور، وهذا بعد تسليم جواز الاجتماع على القراءة وهو مذهب الجمهور، وتعضده الآثار الصحيحة، وكرهه مالك خشية تقطيع كلامه وبالأول العمل[٢].

* * *

(١) المعيار المعرب (٨/ ٢٤٩).
(٢) نفس المصدر السابق.

فصل: الاجتماع لسماع القصص في المسجد

قال ابن أبي زيد: وأنكر مالك رَحِمَهُ اللَّهُ القصص في المسجد، وقد قال تميم الداري لعمر: «دعني أدعو الله، وأقص وأذِّكر الناس» فقال له عمر لا! فأعاد عليه، فقال «**أنت تريد أن تقول: أنا تميم الداري فاعرفوني**»[١].

قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا أرى أن يجلس إليهم، وإن القصص لبدعة.

قال: وليس على الناس أن يستقبلوهم كالخطيب.

وقال مالك: نهيت أبا قدامة أن يقوم بعد الصلاة فيقول: افعلوا كذا[٢].

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: كان عبد الله بن عمر يقول لبعض من كان يقص: «أخرجني من بيتك».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إن عبد الله بن عمر أقام بعد رسول الله ﷺ ستين سنة، وقد كان ابن مسعود وغيره من أصحاب النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما أعلم أحدًا منهم قص[٣].

وقال في العتبيّة: استبطأ القاسم بن محمد ابنه عبد الرحمن ليلة في الانقلاب، فقال ما حبسك يا بني؟ فقال: مررت بقوم يذكرون الله فجلست معهم، فقال هذا حسن، ولا تعد، قال: **وسمعت مالكًا يقول**:

---

(١) أخرجه ابن وهب في الجامع قال حدثني مالك بن أنس به مرسلا.

(٢) الجامع لابن أبي زيد (ص ١٩٣).

(٣) الجامع لابن وهب (٥٥٨).

سمعت أن سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد، وخارجة بن زيد كانوا لا يجلسون إلى قاصّ الجماعة[١].

وقال أبو الوليد بن رشد رحمه الله: القصص مكروه، وروي عن يحيى بن يحيى أنه قال: خرج معنا فتًى من طرابلس، فكّنا لا ننزل منزلًا إلا وعظنا فيه، حتى بلغنا المدينة، فكنا نعجب بذلك منه، فلما أتينا المدينة إذا هو قد أراد أن يفعل بهم ما كان يفعل بنا، فرأيته في سماط أصحاب السقط وهو قائم يحدثهم، وقد لهوا عنه، والصبيان يحصبونه ويقولون له اسكت يا جاهل، فوقفت معجبًا لما رأيت، فدخلنا على مالك، فكان أول شيء سألناه عنه بعد ما سلَّمنا عليه ما رأينا من الفتى، فقال مالك: أصاب الرجال إذ لهوا عنه، وأصاب الصبيان إذ ذكروا عليه باطله.

قال يحيى: **وسمعت مالكًا** يكره القصص، فقيل: يا أبا محمد! فإذ تكره مثل هذا فعلى ما كان يجتمع من مضى؟ فقال على الفقه، وكان يأمرهم وينهاهم[٢].

وسئل مالك عن الجلوس إلى القصاص، فقال: ما أرى أن يجلس إليهم، وإن القصص لبدعة[٣].

قال ابن وضاح القرطبي في القصاص: لا ينبغي ان يبيتوا في المساجد، ولا يتركوا ان يبيتوا فيها[٤].

* * *

(١) أخرجه ابن وهب في الجامع (٥٥١).

(٢) البيان والتحصيل (١٧/ ٢٩٧).

(٣) البيان والتحصيل (١٨/ ٢٠١).

(٤) البدع والنهي عنها (ص ٥٠).

فصل: قراءة القرآن في رمضان

وسئل مالك رحمه الله عن القراء في رمضان، يقرأ كل رجل منهم في موضع سوى موضع صاحبه؟

= قال ابن الحاج في المدخل (٢/١٩٨): وأعني بمجلس العلم المجلس الذي يذكر فيه الحلال والحرام واتباع السلف رضي الله عنهم، لا مجلس القصاص والوعاظ، إذ إن ذلك بدعة، وقال علماؤنا رحمة الله عليهم: لم يقص في زمان النبي ﷺ، ولا في زمان أبي بكر، ولا في زمان عمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة، وظهر القصاص، ولما دخل علي رضي الله عنه مسجد البصرة أخرج القصاص منه، وقال: لا يقص في المسجد، حتى انتهى إلى الحسن البصري في علوم الأعمال فاستمع إليه ثم انصرف ولم يخرجه.
وجاء ابن عمر إلى مجلسه من المسجد، فوجد قاصًا يقصّ، فوجه إلى صاحب الشرطة أن أخرجه من المسجد فأخرجه.
وقيل لابن سيرين: لو قصصت على إخوانك؟ فقال: قد قيل: لا يتكلم على الناس إلا أمير، أو مأمور، أو أحمق، ولست بأمير، ولا مأمور، وأكره أن أكون الثالث. انتهى.
وقد روى أبو داود في سننه عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يقصّ إلا أمير، أو مأمور، أو مختال) انتهى.
وقال الطرطوشي: قال أبو معمر: رأيت سيارًا أبا الحكم يستاك على باب المسجد، وقاصًا يقص في المسجد، فقلت له: يا أبا الحكم الناس ينظرون إليك! فقال: الذي أنا فيه خير مما هم فيه. أنا في سُنَّة، وهم في بدعة، ولما أن دخل سليمان بن مهران: فتوسط الأعمش الحلقة، وجعل ينتف شعر إبطيه فقال له القاص: يا شيخ ألا تستحي نحن في علم، وأنت تفعل مثل هذا؟! فقال له الأعمش: الذي أنا فيه خير من الذي أنت فيه، قال: كيف؟ فقال: لأني في سُنَّة، وأنت في كذب، أنا الأعمش، وما حدثتك مما تقول شيئًا، فلما سمع الناس ذكر الأعمش انفضوا عن القاصّ، واجتمعوا حوله، وقالوا: حدثنا يا أبا محمد.
وقال أحمد بن حنبل أكذب الناس القصاص، والسؤال، وما أحوج الناس إلى قاصّ صدوق؛ لأنهم يذكرون الموت، وعذاب القبر قيل له: أكنت تحضر مجالسهم؟ قال لا. انتهى كلام ابن الحاج.

فأنكر ذلك وقال: لا يعجبني ولم يكن ذلك من عمل الناس وإنما اتبع هؤلاء فيه ما خف عليهم ليوافق ذلك ألحان ما يريدون وأصواتهم، والذي كان عليه الناس يقرأ الرجل خلف الرجل من حيث انتهى الأول، ثم الذي بعده على مثل ذلك.

قال: وهذا الشأن وهو أعجب ما فيه إلي(١).

فصل: قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ مراراً في الركعة

سئل الإمام مالك رحمه الله عن قراءة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ مراراً في ركعة واحدة؟، فكره ذلك، وقال: هذا من محدثات الأمور التي أحدثوا(٢).

وسئل سفيان الثوري عمن يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ لا يقرأ غيرها، فكرهه، وقال: إنما أنزل القرآن ليقرأ، ولا يخص شيء دون شيء، وإنما أنتم متبعون، ولم يبلغنا عنهم مثل هذا(٣).

* * *

فصل: قول الإمام مالك رحمه الله في التثويب في الأذان

سئل الإمام مالك رحمه الله عن التثويب في رمضان وغيره؟

فقال: ليس ذلك بصواب وقد كان بعض أمراء المدينة أراد أن

---

(١) المدونة (١/ ١٩٤).

(٢) البيان والتحصيل (١ / ٣٧١)، البدع والنهي عنها (ص ٤٣).

(٣) الحوادث والبدع (ص ١٤٨).

يصنع ذلك حتى نهي عنه فتركه[١].

قال أبو الوليد بن رشد رَحِمَهُ اللهُ: التثويب الذي أنكره مالك وقال إنه ليس بصواب، وحكى ابن حبيب وغيره عنه أنه قال فيه إنه ضلال، هو ما أحدثه الناس بعد النبيّ ﷺ من أن المؤذن كان إذا أذن فأبطأ الناس قال بين الأذان والإقامة: قد قامت الصلاة، حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح، روي عن مجاهد أنه قال[٢]: دخلت مع عبد الله بن عمر مسجدًا وقد أذن ونحن نريد أن نصلي فيه، فثوب المؤذن فخرج عبد الله بن عمر من المسجد، وقال اخرج بنا من عند هذا المبتدع، ولم يصلِّ فيه[٣].

وقال الإمام الطرطوشي رَحِمَهُ اللهُ: ومعنى التثويب: هؤلاء الذين يقومون على أبواب المساجد، فينادون الصلاة الصلاة[٤].

وقال محمد بن وضاح رَحِمَهُ اللهُ ثوب المؤذن بالمدينة في زمان مالك، فأرسل إليه مالك فجاءه، فقال له مالك: ما هذا الذي تفعل؟

قال: أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر، فيقوموا.

فقال له مالك: لا تفعل، لا تحدث في بلدنا شيئًا لم يكن فيه، قد كان رسول الله ﷺ بهذا البلد عشر سنين، وأبو بكر وعمر وعثمان، فلم يفعلوا هذا، فلا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه.

فكفَّ المؤذن عن ذلك وأقام زمانًا، ثم إنه تنحنح في المنارة عند

---

(١) البيان والتحصيل (١/ ٤٣٥).
(٢) أورده الترمذي في السنن (١٩٨).
(٣) البيان والتحصيل (١/ ٤٣٥).
(٤) الحوادث والبدع للطرطوشي (ص ١٤٩).

طلوع الفجر، فأرسل إليه مالك، فقال له: ما هذا الذي تفعل؟

قال: أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر.

فقال: ألم أنْهَكَ ألّا تحدث عندنا ما لم يكن؟

فقال: إنما نهيتني عن التثويب.

فقال له مالك: لا تفعل.

فكفَّ زمانًا ثم جعل يضرب الأبواب.

فأرسل مالك إليه، فقال له: ما هذا الذي تفعل؟

فقال: أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر.

فقال له مالك: لا تفعل لا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه.

قال ابن وضاح: وكان مالك يكره التثويب، وإنما أحدث بالعراق(١).

❊ ❊ ❊

---

(١) البدع والنهي عنها لابن وضاح (٨٥).
قال في مواهب الجليل (٣/ ٣١٣): قال ابن وهب عن مالك في المجموعة: التثويب بين الأذان والإقامة في الفجر في رمضان وغيره محدث، وكرهه انتهى.
وقال في الطراز: التثويب بين الأذان والإقامة ليس بمشروع، ولا يعرف إلا الأذان والإقامة فقط، فأما دعاء في آخر الأذان غيرهما فلا.
وقال في العتبية: ليس التثويب بصواب، وروى عنه ابن وهب وابن حبيب أن التثويب بعد الأذان في الفجر في رمضان وفي غيره مكروه، حتى روي عنه على ما في العتبية أنه قال: وتنحنح المؤذن في السحر في رمضان محدث وكرهه، يريد أنهم كانوا يتنحنحون ليعلموا الناس بالفجر، فيركعون، فكره ذلك ورآه مما ابتدع، قال: ولم يبلغني أن السلام على الإمام كان في الزمن الأول. =

فصل: كراهة الأئمة المالكية التغني في الأذان

قال عبد الملك بن حبيب رحمه الله: **قال مالك**: التطريب في الأذان منكر.

قال ابن حبيب، وكذلك التحزين لغير تطريب، ولا ينبغي إماتة حروفه والتغني فيه، والسنة فيه أن يكون مرسلًا حدرًا مستعلنًا يرفع الصوت(١).

عن يحيى البكاء أنَّ رجلًا قال لابن عمر: إني لأحبُّك في الله، فقال له ابن عمر: **لكني أبغضك في الله، لأنك تبغي في أذانك، وتأخذ على أذانك أجرًا**(٢).

قال ابن الأثير: «تبغي في أذانك» أراد التطريب فيه والتمديد من تجاوز الحد(٣).

وفي صحيح البخاري(٤) أن مؤذنًا أذن فطرَّب في أذانه، فقال له

= وقد يقع التثويب على قول المؤذن في أذان الصبح «الصلاة خير من النوم» وقد روي عن بلال قال: (قال لي رسول الله ﷺ لا تثويب في شيء من الصلاة إلا صلاة الفجر).

وليس هذا التثويب الذي كرهه أهل العلم؛ لأنه من سنة الأذان، وبالله التوفيق انتهى.

(١) النوادر والزيادات (١/ ١٦١).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٨٥٣) وابن أبي شيبة (١/ ٢٠٧) وابن المنذر في الأوسط (٣/ ٦٣) والفاكهي في أخبار مكة (١٢٦٢) وابن عدي في الكامل (٧/ ١٩٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث (١/ ١٤٤).

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٣) وخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١/ ٢٠٧).

عمر بن عبد العزيز: **أذِّن أذانا سمحًا وإلا فاعتزلنا.**

قال سحنون لابن القاسم: فما قوله ـ يعني مالك ـ في التطريب في الأذان؟

قال: ينكره، وما رأيت أحدًا من مؤذني أهل المدينة يطرِّبون(١).

وكان الإمام مالك رحمه الله يكره التطريب في الأذان كراهية شديدة(٢).

قال أشهب رحمه الله: قال مالك: وإني لأكره التطريب في الأذان، ولقد هممت أن أكلِّم أمير المؤمنين في ذلك لأني كنت أسمعهم يؤذنون(٣).

وقال أبو بكر الأبهري رحمه الله: وكذلك التطريب في الأذان مكروه، لأنه يشبه ذلك أيضًا الغناء تجري مجرى اللَّهْوِ والفرح، فالقرآن وذكر الله يرتفع عن ذلك ويجب أن يتنزه عنه(٤).

قال القرافي: أنكر في الكتاب التطريب في الأذان، قال ابن القاسم: ما رأيت أحدًا من مؤذني المدينة يطرِّب. يعني العمل على خلافه، والتطريب من الاضطراب الذي يصيب الإنسان من الخوف أو الفرح، مشبه بتقطيع الصوت وترديده بذلك، وكرهه لما فيه من التشبيه بالغناء الذي ينزه التقرب عنه.

وفي الجواهر قال ابن حبيب: وكذلك التحزين بغير تطريب، ولا

---

(١) المدونة (١/ ٦٢).
(٢) المدونة (١/ ٦٣).
(٣) شرح جامع ابن عبد الحكم من المختصر للأبهري (١٢٥).
(٤) شرح مختصر ابن عبد الحكم (ص ١٢٦).

يبالغ في المدّ بل يكون عدلًا. قال صاحب الطراز والسنة أن يكون محددًا عالياً[١].

* * *

حكم الدعاء بعد الإقامة بقوله: أقامها الله وأدامها

قال الطرطوشي رحمه الله[٢]: قول من يقول عند قيام الإمام في

(١) الذخيرة للقرافي (٢/ ٤٧).
قال في المدخل لابن الحاج (٢/ ٣٧١): فصل في النهي عن الأذان بالألحان: وليحذر في نفسه أن يؤذن بالألحان وينهى غيره عما أحدثوا فيه مما يشبه الغناء، وهذا ما لم يكن في جماعة يطربون تطريبًا يشبه الغناء حتى لا يعلم ما يقولونه من ألفاظ الأذان إلا أصوات ترتفع وتنخفض، وهي بدعة مستهجنة قريبة العهد بالحدوث، أحدثها بعض الأمراء بمدرسة بناها، ثم سرى ذلك منها إلى غيرها.
وهذا الأذان هو المعمول به في الشام في هذا الزمان، وهي بدعة قبيحة إذ إن الأذان إنما المقصود به النداء إلى الصلاة، فلا بدَّ من تفهيم ألفاظه للسامع، وهذا الأذان لا يفهم منه شيء لما دخل ألفاظه من شبه الهنوك والتغني.
وقد ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ)، وقد روى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: (كان لرسول الله ﷺ مؤذن يطرِّب، فقال رسول الله ﷺ: إن الأذان سهل سمح، فإن كان أذانك سهلًا سمحًا وإلا فلا تؤذن) أخرجه الدارقطني في سننه.
وقال الإمام أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه: ومما أحدثوه التلحين في الأذان وهو من البغي فيه والاعتداء.
قال رجل من المؤذنين لابن عمر إني لأحبك في الله فقال له لكني أبغضك في الله فقال: ولمَ يا أبا عبد الرحمن قال: لأنك تبغي في أذانك وتأخذ عليه أجرة.
وكان أبو بكر الآجري رحمه الله يقول: خرجت من بغداد ولم يَحْلَ لي المقام بها، قد ابتدعوا في كل شيء حتى في قراءة القرآن، وفي الأذان يعني الإجارة والتلحين.
(٢) الحوادث والبدع للطرطوشي (ص ١٥٢).

المحراب قبل تكبيرة الإحرام: اللهمَّ أقمها وأدمها[١] ما دامت السماوات والأرض! وهذا دعاء المحال، لأن ما بقي لقيام الساعة أقل مما مضى، بدليل قوله ﷺ «بعثت أنا والساعة كهاتين» وقرن السبابة بالوسطى[٢].

* * *

فصل: حكم الجهر والتلفظ بالنية في الصلاة

سئل أبو سعيد بن لبّ المالكي رحمه الله[٣] هل الأفضل عند مالك في النية النطق باللسان أو الاقتصار على اعتقاد الطهارة والصلاة؟

فأجاب: النية في الأعمال حقيقتها عزمة القلب خاصة، والتلفظ بالمنوي غير النية، وذلك غير مشروع عند المالكية، وقد أوجبه قوم، قال

---

(١) روى أبو داود في السنن (١/ ١٤٥) من طريق محمد بن ثابت عن رجل من أهل الشام عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة أو عن بعض أصحاب النبي ﷺ أن بلالًا أخذ في الإقامة، فلما أن قال: (قد قامت الصلاة) قال النبي ﷺ (أقامها الله وأدامها) وهذا الحديث إسناده غير مقبول عند علماء الحديث، وقد ضعفه الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير (١/ ٢٢٢).

(٢) خرجه البخاري (١١/ ٢٩٩) ومسلم (٢٩٥١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) ابن لبّ، فرج بن قاسم بن أحمد الثعلبي الغرناطي، إمامها ومفتيها، الإمام المشهور، قال السراج: شيخنا كان فقيهًا أستاذًا مقرئًا عالمًا علمًا، صدرًا وخيرًا، خطيبًا شهيرًا، شيخ الشيوخ، وأستاذ الأساتذة، انتهت إليه رئاسة الفتوى في العلوم، يقف أهل زمانه عندما يقول، قال التنبكتي: وبالجملة فهو من أكابر متأخري علماء المذهب ومحققيهم، وصل درجة الاجتهاد في المذهب إلى القيام التام على الفنون وتحقيق العلوم حتى قال الإمام الموافق: شيخ الشيوخ أبو سعيد الذي نحن على فتاويه في الحلال والحرام، توفي سنة (٧٨٢ هـ) كفاية المحتاج (ص٢٧٥).

المالكية في هذا القول: إنه لا يقتضيه نظر، ولا يعضده أثر(١).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه سمع بعض أهله يسمي بحج، يقول: لبيك بحجة، فصكَّ في صدره، وقال: **أتعلم الله بما في نفسك!!**(٢).

* * *

فصل: سجود الشكر

قال أشهب رحمه الله: **سألت مالكًا** عن الحديث الذي جاء أن أبا بكر الصديق لما أتاه خبر اليمامة سجد؟(٣).

قال: فقال: ما يكفيك أنه قد فتح لرسول الله ﷺ الفتوح فلم يسجد!؟ وفتح لأبي بكر في غير اليمامة فلم يسجد؟! وفتح لعمر بن الخطاب فلم يسجد(٤).

ومن العتبية: روى أشهب عن مالك فيمن بلغه شيء يحبه، فسجد شكرًا لله؟

قال: لا يفعل، ليس مما مضى من أمر الناس، قيل له إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه فيما يذكرون سجد يوم اليمامة شكرًا لله، أفسمعت ذلك؟

---

(١) المعيار المعرب ١/١٤٦

(٢) أخرجه البيهقي في السنن (٥/ ٤٠).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الصلاة، باب (٨٠٨) في سجدة الشكر (٢/ ٥٤٣)، رقم (٨٤٩٠) وعبد الرزاق في المصنف (٣/ ٣٥٨) رقم (٥٩٦٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٣٧١) وعزاه ابن القيم إلى سنن سعيد بن منصور كما في زاد المعاد (١/ ٣٦٢)، وإسناده ضعيف، في إسناده رجل لم يسمَّ.

(٤) البدع والنهي عنها (ص ٩١).

قال: لا، ما سمعت ذلك، وأنا أرى أن قد كذبوا على أبي بكر، وهذا من الضلال أن يسمع المرء الشيء فيقول: هذا شيء لم نسمع له خلافًا.

فقيل له: إنما نسألك لنعلم رأيك، فنرد ذلك به.

فقال: نأتيك بشيء آخر أيضًا لم تسمعه مني، قد فتح الله سبحانه على النبي ﷺ، وعلى المسلمين بعده، أفسمعت أن أحدًا منهم فعل مثل هذا؟!

إذا جاءك مثل هذا مما قد كان في الناس، وجرى على أيديهم، لا يسمع عنهم فيه شيء، فعليك بذلك، فإنه لو كان لذكر، لأنه من أمر الناس الذي قد كان فيهم، فهل سمعت أن أحدًا منهم سجد، فهذا إجماع.

إذا جاءك أمر لا تعرفه فدعه.

قال عنه ابن القاسم في المجموعة: وقد فعله بعض أمراء بني أمية، ولم يكن معه فقه[١].

وقال ابن القاسم: **وسألت مالكًا** عن سجود الشكر يبشر الرجل ببشارة فيخر ساجدًا؟ فكره ذلك[٢].

قال ابن رشد رحمه الله: **نهي مالك** رحمه الله عن سجود الشكر في هذه الرواية، مثل ما له في المدونة من كراهة ذلك، والوجه في ذلك أنه لم يره مما شرع في الدين فرضًا ولا نفلًا، إذ لم يأمر بذلك النبي عليه السلام، ولا فعله، ولا أجمع المسلمون على اختيار فعله.

---

(١) النوادر والزيادات (١/ ٥٢١)، البيان والتحصيل (١/ ٣٩٢).

(٢) المدونة (١/ ١٦٥).

والشرائع لا تثبت إلا من أحد هذه الوجوه، واستدلاله على أن رسول الله ﷺ لم يفعل ذلك، ولا المسلمون بعده، بأن ذلك لو كان لنقل صحيح، إذ لا يصح أن تتوفر دواعي المسلمين على ترك نقل شريعة من شرائع الدين وقد أمروا بالتبليغ، وهذا أيضًا من الأصول(١).

❊ ❊ ❊

فصل: حكم المصافحة بعد السلام من الصلاة

قال البرزلي في النوازل: سئل عز الدين عن المصافحة عقب صلاة الصبح والعصر مستحبة أم لا؟

فأجاب: المصافحة عقب صلاة الصبح والعصر من البدع، إلا لقادم يجتمع بمن يصافحه قبل الصلاة، فإن المصافحة مشروعة عند القدوم(٢).

---

(١) البيان والتحصيل (١/ ٣٩٢).

قال القاضي عبد الوهاب في المعونة (٣/ ١٧٤٦): فصل: خبر الآحاد لعمل أهل المدينة:

إذا روي خبر من أخبار الآحاد في مقابلة عملهم المتصل، وجب اطّراحه والمصير إلى عملهم، لأن هذا العمل طريقته طريق النقل المتواتر، فكان إذا أولى من أخبار الآحاد... وليس هذا القول بأنا لا نقبل الخبر حتى يصحبه العمل في شيء، لأنه لو ورد خبر في حادثة لا نقل لأهل المدينة فيه لقبلناه، وإذن كنا نطرحه إذا عاد برفع نص، وهذا مذهب السلف وأكابر التابعين، مثل سعيد بن المسيب إذ أنكر على ربيعة معارضته إياه في المعاقلة، وأبي الزناد، وأبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيرهم. انتهى

وللدكتور حسان بن محمد فلميات المدرس بكلية التربية، جامعة الملك عبد العزيز، بحث بعنوان: خبر الواحد إذا خالف عمل أهل المدينة.

(٢) نوازل البرزلي (٦/ ٤٩٢).

فصل حكم الدعاء بعد السلام من الصلاة

سئل الإمام مالك رحمه الله عن قيام الرجل بعد فراغه من الصلاة يدعو قائمًا؟

فقال: ليس هذا بصواب ولا أحب لأحد أن يفعله[١].

وسئل الشيخ الحافظ أبو العباس أحمد بن قاسم القباب[٢] من أئمة فاس عن حكم الدعاء إثر الصلاة؟

فأجاب رحمه الله بما نصه: الحمد لله وبالله تعالى التوفيق، إن الذي عندنا ما عند أهل العلم في ذلك، من أن ذلك بدعة قبيحة، ولو لم يتق منها إلا هذا الواقع من أن من ترك ذلك يرى أنه أتى منكرًا وينهى عنه.

وذلك من علامة الساعة أن يصير المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، وقد أخرج مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا سلم لم يقعد إلا مقدار ما يقول: «اللهمَّ أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»[٣].

وأخرج البخاري من حديث أم سلمة: **أنه ﷺ كان يمكث إذا سلم بمكانه يسيرًا**، قال ابن شهاب: حتى ينصرف النساء فيما نرى[٤].

وروي عن أنس رضي الله عنه في غير الصحيح قال: صليت خلف النبي ﷺ، فكان ساعة يسلم يقوم، ثم صليت مع أبي بكر، فكان إذا سلم

---

(١) البيان والتحصيل (١/ ٣٦٢)، الحوادث والبدع (ص ٦٦).
(٢) سبقت ترجمته (ص ٨٧).
(٣) صحيح مسلم (٩٣١).
(٤) صحيح البخاري (٨٤٩).

وثب كأنه على رضفة، يعني الحجر المحمي[(١)].

وقد عدَّ الفقهاء قيام الإمام من موضعه ساعة يسلم من فضائل الصلاة، وقال مالك في المدونة: إذا سلم فليقم ولا يقعد إلا أن يكون في سفر أو في فنائه.

ونقل ابن يونس عن ابن وهب عن خارجة[(٢)] أنه كان يعيب على الأئمة قعودهم بعد السلام، وقال إنما كانت الأئمة ساعة تسلم تقوم[(٣)].

وقال عمر رضي الله عنه: جلوسه بدعة.

وقال ابن مسعود: لأن يجلس على الرضفاء خير له من ذلك[(٤)].

---

(١) خرجه عبد الرزاق (٣٢٣١) وابن خزيمة في الصحيح (١٧١٧)، والحاكم (٧٨٤)، وقال هذا حديث صحيح رواته ثقات، غير عبد الله بن فروخ، فإنهما لم يخرجاه لجرح فيه، وهذه سنة مستعملة لا أحفظ لها غير هذا الإسناد، وبوب ابن خزيمة عليه باب نهوض الإمام عند الفراغ من الصلاة التي يتطوع بعدها ساعة يسلم من غير لبث إذا لم يكن خلفه نساء.

(٢) خارجة ابن الصحابي الجليل زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه روى عن أسامة بن زيد وأبيه زيد بن حارثة، قال عبيد الله بن عمر: كان الفقه بعد أصحاب رسول الله ﷺ بالمدينة في خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وقبيصة بن ذؤيب، وعبد الملك بن مروان، وسليمان بن يسار، وقال مصعب بن عبد الله الزبيري: كان خارجة بن زيد وطلحة ابن عبد الله بن عوف في زمانهما يستفتيان وينتهي الناس إلى قولهما، مات سنة (١٠٠هـ) (تهذيب الكمال ٥/ ٣١٨).

(٣) رواه ابن وهب عن يونس بن يزيد أن أبا الزناد أخبره قال: سمعت خارجة بن زيد بن ثابت (المدونة ١/ ٣٦٩) ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١٨٢) من طريق ابن جريج أخبرني زياد عن أبي الزناد عن خارجة مثله، وإسناده صحيح.

(٤) قال في المدونة (١/ ٣٦٩): قال ابن وهب: وبلغني عن ابن شهاب أنها السنة. قال ابن وهب: وقال ابن مسعود: يجلس على الرضف خير له من ذلك. =

ونقل الفقهاء في توجيه استحباب السرعة في القيام له، أن جلوسه هناك يدخل عليه به كبر وترفع على الجماعة، وتزين في انفراده بموضع عنهم يري به الداخل أنه إمامهم، وأما انفراده به حال الصلاة فضرورة.

فإذا كان هذا في الانفراد بالموضع، فكيف بما انضاف إليه من تقدمه إياهم للتوسل به في الدعاء والرغبة، وتأمينهم على دعائه جهرًا.

ولو كان هذا حسنًا لفعله النبي ﷺ وأصحابه، ولم ينقل ذلك أحد من العلماء، مع تواطئهم على نقل جميع أموره، حتى هل كان ينصرف من الصلاة على اليمين أو على اليسار.

وقد نقل ابن بطال في شرح البخاري عن علماء السلف من إنكار ذلك والتشديد فيه على من فعله ما فيه كفاية، ونقل عن أربعة من التابعين جوازه في الأمر يحدث من قحط، أو خوف ونحوه من ملمّ.

ومن العتبيّة سئل مالك عن قيام الرجل بعد فراغه من الصلاة يدعو قائمًا قال ليس هذا بصواب ولا لأحد أن يفعله. انتهى كلام القباب رحمه الله[1].

وقال أبو القاسم البرزلي رحمه الله في النوازل: سئل عز الدين عن... الدعاء عقب السلام، مستحب للإمام في كل صلاة أم لا؟ وعلى الاستحباب هل يلتفت أو يستدبر القبلة أو يدعو مستقبلًا لها؟ وهل يرفع صوته أو يخفض.

= قال ابن وهب: وبلغني عن أبي بكر الصديق: أنه كان إذا سلم لمكانه على الرضف حتى يقوم، وأن عمر بن الخطاب قال: جلوسه بعد السلام بدعة.

(١) المعيار المعرب (١/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤).

فأجاب:... كان عليه الصلاة والسلام يأتي بعد السلام بالأذكار المشروعة، ويستغفر ثلاثًا ثم ينصرف، وروي أنه قال «ربِّ قني عذابك يوم تبعث عبادك»[(١)] والخير كله في اتباع الرسول ﷺ، وقد استحب الشافعي للإمام أن ينصرف عقب السلام[(٢)].

قال البرزلي تعليقًا على الفتوى السابقة: وأما ما ذكره مما يكون عقب الصلاة، فيحتمل أن يكون دليلًا للدعاء، ويوقف عند ما ورد خاصة، ولم يأت نص صريح عنه في ذلك.

وسئل عنه بعض متأخري التونسيين، ونص السؤال: ما تقول في الدعاء بعد الصلوات والناس يؤمنون كما هي عادة الناس في البلاد، هل سنة أو بدعة مستحبة؟ فإن قلتم مستحبة فمن استحبها. وكذا إن قلتم بدعة...

فأجاب: الدعاء دبر الصلاة على الصفة التي ذكرتم بدعة.، وكذا قول المؤذن عند الفجر: «أصبح ولله الحمد» بدعة، وفي كتب الأوائل: أول من فعل ذلك المهدي إمام الموحدين[(٣)]، واستدل على الأول بقوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح ٧ ـ ٨][(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (٧٠٩) من حديث البراء بن عازب، قال: كنا إذا صلينا خلف رسول الله ﷺ أحببنا أن نكون عن يمينه يقبل علينا بوجهه قال فسمعته يقول رب قني عذابك يوم تبعث (أو تجمع) عبادك.

(٢) نوازل البرزلي (٦/ ٤٩٢).

(٣) يعني بن ابن تومرت، وقد تقدمت ترجمته

(٤) نوازل البرزلي (٦/ ٤٩٦)، (١/ ٣٤٨)، وعزاه ابن فودي في إحياء السنة وإخماد البدعة (ص ٩٦) إلى شرح المنهج المنتخب للمنجوري.

قال الشيخ ابن فودي رحمه الله[1] في تعداد البدع:

ومن ذلك الدعاء دبر الصلاة بكيفية معلومة، وهو أن يدعو الإمام، ويؤمن الناس، وهو بدعة مكروهة في مذهب مالك[2].

وقال أبو إسحاق الشاطبي رحمه الله: بدعة التزام الدعاء إثر الصلوات دائمًا على الهيئة الاجتماعية بلغت ببعض أصحابها إلى أن كان الترك لها موجبًا للقتل عنده[3]!

وقال البرزلي رحمه الله: ومما أنكره أيضًا - يعني الرجراجي - الدعاء عقب الصلاة إمّا مطلقًا، وإما على هذه الصفة الخاصة التي الناس عليها اليوم[4].

وفي المدخل أنه لم يرو أن النبي ﷺ صلى صلاة فسلم منها فبسط يديه ودعا، وأمن المأمومون على دعائه، وكذلك الخلفاء الراشدون بعده رضي الله عنهم، وكذلك باقي الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وشيء لم يفعله النبي ﷺ، ولا أحد من أصحابه فلا شك أن تركه أفضل من فعله، بل هو بدعة انتهى[5].

وسئل أبو إسحاق الشاطبي رحمه الله عن دعاء الإمام للجماعة في أدبار الصلوات، هل في السنة ما يعضده أو ينافيه؟

---

(١) الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان بن فودي رحمه الله، من متأخري المالكية المجددين في القارة الإفريقية، له كتاب: إحياء السنة وإخماد البدعة.

(٢) إحياء السنة وإخماد البدعة لابن فودي (ص ٩٥).

(٣) إحياء السنة وإخماد البدعة لابن فودي (ص ٩٩)، وينظر المعيار المعرب (١١/ ١١٣).

(٤) إحياء السنة وإخماد البدعة لابن فودي (ص ٩٦).

(٥) إحياء السنة وإخماد البدعة لابن فودي (ص ١٠٠).

فأجاب: إن دعاء الإمام للجماعة في أدبار الصلوات ليس في السنة ما يعضده، بل فيها ما ينافيه، فإن الذي يجب الاقتداء به سيد المرسلين محمد ﷺ، والذي يثبت عنه من العمل بعد الصلوات إما ذكر مجرد لا دعاء فيه كقوله: «**اللهمَّ لا مانع لما أعطيت**»[(١)] وأشياء من ذلك، وإما دعاء يخص به نفسه كقوله: «اللهمَّ اغفر لي ما قدمت وما أخرت»[(٢)] وأشباهه، ولم يثبت عنه أنه دعا للجماعة، وما زال كذلك مدة عمره ثم الخلفاء الراشدون بعده، ثم السلف الصالح، إلى أن نص العلماء أن الإمام إذا سلم انصرف ولا يقعد في مكان إمامته، أفبعد هذا إشكال لمن وفق وألهم رشده؟[(٣)].

فصل: التكبير أدبار الصلوات

سئل الإمام مالك رحمه الله عن التكبير خلف الصلوات بأرض العدو؟

فقال: ما سمعته إنما هو شيء أحدثه المسودة.

فقيل له: فإن بعض البلدان يكبرون دبر المغرب والصبح؟

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠٨) ومسلم (٥٣٩) أن المغيرة بن شعبة كتب إلى معاوية، أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة وسلم قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهمَّ لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد».

(٢) أخرجه أبو داود كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا سلم من الصلاة (١٥٠٩) من حديث علي بن أبي طالب قال: كان النبي ﷺ إذا سلم من الصلاة قال «اللهمّ اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت» وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٣) المعيار المعرب (١١/ ١١٣)، وانظر الاعتصام للشاطبي ١(/ ٤٥٢).

فقال: هو ما أحدثه المسودة.

قال أبو الوليد بن رشد ﵀: المسودة هم القائمون على بني أمية بدولة بني العباس، وكانت لهم ألوية سود فنسبوا إليها.

وأنكر في هذه الرواية التكبير دبر الصلوات بأرض العدو، وسكت عنه في غير دبر الصلوات، وأجازه في الجهاد من المدونة، وفي سماع أشهب من كتاب الجهاد بحضرة العدو وبغير حضرتهم، وسكت عن دبر الصلوات، فكل واحد من الروايتين مبينة لصاحبتها.

وحكى ابن حبيب: أن أهل العلم يستحبون التكبير في العساكر والثغور والمرابطات دبر صلاة العشاء وصلاة الصبح، تكبيرًا عاليًا ثلاث تكبيرات، ولم يزل ذلك من شأن الناس قديمًا، وسمعتهم يكرهون التطريب في ذلك، وأن يتقدمهم واحد بالتكبير أو التهليل، ثم يجيبه الآخرون بنحو كلامه جمًّا غفيرًا، ولا بأس أن يخترق تكبيره.

وما ذهب إليه مالك من كراهية التكبير دبر الصلوات أظهر، لأنه أمر لم يكن في الزمن الأول، ولو كان لذكر ونقل، والله أعلم[١].

* * *

فصل: نوع من التكبير المبتدع

قال أبو عبد الله القرطبي ﵀: فأما ما يفعله الوعاظ على المنابر والمشاؤون على البلدان والمناهل، كما شاهدناه من بعضهم كان إذا خرج من البلد الذي بات فيه أمر من معه فكبروا، فإذا أبعدوا سكتوا،

(١) البيان والتحصيل (١/ ٣٠٦)، الحوادث والبدع (ص ٦٦).

وإذا قربوا من موضع آخر هللوا، ورفعوا هكذا.

فذلك حدث في الدين، وخلاف ما عليه علماء المسلمين، وذلك أقرب إلى الرياء منه إلى الإخلاص ليستأكل به الأموال، ويرى بعين المهابة والإجلال، والله يعلم بالنية يوم تبلى السرائر، ويظهر ما في الضمائر، أصلح الله قلوبنا بمنه وفضله ورحمته آمين[(١)].

فصل: صفة التكبير المشروع أيام التشريق والبدعة التي أحدث الناس

قال في المدخل: قد مضت السنة أن أهل الآفاق يكبرون دبر كل صلاة من الصلوات الخمس في أيام إقامة الحاج بمنى، فإذا سلم الإمام من صلاة الفرض في تلك الأيام كبر تكبيرًا يسمع نفسه ومن يليه، وكبر الحاضرون بتكبيره، كل واحد يكبر لنفسه، لا يمشي على صوت غيره، على ما وصف من أنه يسمع نفسه ومن يليه.

فهذه هي السنة، وأما ما يفعله بعض الناس اليوم من أنه إذا سلم الإمام من صلاته كبر المؤذنون على صوت واحد، على ما يعلم من زعقاتهم، ويطولون فيه والناس يستمعون إليهم، ولا يكبرون في الغالب، وإن كبر أحد منهم فهو يمشي على أصواتهم، وذلك كله من البدع، وفيه إخرام حرمة المسجد، والتشويش على المصلين والتالين والذاكرين انتهى[(٢)].

وقال عبد الملك بن حبيب رحمه الله: سمعت أهل العلم يكرهون

(١) مقدمة الأسنى شرح أسماء الله الحسنى (ص ٢٥٤).

(٢) المدخل لابن الحاج (٢/ ٤٥١)، ونقله عنه الحطاب في مواهب الجليل (١٩٨/٢).

التطريب في ذلك ـ يعني التكبير ـ ، وأن يتقدمهم واحد بالتكبير أو التهليل، ثم يجيبه الآخرون بنحو كلامه جمًّا غفيرًا(١).

فصل: التهنئة في يوم العيد

سئل الإمام مالك رحمه الله: هل يكره للرجل أن يقول لأخيه إذا انصرف من العيد: تقبل الله مني ومنك، وغفر الله لنا ولك، ويرد عليه أخوه مثل ذلك؟ فقال لي: لا نكره مثل ذلك(٢).

قال أبوالوليد بن رشد رحمه الله: حكى ابن حبيب في الواضحة عن مالك من رواية مطرف وابن كنانة أنه سئل عن ذلك؟ فقال: لا أعرفه ولا أنكره، يريد أنه لا يعرفه في السنة، ولا ينكره لأنه قول حسن.

قال ابن حبيب: وقد رأيت ذلك يقال لمن أدركت من أصحاب مالك، فيردون منه ولا يستنكرونه، إلا أني لم أرهم يبدؤون به أحدًا، قال: ولا بأس أن يبدأ به لإخوانه، لأنه إن كان فطرًا فهو على إثر خاتمة الصيام، وأداء الفطرة، وإن كان أضحى فهو على إثر صيام العشر وعلى إثر التضحية.

وإنما اشتقَّه أولًا من دعاء الناس بعضهم لبعض بذلك في الحج أيام الحج، فاستفاض في غيرهم، ومنه اشتق أيضًا القول الذي جرى في كلام الناس في الأضحى: «أدركتَ ما أدركَ الصالحون»، معناه أدركت الحج كما أدركه الحجيج في هذا اليوم، وذلك أن الله عز وجل قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ

(١) البيان والتحصيل (١/ ٣٠٦).
(٢) البيان والتحصيل(١٨/ ٤٥٢).

فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون ٩ ـ ١٠] قال ابن عباس وغيره: يقول: «فأصدق» فأؤدي الزكاة «وأكن من الصالحين» أحج البيت.

وقد روي عن بعض أصحاب مالك أنه كره أن يقول: أدركتَ ما أدرك الصالحون، ولم ير بأسًا أن يقول: تقبل الله منا ومنك، وليس بين الأمرين فرق بيِّن، لأنه دعاء بخير في الوجهين، وكأن المفرق بين الدعاء رأى أن الرجل أحوج إلى أن يتقبل منه عمله فيما مضى من أن يعيش فيعمل الخير فيما يستقبل، لأنه إن لم يتقبل منه أعماله المفروضات، بقيت عليه فيها التبعات، وإن مات لم تكن عليه تبعاته فيما لم يدرك وقته من المفروضات.

وسئل عن التهادي للقرابة في يوم العيد والتزاور بعضهم بعض، فأجاز ذلك، ومعناه إذا لم يقصد زيارته في يوم العيد من أجل أنه يوم العيد حتى يجعل ذلك من سنة العيد، وإنما زار قريبه أو أخاه في الله ﷻ من أجل تفرغه لزيارته في ذلك اليوم.

فما أحدث الناس اليوم من التزام الزوار في ذلك اليوم كالسنة التي تلزم المحافظة عليها، وترك تضييعها، هو بدعة من البدع المكروهة، تركها أحسن من فعلها.

وليس للرجل أن يستعمل عبده يوم الفطر، ولا أيام النحر إلا في الخدمة اليسيرة من استقاء الماء وشبهه، فأما أن يبعثه للحرث والحصاد وشبه ذلك فلا.

وأما الرجل في خاصة نفسه، فيقال له إنما هي أيام أكل وشرب وذكر لله، فإن أبى إلا أن يعمل لم يكن بذلك بأس وبالله التوفيق[١].

* * *

(١) البيان والتحصيل (١٨/ ٤٥٢).

فصل: صلاة الضحى جماعة

روى ابن حبيب عن **مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس من الأمر الذي يواظب عليه العامة أن يصلي الرجل بالنفر سبحة الضحى وغيرها من النافلة بالليل والنهار غير نافلة رمضان، إلا أن يكون معه نفرًا قليلًا، الرجلين والثلاثة ونحوه، من غير أن يكون أمرًا كثيرًا مشهورًا[١].

في الصحيحين[٢] قال مجاهد: دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد، فإذا عبد الله بن عمر مستند إلى حجرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وإذا الناس في المسجد يصلون الضحى، فقلنا ما هذه الصلاة؟ فقال: بدعة.

في الفتح: قال عياض وغيره: إنما أنكر ابن عمر ملازمتها وإظهارها في المساجد، وصلاتها جماعة، لا أنها مخالفة للسنة، ويؤيده ما رواه ابن أبي شيبة[٣] عن ابن مسعود: أنه رأى قومًا يصلُّونها، فأنكر عليهم وقال: إن كان ولا بد ففي بيوتكم[٤].

وقال الطرطوشي: ومحمله عندي على أحد وجهين: إما أنهم كانوا يصلونها جماعة، وإما أنهم كانوا يصلونها معًا أفذاذًا على هيئة النوافل في أعقاب الفرائض[٥].

---

(١) الحوادث والبدع للطرطوشي (ص ٥٣).

(٢) صحيح البخاري (١٧٧٥)، ومسلم (١٢٥٥).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٢٩٦).

(٤) فتح الباري (٣ / ٥٣).

(٥) الحوادث والبدع للطرطوشي (ص ٥٣).

فصل كراهة الأئمة المالكية رحمهم الله زخرفة المساجد وتزيينها

قال سحنون رحمه الله: قلت لابن القاسم: أكان مالك يكره التزويق في القبلة؟

قال: نعم، كان يكرهه، ويقول: يشغل المصلين.

قال مالك رحمه الله: وكان عمر بن عبد العزيز قد كان همَّ أن يقلع التذهيب الذي في القبلة، فقيل له إنك لو جمعت ذهبه لم يكن شيئًا، فتركه[١].

وقال الإمام مالك رحمه الله: ولقد كره الناس تزويق المسجد حين جعل بالذهب والفسيفساء، وأول ذلك مما يشغل الناس في صلاتهم، وكان الوليد بن عبد الملك بنى المسجد بناءً عجيبًا، ولما ولي عمر بن عبد العزيز أراد نزعه فقيل له: إنه لا يخرج منه كبير شيء من الذهب فتركه[٢].

قال الطرطوشي رحمه الله: وروى سعيد بن عفير في تاريخه: أن عمر بن عبد العزيز أمر بمسجد دمشق أن ينزع ما فيه من الفسيفساء والمذهبة وبيعه وإدخال ثمنه في بيت المال، فكلمه كبراء أهل دمشق، وأخبروه بما لقي المسلمون في بنائه مع الوليد السنين الطويلة، وحمل فسيفسائه من أرض الروم، فأمر أن تستر عجائبه بالكرابيس ـ يعني ثياب القطن الغلاظ لئلا يلهيَ المصلي.

---

(١) المدونة (١/ ٣١٧).

(٢) البيان والتحصيل (١/ ٢٧٠)، الحوادث والبدع (ص ١٠٦).

وإنما فعل ذلك حين حاجَّه الدمشقيون فقال: حمل الوليد من ذلك ما تحمل.

ثم بلغ عمر بن عبد العزيز أن بطريقًا عظيمًا وفد من أرض رومية ـ دمرها الله ـ، فلما نظر إلى مسجد دمشق ـ وكان قبل ذلك كنيسة ـ هاله ذلك وقال: ما كنا نتحدث بتعجيل دولتنا، والله ما رفع هذا البيت لنا ولا لغيرنا من ملوك الأرض وأهل القوة في إقبال الدنيا وعمارتها، ورفع لهم ذلك عند انقطاع الدنيا وإذن في خرابها، وإن لهم لدولة مدة طويلة.

فبلغ مقالته عمر بن عبد العزيز، فقال: لا أرى مسجد دمشق إلا غيظًا للكفار فأمر كاتبه بتخريق رقعة الستور(١).

وقال الطرطوشي: وروى البخاري(٢) في صحيحه أن عمر أمر ببناء مسجد، وقال: أَكِن الناس من المطر، وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس!

وقال أيضًا: أليس يتباهون بها ثم لا يعمرونها إلا قليلًا(٣).

---

(١) الحوادث والبدع للطرطوشي (ص ١٠٧).

(٢) أورده البخاري معلقًا، كتاب الصلاة، باب (٦١) بنيان المسجد (١/ ٩٦)، وقال أبو سعيد: كان سقف المسجد من جريد النخل وأمر عمر ببناء المسجد، وقال: أَكِن الناس من المطر وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس.

(٣) أورده البخاري معلقًا، كتاب الصلاة، باب (٦١) بنيان المسجد (١/ ٩٦)، عن أنس قال: يتباهون بها ثم لا يعمرونها إلا قليلًا، قال الحافظ (٢/ ٧٥): وهذا التعليق رويناه موصولًا في مسند أبي يعلى وصحيح ابن خزيمة من طريق أبي قلابة أن أنسًا قال: «سمعته يقول: «يأتي على أمتي زمان يتباهون بالمساجد ثم لا يعمرونها إلا قليلًا».

وقال ابن عباس: **لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى**[١].

وقال أبو الدرداء: **إذا حليتم مصاحفكم وزخرفتم مساجدكم فالدبار عليكم**[٢].

وقال حوشب الطائي: **ما أساءت أمة أعمالها إلا زخرفت مساجدها، ولا هلكت أمة إلا من قبل علمائها**[٣].

وقال علي: **إن القوم إذا زينوا مساجدهم فسدت أعمالهم**[٤].

وأصل الزخرف الذهب، وإنما يعنى به تمويه المساجد بالذهب

---

(١) أورده البخاري معلقًا، كتاب الصلاة، باب (٦١) بنيان المسجد (١/ ٩٦)، قال: وقال ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى، قال الحافظ: = = وهذا التعليق وصله أبو داود وابن حبان من طريق يزيد بن الأصم عن ابن عباس هكذا موقوفًا، وقبله حديث مرفوع ولفظه «ما أمرت بتشييد المساجد».

(٢) أخرجه الإمام أحمد في كتاب الورع (ص ١٨٣) والبغوي في شرح السنة (٢/ ٣٥٠) والمحلى لابن حزم (٤/ ٢٤٨)، وأورده ابن رجب في فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣/ ٢٣١) وقال: قال المروذي: ذكرت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل مسجدًا، قد بني وأنفق عليه مال كثير، فاسترجع وأنكر ما قلت. وقال حرب: قلت لإسحاق يعني ابن راهويه: فتجصيص المساجد؟ قال أشد: وأشد، المساجد لا ينبغي أن تزين إلا بالصلاة والبر. وقال سفيان الثوري: يكره النقش والتزويق في المساجد، وكل ما تزين به المساجد، وقال: إنما عمارته ذكر الله ﷻ. قال ابن رجب رحمه الله: ولأصحابنا ـ يعني الحنابلة ـ وأصحاب الشافعي في تحريم تحلية المساجد بالذهب والفضة وجهان، وكرهه المالكية وبعض الحنفية، ومنهم من رخص فيه.

(٣) خرجه عبد الرزاق في المصنف (٥١٣٣)، وقال الحافظ في الفتح: روى ابن ماجه من طريق عمرو بن ميمون عن عمر مرفوعًا: «ما ساء عمل قوم قط إلا زخرفوا مساجدهم» رجاله ثقات إلا شيخه جبارة بن المغلس ففيه مقال.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥١٣٤).

ونحوه، ومنه قولهم: زخرف الرجل كلامه إذا موهه وزينه بالباطل.

والمعنى في ذلك: أن اليهود والنصارى إنما زخرفوا المساجد عندما حرفوا وبدلوا وتركوا العمل بما في كتبهم، فأنتم تصيرون إلى مثل حالهم إذا طلبتم الدنيا بالدين، وتركتم الإخلاص بالعمل، فصار أمركم إلى المراءاة في المساجد والمباهاة بتشييدها وتزيينها.

ومر ابن مسعود على مساجد منقشة بالكوفة، فقال: من بنى هذا؟! أنفق مال الله في معصيته.

وكان يقول: سيأتي بعدكم قوم يرفعون الطين، ويضعون الدين، ويسمنون البراذين ويصلون في قبلتكم[1].

---

(١) الحوادث والبدع (١٠٥).

وللأستاذ أبي الفداء السيد بن عبد المقصود رسالة بعنوان «تحذير الراكع والساجد من بدعة زخرفة المساجد» قال في رسالته (ص ٣٠): وقال الشيخ القاسمي نقلًا عن الإقناع: ويكره أن يزخرف المسجد وغيره مما يلهي المصلي بنقش وصبغ وكتابة عن صلاته غالبًا، وإن كان من مال الوقف حرم فعله ووجب الضمان، ولا بأس بتجصيصه، أو بتبييض حيطانه ا.هـ

وممن نص على بدعية الزخرفة الحادثة والنقوش ونحوهما الشيخ تقي الدين الحنبلي في كتابه تحفة الراكع والساجد (ص٢١٦)، والشيخ صديق حسن خان في فتح العلام (٢/ ١١٨) والإمام السيوطي في رسالته الأمر بالاتّباع والنهي عن الابتداع (ص١٤٣)، والشاطبي في الاعتصام (٢/ ٨٢) والعلامة القاري كما نقله في عون المعبود (٢/ ١١٨) والإمام البغوي في شرح السنة (٣/ ٣٤٨) والعلامة ابن الحاج في المدخل (٢/ ٢١٤) والعز بن عبد السلام في القواعد (٢/ ١٩٦) والعلامة أبو شامة في الباعث (ص ٦٤) وشمس الحق العظيم آبادي في عون المعبود (٢/ ١١٨) والعلامة القاسمي في إصلاح المساجد (ص ٩٥) والعلامة السندي في حاشيته على النسائي (٢/ ٣٢) والعلامة القسطلاني في إرشاد الساري (١/ ٤٤٠) والشيخ =

كتابة الآيات وتزويق المسجد بها

قال موسى بن معاوية الصمادحي رحمه الله[١]: سئل ابن القاسم عن المساجد، هل يكره الكتاب فيها في القبلة بالصبغ شبه آية الكرسي أو نحوها من قوارع القرآن؛ قل هو الله أحد، والمعوذات ونحوها؟

قال ابن القاسم: كان مالك يكره أن يكتب في القبلة في المسجد شيء من القرآن أو التزاويق، ويقول إن ذلك يشغل المصلي.

قال: ولقد كره مالك أن يكتب القرآن في القراطيس، فكيف في الجدران[٢].



= علي محفوظ من علماء الأزهر الشريف في كتابه الإبداع في مضار الابتداع (ص ١٨٣) والشيخ سيد سابق في فقه السنة (١/ ٢١٠) والزركشي في إعلام الساجد في أحكام المساجد (ص ٣٣٧) وغيرهم كثير يصعب حصرهم.

(١) موسى بن معاوية الإمام المفتي، أبو جعفر الصمادحي المغربي الإفريقي، قال أبو العرب وغيره: كان ثقة مأمونًا، عالمًا بالحديث والفقه صالحا، وقيل لسحنون: إن موسى بن معاوية، جلس في الجامع يفتي الناس؟ فقال: ما جلس أحد أحق منه بالفتوى.

سير أعلام النبلاء (١٢/ ١١٠)، ترتيب المدارك (٢/ ٥).

(٢) البيان والتحصيل (٢/ ١٠٧)، الحوادث والبدع للطرطوشي (ص ١٠٧).

فصل: في شدِّ الرحال إلى المساجد الثلاثة

قال ابن القاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: قال مالك في الذي يحلف بالمشي إلى مسجد الرسول أو مسجد بيت المقدس؟ قال: فليأتهما راكبًا ولا شيء عليه، ومن قال عليَّ المشي إلى بيت الله فهذا الذي يمشي(١).

فصل: يلزم المشي إلى مسجد مكة ولا يلزم المشي إلى مسجد المدينة أو مسجد بيت المقدس

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: من نذر مشيًا إلى مسجد النبي أو مسجد بيت المقدس للصلاة فيهما، فإنه يركب حتى يأتيهما فيصلي فيهما، ولا يكون المشي إلا إلى الكعبة في حج وعمرة(٢).

قال القاضي عبد الوهاب في الفروق: وإنما قال مالك يلزم نذر المشي إلى بيت الله، ولا يلزم ذلك في المدينة وبيت المقدس، مع أن الكل مواضع يتقرب بإتيانها إلى الله تعالى، لأن المشي إلى بيت الله طاعة فيلزم، والطاعة في المدينة وبيت المقدس الصلاة في مسجديهما فقط، فلم يلزم نذر المشي، لأنه لا طاعة فيه، ألا ترى أنه إذا نوى الصلاة في مسجديهما لزمه ذلك، ولو نذر أن يأتي المسجد من غير صلاة لم يلزمه، لأن الطاعة إنما هي الصلاة فقط(٣).

---

(١) المدونة (٣/ ٨٦).

(٢) كتاب النذور أسمعة ابن القاسم رواية سحنون بن سعيد (المكتبة البريطانية ق ٦/أ).

(٣) ذكر هذا الفرق الونشريسي في عدة البروق (ص ٢٠٥)، ولم ينسبه للقاضي =

قال أبو مصعب الزهري في مختصره[١]، باب ما يجوز من النذور:

ومن وجب عليه نذر ليصمتنَّ يومًا إلى الليل، أو ليذبحنَّ ولده، أو ليمشينَّ إلى العراق أو إلى بيت المقدس، فليس عليه شيء من ذلك، وإنما يجب من النذور ما كان لله رضًا، مثل الصيام والصدقة والعتق والمشي إلى بيت الله، وأما غير ذلك فلا يجب على أحد لأن رسول الله ﷺ قال: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**»[٢].

شد الرحل إلى مكة أو المدينة أو بيت المقدس لغير الصلاة، كزيارة القبور والآثار والبقيع وغار ثور

قال الإمام مالك رحمه الله: من قال لله علي أن آتي المدينة أو بيت المقدس أو المشي إلى المدينة أو المشي إلى بيت المقدس فلا شيء عليه، إلا أن يكون نوى بقوله ذلك أن يصلي في مسجد المدينة أو مسجد بيت المقدس، فإن كانت تلك نيته وجب عليه الذهاب إلى المدينة أو إلى بيت المقدس[٣].

وقال رحمه الله: وإذا قال: «عليَّ المشي إلى مسجد المدينة ومسجد بيت المقدس»، فهذا مخالف لقوله: «عليَّ المشي إلى المدينة أو عليَّ المشي إلى بيت المقدس»، هذا إذا قال عليَّ المشي إلى بيت المقدس لا

= عبد الوهاب، ولكن ذكره تقي الدين ابن تيمية رحمه الله في الإخنائية (ص ٢٦٦) ونسبه للقاضي عبد الوهاب رحمه الله.

(١) مخطوط من مكتبة القرويين مبعثر غير مرتب.

(٢) خرجه مالك في الموطأ (١٧٢٦) والبخاري في الصحيح (٢٦٠٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) المدونة (٢/ ١٨)، (٢/ ٤٧١).

يجب عليه إلا أن ينوي الصلاة فيه(١).

قال ابن القاسم ﷺ: ومن قال عليَّ المشي إلى بيت المقدس أو إلى المدينة فلا يأتيهما أصلًا إلا أن يكون أراد الصلاة في مسجديهما فليأتهما راكبًا(٢).

قال أشهب وأصبغ: ومن نذر المشي إلى مسجد المدينة أو بيت المقدس، فإن نوى الصلاة في مسجديهما أتى ذلك راكبًا، وقيل إن كان قريبًا مثل الأميال أتاهما ماشيًا، وهذا خفيف، وقيل لا يمشي وإن كان ميلًا(٣).

ومن كتاب ابن المواز: والذي ينذر المشي إلى الحرم فلا شيء عليه، إلا أن يكون ينوي ما فيه من البيت وغيره، فيلزمه، وإن قال إلى مكة وقال نويت بيوتها فلا شيء عليه، إلا أن يكون ذلك على معنى الرتابق، فلا تجزئه النية حتى يسمي البيوت، كما يسمي الصفا والمروة وغيرها(٤).

قال القاضي عبد الوهاب ﷺ: مسألة إذا نذر المشي إلى بقعة من بقاع الحرم، ولم ينوِ حجًّا ولا عمرةً، لم يلزم المشي إلا إذا قال إلى الكعبة، أو إلى الحجر أو إلى الحطيم، أو إلى مكة أو إلى المسجد الحرام، أو الركن، أو الحجر أو يقول إلى بيت الله، ولا نية له.

---

(١) المدونة (٢/ ١٨).
(٢) المدونة (٢/١٧).
(٣) النوادر والزيادات (٤/ ٣٠).
(٤) النوادر والزيادات (٤/ ٢٩).

فأما إذا قال: إلى الصفا أو إلى المروة أو إلى الحرم أو بعض جباله أو بعض مواضع مكة أو منى أو عرفة أو المزدلفة فلا شيء عليه. هذا قول ابن القاسم رحمه الله(١).

قال أبو القاسم بن الجلاب رحمه الله: ومن قال: عليَّ المشي إلى المدينة أو بيت المقدس، فإن أراد الصلاة في مسجديهما لزمه إتيانهما راكبًا، والصلاة فيهما، وإن لم ينوِ ذلك فلا شيء عليه(٢).

قال ابن المواز(٣): أما السفر إلى المدينتين، مدينة الرسول ﷺ، وبيت المقدس، لغير الصلاة في المسجدين، فإنه لا يستحب عند أحد منهم، بل جمهورهم نهوا عنه وحرموه موافقة لمالك، لنهي النبي ﷺ أن تشدَّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد(٤).

قال أبو عمر ابن عبد البر المالكي رحمه الله: ولم يختلف العلماء فيمن قال: علي المشي إلى بيت المقدس، أو إلى مسجد المدينة، ولم ينوِ الصلاة في واحد من المسجدين، وإنما أراد قصدهما لغير الصلاة أنه لا يلزمه الذهاب إليهما(٥).

---

(١) عيون المجالس (٣/ ١٠٢٦).

(٢) التفريع (١/ ٣٧٩).

(٣) نقله عنه ابن تيمية في الإخنائية (ص ٢٦٧).

(٤) خرجه مالك في الموطأ (٣٦٤) ومن طريقه رواه أبو داود (١٠٤٦) والترمذي (٤٩١) والحاكم (١/ ٢٧٨) والبيهقي (٣/ ٢٥٠) وفيه أن أبا هريرة لقي بصرة بن أبي بصرة الغفاري فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من الطور، فقال: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا تعمل المطيّ إلا إلى ثلاثة مساجد، إلا إلى المسجد الحرام، وإلى مسجدي هذا، وإلى مسجد إيلياء أو بيت المقدس) يشك.

(٥) الاستذكار لابن عبد البر (١٥/ ١٧).

قال مالك رحمه الله: أكره أن يقال الزيارة لزيارة البيت، وأكره ما يقول الناس زرت النبي عليه السلام، وأعظم ذلك أن يكون النبي عليه السلام يزار[١].

قال مالك رحمه الله: وناس يقولون زرنا قبر النبي ﷺ[٢]، قال، فكان

---

(١) البيان والتحصيل (١٨/ ١١٨).

(٢) قال الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله في تتمة أضواء البيان (٨/ ٥٧٧): وهنا مسألة طالما أثير النزاع فيها: وهي شد الرحال للسلام على رسول الله ﷺ، وهي إن كان محلها مبحث الزيارة وأحكامها وآدابها، إلا أننا نسوق موجزًا عنها بمناسبة حديث شد الرحال، ونسأل الله تعالى الهداية والتوفيق.

من المعلوم أن أصل هذه المسألة هو حديث: « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » المتقدم ذكره لاختلافهم في تقدير المستثنى منه. والمراد بشد الرحال إليه في تلك المساجد، أهو خصوص الصلاة أم للصلاة وغيرها.

ولنتصور حقيقة هذه المسألة، ينبغي أن نعلم أولًا أن البحث في هذه المسألة له ثلاث حالات:

الأولى: شدّ الرحال إلى المسجد النبوي للزيارة. وهذا مجمع عليه.

الثانية: زيارة الرسول ﷺ والسلام عليه من قريب بدون شدّ الرحال، وهذا أيضًا مجمع عليه.

الثالثة: شدّ الرحال للزيارة فقط.

وهذه الحالة الثالثة هي محل البحث عندهم ومثار النقاش السابق.

قال ابن حجر في فتح الباري على حديث شدّ الرحال: قال الكرماني: وقد وقع في هذه المسألة في عصرنا في البلاد الشامية مناظرات كثيرة، وصنفت فيها مسائل من الطرفين.

قلت: أي ابن حجر، يشير إلى ما رد به الشيخ تقي الدين السبكي وغيره على الشيخ تقي الدين بن تيمية، وما انتصر به الحافظ شمس الدين بن عبد الهادي وغيره لابن تيمية وهي مشهورة في بلادنا. اهـ ، وهذا يعطينا مدى الخلاف فيها وتاريخه.

وقد أشار ابن حجر إلى مجمل القول فيها بقوله: إن الجمهور أجازوا بالإجماع شد الرحال لزيارة النَّبي ﷺ، وإن حديث « لا تشد الرحال » إنما يقصد به خصوص الصلاة، وليس مكان أولى من مكان بالصلاة تشد له الرحال إلا المساجد =

....

= الثلاثة، لما خصت من فضيلة مضاعفة الصلاة فيها.
والشيخ تقي الدين جعل موضوع النهي عند شد الرحال عامًا للصلاة وغيرها.
واعترض عليه باتفاق الأمة على جواز شد الرحال لأي مكان لعدة أمور كما هو معلوم.
ومما استدل به على عدم شد الرحال لمجرد الزيارة، ما روي عن مالك كراهية أن يقال زرت قبر النَّبي ﷺ.
وأجيب عن ذلك: بأن كراهية مالك للفظ فقط تأدبًا، لا أنه كره أصل الزيارة، فإنها من أفضل الأعمال، وأجل القربات الموصلة إلى ذي الجلال، وأن مشروعيتها محل إجماع بلا نزاع. والله الهادي إلى الصواب اهـ.
وقد ناقش ابن حجر لفظ الحديث ورجح هذا المذهب حيث قال:
قال بعض المحققين قوله «إلا إلى ثلاثة مساجد» المستثنى منه محذوف. فإما أن يقدر عامًا فيصير لا تشدّ الرحال إلى مكان في أي أمر كان إلا إلى الثلاثة. أو أخص من ذلك. ولا سبيل إلى الأول لإفضائه إلى سد باب السفر للتجارة، وصلة الرحم، وطلب العلم وغيرها، فتعين الثاني.
والأولى أن يقدر ما هو أكثر مناسبة وهو لا تشد الرحال إلى مسجد للصلاة فيه إلا إلى الثلاثة، فيبطل بذلك قول: من منع شد الرحال إلى زيارة قبره الشريف ﷺ. وغيره من قبور الصالحين. والله أعلم.
وبتأمل كلام ابن حجر، نجده يتضمن إجراء معادلة على نص الحديث بأن له حالتين فقط.
الأولى: أن يقال لا تشد الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة لخصوص الصلاة ولا تشد لغيرها من الأماكن لأجل الصلاة، فيكون النهي منصبًّا على شدّ الرحال لأي مكان سوى المساجد الثلاثة من أجل أن يصلي فيما عداها. فيبقى غير الصلاة خارجًا عن النهي، فتشد له الرحال لأي مكان كان، وغير الصلاة يشمل طلب العلم والتجارة والنزهة والاعتبار والجهاد ونحو ذلك، والنصوص في ذلك كله متضافرة....
ثم ذكر نصوصًا تدل على إباحة السفر لما ذكر من الأغراض ثم قال: فهذه نصوص جواز السفر لعدة أمور، فيكون من ضمنها السفر لزيارة النَّبي ﷺ والسلام عليه.=

....

= حيث إن السلام عليه ﷺ من الأمور المشروعة بلا نزاع.
والحالة الثانية: أن يكون النهي عامًّا لجميع الأماكن في جميع الأمور فلا تشدّ الرحال قط إلّا إلى الثلاثة المساجد وبلدانها الثلاثة.
ولكن لا لخصوص الصلاة فقط، بل لكل شيء مشروع بأصله مما قدمنا أنواعه من طلب العلم والتجارة والعظة والنزهة وغير ذلك، كصوم واعتكاف ومجاورة وحج وعمرة وصلة رحم، ومشاهدة معالم تاريخية ونحو ذلك.
ومن هذا كله السلام على رسول الله ﷺ، فإذا شد الرحال إلى المدينة لكل شيء كان منها، الزيارة والسلام على رسول الله ﷺ، ولا معارضة على حالة من الحالتين، ولا يتعارض معها الحديث المذكور، على أي تقدير المستثنى منه في هذا الحديث.
وبالتحقيق في هذه المسألة وإثارة النزاع فيها يظهر أن النزاع والجدال فيها أكثر مما كانت تحتمل، وهو إلى الشكلي أقرب منه إلى الحقيقي. ولا وجود له عمليًّا.
وتحقيق ذلك كالآتي: وهو ما داموا متفقين على شد الرحال للمسجد النبوي للسلام على رسول الله ﷺ، ومتفقون على السلام على رسول الله ﷺ بدون شدّ الرحال.
فلن يتأتى لإنسان أن يشدّ الرحال للسلام دون المسجد، ولا يخطر ذلك على بال إنسان، وكذلك شدّ الرحل للصلاة في المسجد النبوي دون أن يسلم على رسول الله ﷺ لن يخطر على بال إنسان. وعليه فلا انفكاك لأحدهما عن الآخر، لأن المسجد النبوي ما هو إلا بيته ﷺ، وهل بيته إلا جزء من المسجد كما في حديث الروضة « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » فهذا قوة ربط بين بيته ومنبره في مسجده.
ومن ناحية أخرى هل يسلم أحد عليه ﷺ من قريب، لينال فضل رد السلام عليه منه ﷺ، إلا إذا كان سلامه عن قرب ومن المسجد نفسه؟
وهل تكون الزيارة سنية إلا إذ دخل المسجد وصلى أولًا تحية المسجد؟
وبهذا فلا انفكاك لشد الرحل إلى المسجد عن زيارة الرسول ﷺ، ولا لزيارته ﷺ عن المسجد، فلا موجب لهذا النزاع.
وأعتقد أن هذه المسألة لولا نزاع معاصري شيخ الإسلام معه في غيرها لما كان لها محل ولا مجال، ولكنهم وجدوها حساسة ولها مساس بالعاطفة ومحبة =

....

= رسول الله ﷺ، فأثاروها وحكموا عليه بالالتزام. أي بلازم كلامه حينما قال: لا يكون شد الرحال لمجرد الزيارة، بل تكون للمسجد من أجل الزيارة، عملًا بنص الحديث فتقولوا عليه ما لم يقله صراحة.

ولو حمل كلامه على النفي بدل من النهي لكان موافقًا، أي لا يتأتى ذلك لأنه رحمه الله لم يمنع زيارته ﷺ ولا السلام عليه، بل يجعلها من الفضائل والقربات، وإنما يلتزم بنص الحديث في جعل شد الرحال إلى المسجد، ولكل شيء ومنه السلام على رسول الله ﷺ كما صرح بذلك في كتبه.

قال في بعض رسائله وردوده ما نصه:

فصل

قد ذكرت فيما كتبته من المناسك أن السفر إلى مسجده وزيارة قبره، كما يذكر أئمة المسلمين في مناسك الحج عمل صالح مستحب، وقد ذكرت في عدة مناسك الحج السنة في ذلك وكيف يسلم عليه، وهل يستقبل الحجرة أم القبلة على قولين.

فالأكثرون يقولون يستقبل الحجرة، كمالك والشافعي وأحمد إلى أن قال:

والصلاة تقصر في هذا السفر المستحب باتفاق أئمة المسلمين، لم يقل أحد من أئمة المسلمين إن هذا السفر لا تقصر فيه الصلاة ولا نهى أحد عن السفر إلى مسجده، وإن كان المسافر إلى مسجده يزور قبره ﷺ، بل هذا من أفضل الأعمال الصالحة ولا في شيء من كلامي وكلام غيري نهي عن ذلك ولا نهي عن المشروع في زيارة قبور الأنبياء والصالحين، ولا عن المشروع في زيارة سائر القبور.

إلى أن قال:

وإذا كانت زيارة قبور عموم المؤمنين مشروعة فزيارة قبور الأنبياء والصالحين أولى. ولكن رسول الله ﷺ له خاصية ليست لغيره من الأنبياء والصالحين، وهو أن أمرنا أن نصلي عليه ونسلم عليه في كل صلاة، ويتأكد ذلك في الصلاة وعند الأذان وسائر الأدعية، وأن نصلي ونسلم عليه عند دخول المسجد، مسجده وغير مسجده، وعند الخروج منه. فكل من دخل مسجده فلا بد أن يصلي فيه ويسلم عليه في الصلاة.

والسفر إلى مسجده مشروع، لكن العلماء فرقوا بينه وبين غيره، حين كره مالك رحمه الله أن يقال: زرت قبر النَّبي ﷺ. لأن المقصود الشرعي بزيارة القبور السلام عليها =

....

= والدعاء لهم، وذلك السلام والدعاء قد حصل على أكمل الوجوه في الصلاة في مسجده وغير مسجده، وعند سماع الأذان وعند كل دعاء. فتشرع الصلاة عليه عند كل دعاء، فإنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم اهـ .

وإذا كان هذا كلامه ﷺ ، فإن المسألة شكلية وليست حقيقية. إذ إنه يقرر بأن السفر إلى مسجده ﷺ مشروع، وإن كان يزور قبره ﷺ، ويسلم عليه، وأن ذلك من أفضل القربات ومن صالح الأعمال، أي وإن كانت الزيارة مقصودة عند السفر.

فلا موجب لهذا النقاش، وجعل هذه المسألة مثار نزاع أو جدال، وقد صرح ﷺ بما يقرب من هذا المعنى في موضع آخر من كلامه، إذ يقول في (ج ٢٧ ص ٣٤٢) من المجموع ما نصه:

فمن سافر إلى المسجد الحرام أو المسجد الأقصى أو مسجد الرسول ﷺ فصلى في مسجده وصلى في مسجد قباء، وزار القبور كما قضت به سنة رسول الله ﷺ، فهذا هو الذي عمل العمل الصالح، ومن أنكر هذا السفر، فهو كافر يستتاب، فإن تاب وإلا قتل.

وأما من قصد السفر لمجرد زيارة القبر ولم يقصد الصلاة في المسجد، وسافر إلى مدينته فلم يصل في مسجده ﷺ ولا يسلم عليه في الصلاة، بل أتى القبر ثم رجع فهذا مبتدع ضال، مخالف لسنة رسول الله ﷺ، ولإجماع أصحابه ولعلماء الأمة.

وهو الذي ذكر فيه القولان: أحدهما أنه محرم. والثاني أنه لا شيء عليه ولا أجر له.

والذي يفعله علماء المسلمين هو الزيارة الشرعية، يصلون في مسجد ﷺ، ويسلمون عليه في الدخول للمسجد وفي الصلاة، وهذا مشروع باتفاق المسلمين. إلى أن قال: وذكرت أنه يسلم على النَّبي ﷺ وعلى صاحبيه اهـ .

فأي موجب لنزاع أو خلاف في هذا القول، فإن كان في قوله ﷺ فيمن قصد السفر لمجرد زيارة القبر ولم يقصد الصلاة في المسجد، وسافر إلى مدينته فلم يصل في مسجده ﷺ في الصلاة، بل أتى القبر ثم رجع فهذا مبتدع.. إلخ.

فمن من المسلمين يجيز لمسلم أن يشد رحله إلى المدينة لمجرد زيارة القبر دون قصد الصلاة في مسجده ﷺ، ودون أن يصلي عليه ﷺ في الصلاة، وهو يعلم أن الصلاة في مسجده ﷺ بألف صلاة. =

....

= فدل كلامه رحمه الله أن زيارة القبر والصلاة في المسجد مرتبطتان ومن ادعى انفكاكهما عمليًا فقد خالف الواقع، وإذا ثبتت الرابطة بينهما انتفى الخلاف وزال موجب النزاع. والحمد لله رب العالمين.

وصرح في موضع آخر ص ٣٤٦ في قصر الصلاة في السفر لزيارة قبور الصالحين عن أصحاب أحمد أربعة أقوال. الثالث منها تقصر إلى قبر نبينا عليه الصلاة والسلام.

وقال في التعليل لهذا القول: إذا كان عامة المسلمين لا بد أن يصلوا في مسجده فكل من سافر إلى قبره المكرم فقد سافر إلى مسجده المفضل.

وكذلك قال بعض أصحاب الشافعي، إلى أن قال: وكذلك كثير من العلماء يطلق السفر إلى قبره المكرم، وعندهم أن هذا يتضمن السفر إلى مسجده، إذ كان كل مسلم لا بد إذا أتى الحجرة المكرمة أن يصلي في مسجده فهما عندهم متلازمان.

وبعد نقله لأقوال العلماء قال ما نصه:

وحقيقة الأمر أن فعل الصلاة في مسجده من لوازم هذا السفر، فكل من سافر إلى قبره المكرم لا بد أن تحصل له طاعة وقربة يثاب عليها بالصلاة في مسجده، وأما نفس القصد فأهل العلم بالحديث يقصدون السفر إلى مسجده، وإن قصد منهم من قصد السفر إلى القبر أيضًا إذا لم يعلم النهي.

وهذا غاية في التصريح منه رحمه الله أنه لا انفكاك من حيث الواقع بين الزيارة والصلاة في المسجد عند عامة العلماء.

ثم قال في حق الجاهل: وأما من لم يعرف هذا فقد لا يقصد إلا السفر إلى القبر، ثم إنه لا بد أن يصلي في مسجده فيثاب على ذلك. وما فعله وهو منهي عنه ولم يعلم أنه منهي عنه لا يعاقب عليه فيحصل له أجر ولا يكون عليه وزر اهـ

وقد أكثرنا النقول عنه رحمه الله لما وجدنا من لبس في هذا الموضع على كثير من الناس، حتى قال ابن حجر في فتح الباري فيها: وهذا أعظم ما أخذ على شيخ الإسلام ابن تيمية، فهي وإن كانت شهادة من ابن حجر أنها أشد ما أخذ عليه مع ما رمي به من خصومه في العقائد ومحاربة البدع، إلا أنها بحمد الله بعد هذه النقول عنه من صريح كلامه لم يعد فيها ما يتعاظم منه، فعلى كل متكلم في هذه المسألة أن يرجع إلى أقواله رحمه الله فلم يترك جانبًا إلا وبينه سواء، في حق العالم أو الجاهل. وبالله تعالى التوفيق.

مالك يكره هذا، ويعظمه أن يقال إن النبي يزار[١].

قال أبو عمران: الأولى عندي أن منعه وكراهة مالك له، لإضافته إلى قبر النبي ﷺ، وأنه لو قال: «زرنا النبي ﷺ» لم يكرهه، لقوله ﷺ: **«اللهمَّ لا تجعل قبري وثنًا يعبد بعدي، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**[٢] فحمى إضافة هذا اللفظ إلى القبر والتشبه بفعل أولئك قطعًا للذريعة وحسمًا للباب والله أعلم[٣].

قال أبو عمرو بن أبي الوليد المالكي[٤]: **وقد قال مالك** رحمه الله لسائل سأله أنه نذر أن يأتي قبر النبي ﷺ؟

---

(١) المدونة ١/ ٢٩٩

(٢) خرجه مالك في الموطأ (٥٩٣) من حديث عطاء بن يسار عن النبي ﷺ مرسلًا، ورواه البخاري (٣٧٦٥) ومسلم (٣٣٤٨) من حديث همام عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ

(٣) نقله عنه القاضي عياض في الشفا (٢/ ٨٥).

(٤) الإمام المفتي الكبير الزاهد أبو عمرو أحمد بن أبي الوليد محمد بن أبي جعفر أحمد بن قاضي الجماعة أبي الوليد محمد الإشبيلي ثم الدمشقي المالكي، ولد بغرناطة سنة اثنتين وسبعين ثم قدم دمشق فسمع ابن البخاري وابن مؤمن والفاروثي وغيرهم، حدث عنه الذهبي وأم بمحراب المالكية بالجامع، توفي رحمه الله في ثاني شهر رمضان (سنة ٧٤٥ هـ)، وكان يخطب. قال ابن كثير: وفي يوم الجمعة ثاني شهر رمضان المعظم توفي الشيخ الإمام العالم العامل العابد الزاهد الورع أبو عمرو ابن أبي الوليد المالكي إمام محراب الصحابة الذي للمالكية.قال ابن حجر: كان إمام محراب المالكية، متصديًا للفتوى، وسمع منه البرزالي والذهبي، قال البرزالي في الشيوخ المتوسطين: كان أحد المفتين في مذهبه، وهو فاضل كثير المطالعة ملازم الفتوى، وتأسف الناس على صلاحه، وفتاويه النافعة الكثيرة رحمه الله.

الدرر الكامنة (١/ ٢٤٧) البداية والنهاية (١٤/ ١٦٩) الدارس في تاريخ المدارس (١/ ٢٨٦)، الوفيات لابن رافع (١/ ٥١)، ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني (٥/ ٢٨). =

فقال: إن كان أراد مسجد النبي ﷺ فليأته وليصلِّ فيه، وإن كان أراد القبر فلا يفعل للحديث الذي جاء: **«لا تعمل المطيُّ إلا إلى ثلاثة مساجد»**[١].

= وأخوه الإمام الزاهد المفتي الفقيه الصالح فخر الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي الوليد المالكي إمام محراب المالكية بالجامع الأموي. قال البرزالي في الشيوخ المتوسطين: فاضل مضبوط الأمر، مصون نزه العرض، من خيار الفقهاء، اشتغل وحفظ وأفتى وهو منقطع عن الناس، ملازم لبيته واشتغاله وعبادته، وله ورد في الليل وتلاوة، وقال ابن كثير: كان رجلًا صالحًا مجمعًا على جلالته ودينه.

فقد قال في العبر (١/ ٣٠٣) وكذا في الدارس في تاريخ المدارس (١/ ٢٨٩)، وفيات ابن رافع (١/ ٤٠)، الدرر الكامنة (٢/ ٢٨٦).

(١) نقله عن مالك أبو عمرو بن أبي الوليد المالكي في رسالة كتبها ـ ووافقه عليها أخوه عبد الله بن أبي الوليد المالكي ـ حين شنعت الجماعة على تقي الدين ابن تيمية ﷺ، بسبب مسألة زيارة قبر النبي ﷺ، وهذه الرسالة رواها عنه من خطه ابن عبد الهادي المقدسي في كتاب (الانتصار ص ٣٧٤)، وأشار إليها ابن رجب الحنبلي في ذيل طبقات الحنابلة، حيث قال: وفي آخر الأمر دبروا عليه الحيلة في مسألة المنع من السفر إلى قبور الأنبياء والصالحين، وألزموه من ذلك التنقص بالأنبياء، وذلك كفر، وأفتى بذلك طائفة من أهل الأهواء، وهم ثمانية عشر نفسا، رأسهم القاضي الأخنائي المالكي، وأفتى قضاة مصر الأربعة بحبسه، فحبس بقلعة دمشق سنتين وأشهرًا، وبها مات ﷺ.

وقد بين ﷺ أن ما حكم عليه باطل بإجماع المسلمين من وجوه كثيرة جدًا، وأفتى جماعة من علماء بغداد وغيرهم، وكذلك ابنا أبي الوليد شيخ المالكية بدمشق أفتيا أنه لا وجه للاعتراض عليه فيما قاله أصلًا، وأنه نقل خلاف العلماء في المسألة ورجح أحد القولين فيها. (الجامع لسيرة ابن تيمية ص ٤٨٠).

وقد روى قول مالك ﷺ هذا القاضي إسماعيل في المبسوط، عزاه إليه الشيخ تقي الدين ابن تيمية في التوسل والوسيلة (ص ٢٣٥)، وفي الإخنائية (ص ٢٠١، ٢٤٩).

فصل: يشرع لمن قدم المدينة السلام على رسول الله ﷺ

سئل الإمام مالك رحمه الله عن الرجل يدخل مسجد النبي ﷺ بالمدينة بأي شيء يبدأ بالسلام على النبي ﷺ أم بركعتين؟

قال: بل بركعتين وكل ذلك واسع.

قال: ابن القاسم وأحب إليَّ أن يركع[(١)].

قال أبو بكر الطرطوشي رحمه الله: ويصلي ركعتين قبل السلام عليه، وقيل واسع أن يسلم عليه قبل أن يركع[(٢)].

وقال ابن وهب رحمه الله: سألت مالكًا عن التسليم على النبي ﷺ عند قبره، كيف يقول؟

قال: يقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله[(٣)].

وقيل للإمام مالك رحمه الله: كيف يسلم على القبر؟

قال: تأتيه من قبل القبلة حتى إذا دنوت منه سلمت وصليت عليه، ودعوت لنفسك ثم انصرفت.

قيل له: هل أذكر أبا بكر وعمر؟ قال نعم إن شئت[(٤)].

وسئل رحمه الله عن الغريب يأتي قبر النبي ﷺ كل يوم؟

---

(١) البيان والتحصيل (١/ ٣٧٢)، (١٨/ ٩٤).
(٢) الحوادث والبدع (ص ١٥٦).
(٣) خرجه أبو الربيع سليمان بن داود في كتاب الزهد (إثبات أحاديث الصفات ١٨٣/ ب).
(٤) البيان والتحصيل (١٨/ ٦٠١).

فقال: ما هذا من الأمر ولكن إذا أراد الخروج[١].

وقال ابن وهب رحمه الله: **وسئل مالك** عن قبر رسول الله ﷺ يأتيه الغريب كل يوم؟

فقال: ما سمعت.

فقيل له: يأتيه عند دخوله وخروجه؟

قال: ذلك الذي كنت أسمع[٢].

قال أبوالوليد الباجي رحمه الله: من دخل المسجد وخرج لم يلزمه أن يقف بالقبر، قال مالك في المبسوط: وإنما ذلك على الغرباء إذا دخلوا وخرجوا، وليس عليهم فيما بين ذلك، وليس ذلك على أهل المدينة.

قال ابن القاسم: ورأيت أهل المدينة إذا أرادوا الخروج منها أتوا القبر فسلموا، وإذا دخلوا المدينة فعلوا مثل ذلك.

قال ابن القاسم: وهو رأي، وفرق مالك بين أهل المدينة والغرباء: لأن الغرباء قصدوا لذلك، وأما أهل المدينة فهم مقيمون بها، لم يقصدوها من أجل القبر والمسجد[٣].

وسئل الإمام مالك رحمه الله عن السلام على النبي عليه السلام؟

فقال: إذا دخل وخرج وفيما بين ذلك يريد في الأيام[٤].

وسئل مالك عن المارّ بقبر النبي ﷺ أترى أن يسلم كلما مر به؟

---

(١) البيان والتحصيل (١٨/ ٤٤٤).

(٢) شرح مختصر ابن عبد الحكم للأبهري كتاب الجامع (ص ٦٨).

(٣) المنتقى شرح الموطأ (٢/ ٣١٥).

(٤) البيان والتحصيل ١٨/ ١٠٨

قال: نعم، أرى ذلك عليه أن يسلم عليه إذا مر به، وقد أكثر الناس من ذلك، فأما إذا لم يمر به فلا أرى ذلك، قال رسول الله ﷺ: **«اللهمَّ لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**[١].

فقد أكثر الناس في هذا، فأما إذا مرّ بقبر النبي ﷺ فأرى أن يسلم عليه، فأما إذا لم يمرّ عليه، فهو في سعة من ذلك[٢].

قال ابن رشد رحمه الله: المعنى في هذا أنه إنما يلزمه أن يسلم عليه كلما مرَّ به، وليس عليه أن يمرَّ به ليسلم عليه إلا للوداع عند الخروج، ويكره له أن يكثر المرور به والسلام عليه، والإتيان كل يوم إليه، لئلا يجعل القبر بفعله ذلك كالمسجد الذي يؤتى كل يوم للصلاة فيه[٣].

خرَّج ابن أبي شيبة في المصنف[٤] قال: حدثنا خالد بن الحارث قال: **سئل هشام: أكان عروة[٥] يأتي قبر النبي ﷺ؟ قال: لا.**

***

---

(١) خرجه مالك في الموطأ (٥٩٣) من حديث عطاء بن يسار عن النبي ﷺ مرسلًا، ورواه البخاري (٣٧٦٥) ومسلم (٣٣٤٨) من حديث همام عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ

(٢) البيان والتحصيل (١٨/ ٤٤٤).

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة كتاب الزكاة باب من كان يكره التسليم على القبور (٦/ ٥٦).

(٥) عروة ابن الصحابي الجليل الزبير بن العوام رضي الله عنه الإمام عالم المدينة، أبو عبد الله القرشي الأسدي، المدني، الفقيه، أحد الفقهاء السبعة.ولد (سنة٢٣ هـ) لست سنين خلت من خلافة عثمان، وتوفي (سنة ٩٣ هـ).
سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٣٠).

هل يدعو عند قبر النبي ﷺ[١]؟

قال الإمام مالك رحمه الله: لا أرى أن يقف الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو، ولكن يسلم على النبي ﷺ، وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ثم يمضي[٢].

وقال رحمه الله: لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي ﷺ، فيصلي عليه، ويدعو له، ولأبي بكر وعمر[٣].

وقال رحمه الله: يقف ويدنو من القبر ويدعو[٤].

قال ابن حبيب رحمه الله: ويقول إذا دخل مسجد الرسول: باسم الله،

---

(١) منع الإمام مالك رحمه الله الصلاة إلى قبر النبي ﷺ، وكذا منع من الصلاة إلى المصحف، وعلل ذلك بأنه يخشى أن يكون ذريعة لعبادة قبر النبي عليه السلام، وقد قال عليه السلام (اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد)، وقد سبق ذكر هذا.
وكذا منع رحمه الله من الدعاء عند قبر النبي ﷺ، ومنع من تطويل المقام أمام قبره الشريف عليه السلام كما سيأتي، والعلة في ذلك كله واحدة وهي سد ذريعة الإشراك بالله تعالى، والذي أجازه مالك رحمه الله هو السلام على النبي عليه الصلاة والسلام، والسلام على صاحبيه، وما ورد في بعض الروايات أنه يدعو فالمقصود به الدعاء للنبي عليه السلام والصلاة عليه، وليس المقصود سؤال الله تعالى وطلب الحوائج في هذا المقام فإنه رحمه الله قد منع من هذا، والله تعالى أعلم.

(٢) الشفاء للقاضي عياض (٢/ ٨٥)، المنتقى (١/ ٢٦٩).

(٣) الشفا (٢/ ٨٦).

(٤) خرجه سليمان بن داود أبو الربيع المصري في كتاب الزهد (إثبات أحاديث الصفات ١٨٣/ب) قال: حدثني ابن وهب قال سمعت مالك

وسلام على رسول الله، السلام علينا من ربنا، وصلى الله وملائكته على محمد، اللهمَّ اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك، واحفظني من الشيطان الرجيم، ثم اقصد إلى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر، فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر، تحمد الله فيهما وتسأله تمام ما خرجت إليه والعون عليه، وإن كانت ركعتاك في غير الروضة أجزأتاك، وفي الروضة أفضل، وقد قال ﷺ: **«ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على ترعة من ترع الجنة»**(١).

ثم تقف بالقبر متواضعًا متوقرًا، فتصلي عليه وتثني بما يحضرك، وتسلم على أبي بكر وعمر وتدعو لهما، وأكثر من الصلاة في مسجد النبي ﷺ بالليل والنهار(٢).

وقال ابن حبيب رحمه الله في الواضحة بعد ذكر السلام: ثم تتحاشى عن القبر وتستقبل القبلة فتدعو لنفسك ومن أردت بما استطعت من خيري الدارين، ثم اركع على إثر ذلك ركعتين أو ما بدا لك(٣).

قال ابن وهب عن مالك: فيدنو منه فيقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله تعالى وبركاته.

قال مالك: لا يمسّ القبر بيده، ويدعو للنبي ﷺ بلفظ الصلاة(٤).

---

(١) خرجه مالك في الموطأ (٤١٥) والبخاري (١١٢١) من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي.

(٢) الشفا للقاضي عياض (٢/ ٨٧)، النوادر والزيادات (٢/ ٣٣٧).

(٣) إرشاد السالك إلى أفعال المناسك لابن فرحون (٢/ ٥٧٢).

(٤) المنهاج في بيان مناسك الحاج لابن الحاج القرطبي (، مخطوط ميكروفيلم ٢٦٥٣/ ١٢٠/ ١) ـ مركز جمعة الماجد.

قال الباجي: وعندي أنه يدعو للنبي ﷺ بلفظ الصلاة، ولأبي بكر وعمر على ما تقدم(١).

قيل للإمام مالك رحمه الله: كيف يسلم على القبر؟

قال: تأتيه من قبل القبلة حتى إذا دنوت منه سلمت وصليت عليه، ودعوت لنفسك ثم انصرفت.

قيل له: هل أذكر أبا بكر وعمر؟

قال: نعم إن شئت(٢).

قال أبو بكر الطرطوشي رحمه الله: يدنو من المنبر، فيسلم على النبي ﷺ، ثم يدعو مستقبلًا القبلة، يوليه ظهره، وقيل لا يوليه ظهره(٣).

خرج القاضي إسماعيل في فضل الصلاة على النبي ﷺ قال: حدثنا جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، عمن أخبره من أهل بلده، عن علي بن حسين بن علي، أن رجلًا، كان يأتي غداة فيزور قبر النبي ﷺ، ويصلي عليه ويصنع من ذلك ما انتهره عليه علي بن الحسين، فقال له علي بن الحسين: ما يحملك على هذا؟ قال: أحب التسليم على النبي ﷺ، فقال له علي بن الحسين: هل لك أن أحدثك حديثًا عن أبي؟ قال: نعم، فقال له علي بن حسين: أخبرني أبي عن جدي أنه قال: قال رسول الله: «**لا تجعلوا قبري عيدًا**

---

(١) المنتقى للباجي (٢/ ٣١٦).

(٢) البيان والتحصيل (١٨/ ٦٠١).

(٣) الحوادث والبدع (ص ١٥٦).

ولا تجعلوا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليَّ وسلموا حيثما كنتم، فسيبلغني سلامكم وصلاتكم»[١].

فصل: هل يستقبل القبلة أم يستقبل القبر

قال ابن وهب رَحِمَهُ اللهُ: سئل مالك أين يقف من أراد التسليم على رسول الله ﷺ من القبر؟

قال: من عند الزاوية التي تلي القبلة مما يلي المنبر يستقبل القبلة[٢].

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ في رواية ابن وهب: إذا سلم على النبي ﷺ ودعا[٣] يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة، ويدنو ويسلم[٤].

وسئل مالك عن قبر رسول الله ﷺ إذا سلم عليه الرجل أيمسحه بيده؟

فقال: بل يدنو منه مسلمًا عليه، ويدعو.

قيل لمالك: إذا دعا ولى القبر ظهره واستقبل القبلة؟

فقال: لا، يأتي فيسلم على النبي ﷺ، ولا يولي القبر ظهره،

---

(١) فضل الصلاة على النبي ﷺ رقم (٢١)، ومصنف ابن أبي شيبة ٢/ ٢٦٨، كتاب الصلاة باب في الصلاة عند قبر النبي ﷺ وإتيانه، قال السخاوي في القول البديع: حديث حسن

(٢) شرح الأبهري لجامع ابن عبد الحكم (ص ٦٧).

(٣) يعني دعا للنبي ﷺ بالصلاة والسلام كما تقدم.

(٤) الشفا للقاضي عياض (٢/ ٨٥).

ولكن يدعو كما هو مستقبل القبر[١].

قال الطرطوشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يدنو من المنبر، فيسلم على النبي ﷺ، ثم يدعو مستقبلًا القبلة، يوليه ظهره، وقيل لا يوليه ظهره[٢].

قال أبو الوليد الباجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما الدعاء عند القبر فقد قال مالك في المبسوط: لا أرى أن يقف الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو، ولكن يسلم ثم يمضي، وروى عنه ابن وهب في غير المبسوط: أنه يدعو مستقبل القبر، ولا يدعو وهو مستقبل القبلة وظهره إلى القبر[٣].

فصل لا يطول الوقوف عند قبره عليه السلام[٤]

قال مالك فيمن وقف بالقبر: لا يلصق به ولا يمسه، ولا يقف عنده طويلًا[٥].

فصل: لا يتمسح بقبر النبي ﷺ

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا أحب أن يمس القبر بيده[٦].

---

(١) خرجه أبو الربيع سليمان بن داود في كتاب الزهد (إثبات أحاديث الصفات ١٨٣/ ب).

(٢) الحوادث والبدع (ص ١٥٦).

(٣) المنتقى شرح الموطأ (٢/ ٣١٦).
والجمع بين هذه الروايات التي في بعضها أنه

(٤) وهذا يدل على أن هذا الموضع ليس موضع دعاء وطلب للحوائج، وإنما الوقوف ههنا لأجل السلام عليه ﷺ وعلى صاحبيه رضي الله عنهما.

(٥) الشفا للقاضي عياض (٢/ ٨٦) قال: ومن كتاب أحمد بن سعيد الهندي، فذكره.

(٦) شرح الأبهري لجامع ابن عبد الحكم (ص ٦٧).

وقال رحمه الله: لا يتمسح بقبر النبي ﷺ، ولا يمسه، ولا المنبر، ولكن يقف ويدنو من القبر ويدعو(١).

وقال ابن عبد الحكم رحمه الله في المختصر: ولا يتعلق بأستار الكعبة عند الوداع، وكذلك عند قبر النبي ﷺ(٢).

قال أبو بكر الأبهري رحمه الله في الشرح(٣): إنما قال ذلك: لأنه كذلك شاهد الناس يسلمون على النبي ﷺ، فاستحب الاقتداء بهم، ولا يمس قبره، ولا حائطه تعظيمًا له، ولأن ذلك لم يكن فعل من مضى.

وسئل الإمام مالك رحمه الله عن السلام على النبي ﷺ؟

قال: لا تلصق بجدار القبر(٤).

قال الطرطوشي رحمه الله: ولا يتمسح بقبر النبي ﷺ، ولا يمسح كذلك المنبر(٥).

عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر: **أنه كان يكره مسّ قبر النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم**(٦).

---

(١) خرجه سليمان بن داود أبو الربيع المصري في كتاب الزهد (إثبات أحاديث الصفات ١٨٣/ب) قال حدثني ابن وهب قال سمعت مالك.

(٢) مختصر ابن عبد الحكم (٢/ ١٢٤.).

(٣) شرح الجامع من مختصر ابن عبد الحكم (ص ٦٧.).

(٤) شرح مختصر ابن عبد الحكم للأبهري كتاب الجامع (ص ٦٨).

(٥) الحوادث والبدع (ص ١٥٦).

(٦) خرجه محمد بن عاصم في جزئه (ص ١٠٦)، والذهبي في معجم الشيوخ (ص٥٥).

فصل: لا يصلى إلى قبر النبي ﷺ

قال الإمام مالك رحمه الله: أكره أن يوضع المصحف في القبلة ليصلى عليه.

وإنما بنى عمر بن عبد العزيز القبر هذا البناء، حين كان الناس يصلون إليه وجعلوه مصلًّى، فأنا أكره أن يجعل المصحف في القبلة ليصلَّى إليه، ولا أحب ذلك، وأما إن كان موضعه أو ذلك الموضع أحفظ له أو معلق له، ليس يجعل لمكان الصلاة إليه، فلا أرى بذلك بأسًا[1].

قال أبو الوليد بن رشد رحمه الله: أما الصلاة إلى قبر النبي ﷺ فهو محظور لا يجوز، لما جاء عن النبي ﷺ من قوله: **«اللهمَّ لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتدَّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**[2].

فبناه عمر بن عبد العزيز محددًا على هيئته، لا يمكن من صلى إلى القبلة استقباله.

وأما المصحف فكره القصد بالصلاة إليه على ما قاله في هذه الرواية ومثله في المدونة سواء، لأن ذلك بدعة وبالله تعالى التوفيق[3].

قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله بعد أن ذكر حديث: **«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد،** قالت [عائشة]: ولولا ذلك أبرز

---

(١) البيان والتحصيل (١٧/ ٦٢٥).

(٢) خرجه مالك في الموطأ (٥٩٣) من حديث عطاء بن يسار عن النبي ﷺ مرسلًا، ورواه البخاري (٣٧٦٥) ومسلم (٣٣٤٨) من حديث همام عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ

(٣) البيان والتحصيل (١٧/ ٦٢٥).

قبره، غير أنه خشي عليه أن يتخذ مسجدًا»، قال أبو عمر: لهذا الحديث - والله أعلم - ورواية عمر بن عبد العزيز له عن من رواه أمر في خلافته أن يجعل بنيان قبر رسول الله ﷺ، محددًا بركن واحد، لئلَّا يستقبل القبر فيصلى إليه[١].

وقال أبو العباس القرطبي رحمه الله بعد ذكر حديث عائشة رضي الله عنها في ذكر كنيسة الحبشة[٢]:

ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر رسول الله ﷺ، فأعلوا حيطان تربته، وسدوا المداخل إليها، وجعلوها محدقة بقبره ﷺ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة، إذ كان مستقبل المصلين، فتتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين، وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلث من ناحية الشمال، حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره.

ولهذا الذي ذكرناه كله قالت عائشة: **ولولا ذلك لأبرز قبره**[٣]. انتهى كلام القرطبي رحمه الله[٤].

---

(١) الاستذكار (٨/ ٢٤٤).

(٢) المقصود ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة) أخرجه البخاري (٤٠٩) ومسلم (٨٢٢).

(٣) قول عائشة رضي الله عنها في الصحيح (٤٠٨٧) قالت: قال النبي ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، قالت عائشة: لولا ذلك لأبرز قبره، خشي أن يتخذ مسجدًا».

(٤) المفهم شرح مسلم (٢/ ١٢٩).

فصل: دعاء النبي ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد»

أخرج الإمام مالك رحمه الله في الموطأ عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(١).

قال الإمام أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله:

الوثن: الصنم وهو الصورة من ذهب كان أو من فضة أو غير ذلك من التمثال، وكل ما يعبد من دون الله فهو وثن، صنمًا كان أو غير صنم.

وكانت العرب تصلي إلى الأصنام وتعبدها، فخشي رسول الله ﷺ على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضى من الأمم، كانوا إذا مات لهم نبيّ عكفوا حول قبره كما يصنع بالصنم، فقال ﷺ: «**اللهمَّ لا تجعل قبري وثنًا**» يصلَّى إليه، ويسجد نحوه ويعبد، فقد اشتد غضب الله على من فعل ذلك.

وكان رسول الله ﷺ يحذر أصحابه وسائر أمته من سوء صنيع الأمم قبله، الذين صلَّوا إلى قبور أنبيائهم، واتخذوها قبلة ومسجدا، كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها ويعظمونها، وذلك الشرك الأكبر، فكان النبي ﷺ يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه، وأنه مما لا يرضاه، خشية عليهم امتثال طرقهم(٢).

---

(١) خرجه مالك في الموطأ (٥٩٣) من حديث عطاء بن يسار عن البني ﷺ مرسلًا، ورواه البخاري (٣٧٦٥) ومسلم (٣٣٤٨) من حديث همام عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

(٢) التمهيد (٥/ ٤١).

قال الإمام مالك رحمه الله: انهدم حائط بيت رسول الله ﷺ الذي فيه قبره، فخرج عمر بن عبد العزيز واجتمع رجالات قريش، فأمر عمر بن عبد العزيز فستر بثوب، فلما رأى ذلك عمر بن عبد العزيز من اجتماعهم(١) أمر مزاحمًا أن يدخل يخرج ما كان فيه، فدخل فقم ما كان فيه من لبن أو طحين، وأصلح في القبر شيئًا أصابه حين انهدم الحائط، ثم خرج وستر القبر ثم بنى(٢).

قال عروة بن الزبير: **كان الناس يصلون إلى القبر، فأمر به عمر بن عبد العزيز فرفع حتى لا يصلي إليه أحد**(٣).

وقال أبو محمد بن أبي زيد رحمه الله: وعمر بن عبد العزيز هو الذي جعل مؤخر القبر محددًا بركن، لئلا يستقبل قبر النبي ﷺ فيصلى إليه، فعل ذلك حين انهدم جدار البيت، فبناه على هذا، فصار للبيت خمسة أركان(٤).

وقال أبو الوليد بن رشد رحمه الله(٥): إنما ستر عمر بن عبد العزيز القبر

---

(١) لعل ههنا سقطًا في أصل الكتاب، وقد ورد نحو هذا الخبر عند ابن سعد في الطبقات (٢/ ٢٣٤) من حديث نوفل بن المغيرة الهاشمي قال: انهدم الجدار الذي على قبر النبي ﷺ في زمان عمر بن عبد العزيز، فأمر عمر بعمارته، قال: فإنه لجالس وهو يبنى إذ قال لعلي بن حسين: قم يا علي فقُمَّ البيت، يعني بيت النبي ﷺ، فقام إليه القاسم بن محمد، فقال: وأنا أصلحك الله! قال: نعم وأنت قم، ثم قال له سالم بن عبد الله: وأنا أصلحك الله! فقال: اجلسوا جميعًا، وقم يا مزاحم فقمَّه.

(٢) البيان والتحصيل (١٧/ ١٠١).

(٣) أخرجه الآجري في الشريعة (٣/ ٤٦٦) رقم (١٩٣١)، وإسناده صحيح .

(٤) الجامع (ص ١٧١).

(٥) البيان والتحصيل (١٧/ ١٠١).

إكرامًا له وخشي لما رأى الناس قد اجتمعوا أن يدخلوا البيت، فيتزاحموا على القبر فيؤذوه بالوطء لتزاحمهم عليه رغبة في التبرك به، فأمر مزاحمًا مولاه بالانفراد بالدخول فيه، وقمَّه وأصلح ما انثلم منه بانهدام الحائط عليه، وإنما ستر القبر على الناس وبنى عليه بيتًا صيانة له مخافة أن ينتقل ترابه ليستشفى به، أو ليتخذ مسجدًا يصلَّى فيه، فقد قال رسول الله ﷺ: **«اللهمَّ لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتدَّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**(١).

فصل: شد الرحل إلى الآثار التي في المدينة

سئل ابن كنانة عن الآثار التي بالمدينة؟

فقال: أثبت ما عندنا في ذلك قباء، إلا أن مالكًا كان يكره مجيئها خوفًا من أن تتخذ سُنَّة(٢).

وقال أشهب رحمه الله: ولقد كان مالك يكره مجيء قبور الشهداء(٣).

عن المعرور بن سويد قال: خرجنا مع عمر في حجة حجها، فقرأ بنا في الفجر: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾ [الفيل ١] و﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ [قريش ١] فلما قضى حجه ورجع رأى الناس يبتدرون، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ، فقال:

---

(١) خرجه مالك في الموطأ (٥٩٣) من حديث عطاء بن يسار عن النبي ﷺ مرسلًا، ورواه البخاري (٣٧٦٥) ومسلم (٣٣٤٨) من حديث همام عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ

(٢) البدع والنهي عنها (ص ٩١).

(٣) البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص ٩١).

هكذا هلك أهل الكتاب، اتخذوا آثار أنبيائهم بيعًا، من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصلِّ، ومن لم تعرض له منكم فيه الصلاة فلا يصلِّ[(١)].

قال سمرة بن جندب رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾: كانت بالحديبية، فكانت هذه الشجرة يعرف موضعها ويؤتى هذا المسجد، حتى كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فبلغه أن الناس يأتونها ويصلون عندها ويعظمونها، فرأى أن ذلك من فعلهم حدث[(٢)].

قال الطرطوشي: أمر عمر بن الخطاب بقطع الشجرة التي بويع النبيُّ ﷺ تحتها، لأن الناس كانوا يذهبون تحتها، فخاف عمر الفتنة عليهم[(٣)].

قال ابن وضاح: وكان مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد، وتلك الآثار للنبيّ ﷺ، ما عدا قباء وأحدًا.

وسمعتهم يذكرون أن سفيان الثوري دخل مسجد بيت المقدس فصلى فيه، ولم يتبع تلك الآثار ولا الصلاة فيها، وكذلك فعل غيره أيضًا ممن يقتدى به.

وقدم وكيع أيضًا مسجد بيت المقدس فلم يعدُ فعل سفيان.

قال ابن وضاح: فعليكم بالاتِّباع لأئمة الهدى المعروفين فقد قال بعض من مضى: كم من أمر هو اليوم معروف عند كثير من الناس،كان

---

(١) الحوادث والبدع (ص ١٤٨)، مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٣٦٧).
(٢) تاريخ مكة للفاكهي (٢٨١٦).
(٣) الحوادث والبدع (ص ١٤٨).

منكرًا عند من مضى، ومتحبب إليه بما يبغضه عليه، ومتقرب إليه بما يبعده منه، وكل بدعة عليها زينة وبهجة(١).

قال الزرقاني في شرح حديث: «**اللهمَّ لا تجعل قبري وثنًا يعبد، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»:

قيل: معناه النهي عن السجود على قبور الأنبياء، وقيل: النهي عن اتخاذها قبلة يصلَّى إليها، وإذا منع ذلك في قبره فسائر آثاره أحرى بذلك، وقد كره **مالك** وغيره طلب موضع شجرة بيعة الرضوان مخالفة لليهود والنصارى(٢).

فصل: شدّ الرحل إلى بيت المقدس

قال أشهب رحمه الله: ولقد كان مالك يكره المجيء إلى بيت المقدس خيفة أن يتخذ ذلك سُنَّة(٣).

فصل: السفر إلى غير مكة والمدينة وبيت المقدس

قال الإمام مالك رحمه الله: ومن قال عليَّ المشي إلى غير هذه الثلاثة المساجد فليس عليه أن يأتيه، مثل قوله: «عليَّ المشي إلى مسجد البصرة أو إلى مسجد الكوفة فأصلي فيهما أربع ركعات»، قال: فليس عليه أن يأتيهما، وليصلِّ في موضعه حيث هو أربع ركعات(٤).

---

(١) البدع والنهي عنها (ص ٨٩)، والحوادث والبدع للطرطوشي (ص ١٤٨).
(٢) شرح الموطأ (٤/ ٤٩٦).
(٣) البدع والنهي عنها (ص ٩١).
(٤) المدونة (٢/ ١٧).

وسئل ﷺ: أرأيت إن قال رجل: «علي أن أعتكف في مسجد الفسطاط شهرًا» فاعتكفه بمكة أيجزئه ذلك؟

قال: نعم، ولا يخرج إلى مسجد الفسطاط، ولا يأتيه وليعتكف في موضعه، ولا يجب على أحد أن يخرج إلا إلى مكة والمدينة وإيلياء[١].

قال مالك ﷺ: فأما من نذر وجعل على نفسه أن يصلِّيَ في مسجد يعرفه غير مسجد الحرام ومسجد النبي ومسجد بيت المقدس فإنه يصلي حيث هو، ولا يسير إليه لأنه جاء عن النبي أنه قال: «لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد»[٢].

وقال ﷺ: إلا أن يكون ذلك المسجد الذي حلف فيه قريبًا، فيأتيه فيصلِّي فيه.

وقال ﷺ فيمن قال: «عليَّ المشي إلى بعض المساجد مثل بيت المقدس أو المدينة»، وهو قريب منه مثل الميل ونحوه، قال: لا يمشى إلا إلى الكعبة[٣].

قال ابن وهب ﷺ: **سمعت مالكًا** يسأل عن مسجد بمصر، يقال له

---

(١) المدونة (١/ ٢٠٢).

(٢) خرجه مالك في الموطأ (٣٦٤) ومن طريقه رواه أبو داود (١٠٤٦) والترمذي (٤٩١) والحاكم (١/ ٢٧٨) والبيهقي (٣/ ٢٥٠) وفيه أن أبا هريرة لقي بصرة بن أبي بصرة الغفاري فقال له: من أين أقبلت؟ قال من الطور، فقال: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد، إلا إلى المسجد الحرام، وإلى مسجدي هذا، وإلى مسجد إيلياء أو بيت المقدس يشك).

(٣) كتاب النذور أسمعة ابن القاسم رواية سحنون بن سعيد (المكتبة البريطانية ق ٦/أ).

مسجد الخلوق، ويقولون فيه كذا وكذا، حتى ذكر أنه رئي فيه الخضر، أفترى أن يذهب الناس إليه معتمدين إلى الصلاة فيه؟

فقال: لا والله(١).

وقال محمد بن مسلمة رحمه الله: ولا يؤتى شيء من المساجد يعتقد فيه الفضل بعد الثلاثة مساجد إلا مسجد قباء، ويكره أن يعمد له يومًا بعينه يؤتى فيه، خوفًا من البدعة، وأن يطول بالناس الزمان فيجعل ذلك عيدا يعتمد، أو فريضة تؤخذ، ولا بأس أن يؤتى في كل حين ما لم تجئ فيه بدعة(٢).

وقال القاضي إسماعيل المالكي رحمه الله: إنما هذا فيمن كان من أهل المدينة وقربها، ممن لا يعمل المطي إلى مسجد قباء، لأن إعمال المطي اسم للسفر، ولا يسافر إلا إلى المساجد الثلاثة على ما جاء عن النبي ﷺ في نذر ولا غيره(٣).

وقال القاضي أبو بكر ابن العربي رحمه الله: فينبغي أن يحذر من الأحاديث الباطلة المضلَّة، وينبغي أن لا يقصد مسجدًا ولا يعظم بقعة إلا البقاع الثلاث التي قال فيها رسول الله ﷺ: «لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا، ومكة، والمسجد الأقصى».

وقد سوَّل الشيطان لأهل زماننا أن يقصدوا الربط، ويمشوا إلى المساجد تعظيمًا لها، وهي بدعة ما جاء النبي بها إلا مسجد قباء، فإنه

---

(١) الحوادث والبدع (ص ١٠٨).

(٢) الحوادث والبدع (ص ١٠٨).

(٣) نقله أبو العباس بن تيمية عنه في الرد على الإخنائي (ص ٢٤٩).

كان يأتيه كل سبت راكبًا وماشيًا، لا لأجل المسجدية، فإن حرمتها في مسجده كانت أكثر، وإنما كان ذلك على طريق الافتقاد لأهله، والتطييب لقلوبهم والإحسان بالألفة إليهم[١].

قال أبو الأصبغ عيسى بن محمد التميلي رحمه الله: ومن البدع البناء على القبور وتجصيصها وشد الرحال إلى زيارتها[٢].

وقال القاضي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن البغدادي رحمه الله[٣]، الخادم للطائفة المالكية ببغداد:

نصَّ أبو محمد الجويني في كتبه على تحريم السفر لزيارة القبور، وهذا اختيار القاضي الإمام عياض بن موسى بن عياض في إكماله وهو من أفضل المتأخرين من أصحابنا.

ومن المدونة: ومن قال: «عليَّ المشي إلى المدينة أو بيت المقدس»، فلا يأتيهما أصلًا، إلا أن يريد الصلاة في مسجديهما، فليأتهما.

فلم يجعل نذر قبره ﷺ طاعة يجب الوفاء بها، إذ من أصلنا أن من

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ٧٨

(٢) المعيار المعرب ١١/ ١٥٢

(٣) هو القاضي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عسكر البغدادي الإمام العلامة المتقن في العلوم، الفهامة القائم بلواء مذهب مالك بالعراق، كان من العباد وأعلام الفضلاء الزهاد، أخذ عن والده، مولده سنة ٧٠١ هـ ، وتوفي سنة ٧٦٧هـ .
شجرة النور الزكية (ص ٢٢٢)، الديباج (ص ٤١٦).

نذر طاعة لزمه الوفاء بها، كان من جنسها ما هو واجب بالشرع كما هو مذهب أبي حنيفة أو لم يكن.

قال القاضي أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق عقيب هذه المسألة: ولولا الصلاة فيهما لما لزمه إتيانهما، ولو كان نذر زيادة طاعة لما لزمه ذلك،

وقد ذكر ذلك القيرواني في تقريبه والشيخ ابن سيرين في تنبيهه.

وفي المبسوط قال مالك: ومن نذر المشي إلى مسجد من المساجد، ليصلي فيه قال: فإني أكره ذلك له، لقوله ﷺ: «**لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام ومسجد بيت المقدس ومسجدي هذا**».

وروى محمد بن المواز في الموازية: إلا أن يكون قريبًا فيلزمه الوفاء لأنه ليس بشدِّ رحل ا.هـ[١].

وعن قزعة قال: سألت ابن عمر: آتي الطور؟ قال دع الطور، ولا تأتها، وقال: «**لا تشدُّوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**»[٢].

---

(١) نقله من خطه ابن عبد الهادي في العقود الدرية ص ٢٧٢، قال ابن عبد الهادي: وقد وصل ما أجاب به الشيخ في هذه المسألة إلى علماء بغداد، فقاموا في الانتصار له، وكتبوا بموافقته، ورأيت خطوطهم بذلك، ثم ذكر جواب هذا الشيخ، وفي آخره: كتبه محمد بن عبد الرحمن البغدادي، الخادم للطائفة المالكية بالمدرسة الشريفة المستنصرية، رحمة الله على منشئها، وفي ذيل طبقات الحنابلة أشار ابن رجب إلى أن بعض علماء بغداد وافقوا ابن تيمية (الجامع لسيرة شيخ الإسلام ص ٤٨٠).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٣/ ٣٦٥

وعن شهر قال: سمعت أبا سعيد الخدري وذكر عنده صلاة في الطور فقال: قال رسول الله ﷺ: «**لا ينبغي للمطي أن تشدَّ رحاله إلى مسجد يبتغي فيه الصلاة، غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا**»[١].

وخرج الإمام مالك رحمه الله في الموطأ[٢] عن أبي هريرة أنه قال: خرجت إلى الطور، فلقيت كعب الأحبار، فجلست معه، فحدثني عن التوراة وحدثته عن رسول الله ﷺ، فكان فيما حدثته أن قلت: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أهبط من الجنة، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس، شفقا من الساعة إلا الجن والإنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه».

قال كعب: ذلك في كل سنة يوم، فقلت: بل في كل جمعة.

فقرأ كعب التوراة، فقال: صدق رسول الله ﷺ.

قال أبو هريرة: فلقيت بصرة بن أبي بصرة الغفاري، فقال: من أين أقبلت؟

فقلت: من الطور؟

فقال: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت، سمعت رسول

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٦٤

(٢) خرجه مالك في الموطأ (٣٦٤) ومن طريقه رواه أبو داود (١٠٤٦) والترمذي (٤٩١) والحاكم (١/ ٢٧٨) والبيهقي (٣/ ٢٥٠).

الله ﷺ يقول: «لا تعمل المطيّ إلا إلى ثلاثة مساجد، إلى المسجد الحرام، وإلى مسجدي هذا، وإلى مسجد إيلياء، أو بيت المقدس» يشك.

قال أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله: فأما قوله: «خرجت إلى الطور» فقد بان في الحديث أنه لم يخرج البتة إلا تبركًا به ليصلِّي فيه، ولهذا المعنى لا يجب الخروج إلا إلى الثلاثة المساجد المذكورة في هذا الحديث، وعلى هذا جماعة العلماء فيمن نذر الصلاة في هذه الثلاثة المساجد أو في أحدها أنه يلزمه قصدها لذلك، ومن نذر صلاة في مسجد سواها صلى في موضعه ومسجده ولا شيء عليه.

ولا يعرف العلماء غير الثلاثة المساجد المذكورة في هذا الحديث، المسجد الحرام ومسجد الرسول ومسجد بيت المقدس، لا يجري عندهم مجراها شيء من المساجد سواها ا.هـ[١].

وقال رحمه الله في الاستذكار: وكأن أبا هريرة لم ير النهي عن إعمال المطي فيما عدا الثلاثة المساجد إلا في الواجب من النذر، وكأن عنده إعمال المطي في سائر السنن والمباح كزيارة الأخ في الله وشبهه غير داخل في النهي عن إعمال المطيّ.

وقد قال مالك وجماعة من أهل العلم فيمن نذر رباطًا في ثغر يسده: فإنه يلزمه الوفاء به حيث كان الرباط، لأنه طاعة لله تعالى، فأما من نذر صلاة في مسجد لا يصل إليه إلا برحلة وراحلة فلا يفعل ويصلي في مسجده، إلا في الثلاثة المساجد المذكورة، فإنه من نذر الصلاة فيها خرج إليها.

---

(١) التمهيد (٢٣/ ٣٨).

قال مالك: من نذر أن يصلي في مسجد لا يصل إليه إلا برحلة فإنه يصلي في مسجد بلده، إلا أن ينذر ذلك في مسجد مكة والمدينة وبيت المقدس فإن نذر في هذه المساجد الثلاثة الصلاة فعليه السير إليها[١].

* * *

(١) الاستذكار (٢/ ٤١).

فصل: الصلاة إلى المصحف

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: وأكره أن يكون المصحف في القبلة ليصلَّى إليه، فإذا كان ذلك موضعه حيث يعلق فلا أرى به بأسًا[١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: أكره أن يوضع المصحف في القبلة ليصلى عليه.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وإنما بنى عمر بن عبد العزيز القبر هذا البناء حين كان الناس يصلّون إليه وجعلوه مصلّى.

فأنا أكره أن يجعل المصحف في القبلة ليصلَّى إليه، ولا أحب ذلك، وأما إن كان موضعه أو ذلك الموضع أحفظ له أو معلق له، ليس يجعل لمكان الصلاة إليه، فلا أرى بذلك بأسًا[٢].

فصل: تحزيب المصحف

سئل الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ عن عشور المصحف؟

فقال: يعشر بالسواد، وأكره الحمرة.

وذكر تزيين المصاحف بالخواتم فكرهه كراهية شديدة.

فقيل له: فالفضة؟

قال: الفضة من ورائه ولم ير به بأسًا.

---

(١) المدونة (١/ ٣١٧).

(٢) البيان والتحصيل (١٧/ ٦٢٥).

ثم قال: إني لأكره لأمهات المصاحف أن تشكل، وإنما أرخص فيما يتعلم فيه الغلمان، فأما الأمهات فإني أكرهه[١].

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ عن القرآن يكتب أسداسًا وأسباعًا في المصاحف؟

فكره ذلك كراهية شديدة، وعابه وقال: لا يفرق القرآن وقد جمعه الله تعالى، وهؤلاء يفرقونه لا أرى ذلك[٢].

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ عن شكل المصاحف أتشكل؟

فقال: أما أمهات المصاحف فإني أكره ذلك، وأما ما يشكل للتعليم فلا أرى بذلك بأسًا[٣].

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ: هل يكتب في أول السورة عدد آياتها؟ فكره ذلك في أمهات المصاحف، وأن يشكل أو ينقط، فأما ما يتعلم فيه الصبيان فلا بأس[٤].

* * *

فصل: قراءة سورة يس على الميت

قال أشهب رَحِمَهُ اللَّهُ: **وسئل مالك** عن قراءة القرآن عند رأس الميت بـ «يـس»؟

فقال: ما سمعت بهذا، وما هو من عمل الناس.

---

(١) البيان والتحصيل (١/ ٢٤٠).
(٢) البيان والتحصيل (١/ ٣١٠).
(٣) البيان والتحصيل (١٧/ ٤٠٣).
(٤) الجامع لابن أبي زيد (ص ١٩٧).

قيل له: أفرأيت الإجمار عند رأسه وهو في الموت يجود بنفسه؟ فقال أيضًا: ما سمعت شيئًا من هذا، وما هذا من عمل الناس[١].

***

(١) البيان والتحصيل (٢/ ٢٣٤).

فصل: رفع اليدين في الدعاء

سئل الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ عن رفع اليدين في الدعاء، فكره ذلك(١).

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ عن رفع اليدين في الدعاء، فقال ما يعجبني ذلك(٢).

قال أبو الوليد بن رشد رَحِمَهُ اللَّهُ: **كره مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ رفع اليدين في الدعاء وظاهره خلاف لما في المدونة لأنه أجاز فيها رفع اليدين في الدعاء في مواضع الدعاء كالاستسقاء وعرفة والمشعر الحرام والمقامين عند الجمرتين... ويحتمل أن تتأول هذه الرواية على أنه أراد الداء في غير مواطن الدعاء فلا يكون خلافا لما في المدونة وهو الأولى(٣).

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: وبلغني أن أبا سلمة رأى رجلًا قائمًا عند المنبر وهو يدعو ويرفع يديه، فأنكر عليه وقال لا تقلصوا تقليص اليهود، فقيل له ما أراد بالتقليص، فقال رفع الصوت بالدعاء ورفع اليدين(٤).

قال أبو الوليد بن رشد رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما رفع اليدين عند الدعاء فإنما أنكر الكثير منه مع رفع الصوت، لأنه من فعل اليهود، وأما رفعهما إلى الله ﷻ عند الرغبة على وجه الاستكانة والطلب فإنه جائز محمود من

---

(١) البيان والتحصيل (١٧/ ١٧٣)، والحوادث للطرطوشي (ص ٦٦).

(٢) البيان والتحصيل (١/ ٣٧٤)، (١٨/ ٩٩).

(٣) البيان والتحصيل (١/ ٣٧٥).

(٤) البيان والتحصيل (١/ ٢٤٨)، (١٨/ ١٥).

فاعله، وقد أجازه مالك في المدونة في مواضع الدعاء وفعله فيها[١].

فصل: مسح الوجه بعد الدعاء

وسئل الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ عن الرجل يمسح بكفيه وجهه عند الدعاء وقد بسطها قبل ذلك؟

فأنكر ذلك وقال: ما أعلمه[٢].

قال عز الدين: ولا يمسح وجهه بيديه عقب الدعاء إلا جاهل[٣].

فصل: الاجتماع للدعاء يوم عرفة

قال ابن وهب رَحِمَهُ اللَّهُ: **سألت مالكًا** عن الجلوس يوم عرفة، يجلس أهل البلد في مسجدهم ويدعو الإمام رجالًا يدعون الله تعالى للناس إلى غروب الشمس؟

فقال: ما نعرف هذا، وإن الناس عندنا اليوم ليفعلونه[٤].

وسئل الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ عن الجلوس يوم عرفة في المساجد في البلدان بعد العصر للدعاء؟

فكره ذلك.

فقيل له: فإن الرجل يكون في مجلسه فيجتمع إليه الناس ويكبرون؟

---

(١) البيان والتحصيل (١/ ٢٤٩).

(٢) البيان والتحصيل (١٨/ ٤٩)، النوادر والزيادات (١/ ٥٣٠).

(٣) النوازل للبرزلي (٦/ ٤٩٣).

(٤) الحوادث والبدع (ص ١٢٦).

قال: ينصرف، ولو أقام في منزله كان أحب إلي[(١)].

قال ابن رشد رحمه الله: كره مالك هذا وإن كان الدعاء حسنًا، وأفضله يوم عرفة، لأن الاجتماع لذلك بدعة، وقد روي أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»[(٢)].

وسئل الإمام مالك رحمه الله عن الرجل ينصرف هو وأصحاب له، فيقفون يدعون، فأمُرُّ بهم، أترى أن أقف معهم؟

قال: لا، ولا أحب لهذا الذي يفعل هذا أن يفعله ولا يقف يدعو[(٣)].

قال ابن رشد رحمه الله: الدعاء حسن، ولكنه إنما كره ابتداع القيام له عند تمام القرآن، وقيام الرجل مع أصحابه لذلك عند انصرافهم من صلاتهم، واجتماعهم لذلك عند خاتمة القرآن كنحو ما يفعل بعض الأئمة عندنا من الخطبة على الناس عند الختمة في رمضان، والدعاء فيها وتأمين الناس على دعائه، وهي كلها بدع محدثات لم يكن عليها السلف، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

وهذا من نحو ما مضى في رسم حلف طلاق امرأته، ورسم صلى نهارًا ثلاث ركعات، من كراهيته للاجتماع للدعاء يوم عرفة بعد العصر

---

(١) البيان والتحصيل (١/ ٢٧٤).

(٢) البيان والتحصيل (١/ ٢٧٤).

(٣) البيان والتحصيل ١/ ٣٦٢

في المساجد، فرحم الله مالكًا، فما كان أتبعه للسنة وأكرهه لمخالفة السلف(١).

وقال ابن وهب ﷺ: سمعت مالكًا يسأل عن جلوس الناس في المسجد عشية عرفة بعد العصر واجتماعهم للدعاء؟

فقال: ليس هذا من أمر الناس، وإنما مفتاح هذه الأشياء من البدع.

وقال مالك في العتبية: وأكره أن يجلس أهل الآفاق يوم عرفة في المساجد للدعاء، ومن اجتمع إليه الناس فلينصرف من مكانه، ومقامه في بيته خير له وأحب إلي، فإذا حضرت الصلاة رجع فصلى في المسجد.

وروى محمد بن وضاح أن الناس اجتمعوا بعد العصر من يوم عرفة في مسجد النبي ﷺ يدعون، فخرج نافع مولى ابن عمر، فقال: يا أيها الناس إن الذي أنتم فيه بدعة، وليست بسنة، أدركت الناس ولا يصنعون هذا.

قال مالك: رأيت رجالًا ممن يقتدى بهم يتخلفون في بيوتهم عشية عرفة.

ثم قال: ولا أحب للرجل العالم أن يقعد في المسجد تلك العشية إذا أرادوا أن يقتدوا به، وليقعد في بيته(٢).

---

(١) البيان والتحصيل ١/ ٣٦٢

(٢) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي (ص ١٨١)، والحوادث للطرطوشي (ص ١٢٦).

قال أبو بكر الطرطوشي رَحِمَهُ اللهُ: اعلموا رحمكم الله أن هؤلاء الأئمة علموا فضل الدعاء يوم عرفة، ولكن علموا أن ذلك بموطن عرفة لا في غيرها، ولم يمنعوا من خلا بنفسه فحضرته نية صادقة أن يدعو الله تعالى، وإنما كرهوا الحوادث في الدين، وأن يظن العوام أن من سنة يوم عرفة بسائر الآفاق الاجتماع والدعاء، فيتداعى الأمر إلى أن يدخل في الدين ما ليس منه.

وقد كنت ببيت المقدس، فإذا كان يوم عرفة حبس أهل السواد، وكثير من أهل البلد، فيقفون في المسجد مستقبلين القبلة مرتفعة أصواتهم كأنه موطن عرفة.

وكنت أسمع هناك سماعًا فاشيًا منهم: أن من وقف ببيت المقدس أربع وقفات فإنها تعدل حجة، ثم يجعلونه ذريعة إلى إسقاط فريضة الحج إلى بيت الله الحرام.

قال أبو بكر المالكي في كتاب رياض النفوس: كان قوم من الجزيريين بزقاق الروم، يكبرون في أيام العشر، ويرفعون أصواتهم بالتكبير، وكان يحيى بن عمر يجوز عليهم إذا مضى إلى الجامع، ويسمع تكبيرهم فنهاهم عن ذلك، وقال لهم: هذه بدعة، فلم ينتهوا، فيقال إنه دعا عليهم، فصار ذلك المكان خربًا[١].

(١) رياض النفوس (١/ ٤٩٧)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان (٢/ ٢٣٩)، المعيار المعرب (١/ ٢٨٤).

فصل: الدعاء عند ختم القرآن[(١)]

قال الإمام مالك رحمه الله: لا بأس أن يجتمع القوم في القراءة عند من يقرئهم أو يفتح على كل واحد منهم فيما يقرأ ويكره الدعاء بعد فراغهم[(٢)].

وسئل رحمه الله عن الذي يقرأ القرآن فيختمه ثم يدعو؟

فقال: ما سمعت أنه يدعى عند ختم القرآن، وما هو من عمل الناس[(٣)].

---

(١) اختلف السلف رحمهم الله في الدعاء عند ختم القرآن، وقد صح عن أنس رضي الله عنه فعل ذلك، قال ثابت: كان أنس إذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته فدعا لهم، خرجه الدارمي في السنن (٢/ ٥٦٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٦٨)، قال ابن قدامة في المغني (ج ١/ص ٤٥٧): فصل في ختم القرآن: قال الفضل بن زياد: سألت أبا عبد الله فقلت: أختم القرآن أجعله في الوتر أو في التراويح؟ قال: اجعله في التراويح حتى يكون لنا دعاء بين اثنين. قلت: كيف أصنع؟ قال: إذا فرغت من آخر القرآن فارفع يديك قبل أن تركع وادع لنا ونحن في الصلاة وأطل القيام، قلت: بم أدعو؟ قال: بما شئت قال: ففعلت بما أمرني وهو خلفي يدعو قائمًا ويرفع يديه.
قال حنبل: سمعت أحمد يقول في ختم القرآن: إذا فرغت من قراءة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ فارفع يديك في الدعاء قبل الركوع. قلت إلى أي شيء تذهب في هذا؟ قال رأيت أهل مكة يفعلونه، وكان سفيان بن عيينة يفعله معهم بمكة. وفي مسائل أحمد رواية عبد الله (١/ ٩٠) قال: سألت أبي عن الدعاء عند ختم القرآن قائمًا أو قاعدًا؟ فقال: يقال إن أنسًا كان يجمع عياله عند الختم، قال أبي: وكان المعتمر ابن سليمان إذا أراد ان يختم اجتمع اليه جماعة أراه قال يدعو ويدعون، يعني إذا ختم، قلت لأبي: يدعو إذا قرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ أو يبتدئ من البقرة؟ فقال إذا ختم القرآن دعا.

(٢) الطرطوشي، الحوادث والبدع ص ٦٥.

(٣) الحوادث والبدع للطرطوشي ٦٥، البيان والتحصيل ١/ ٣٦٢.

قال أبو الوليد بن رشد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الدعاء حسن، ولكنه إنما كره ابتداع القيام له عند تمام القرآن..... واجتماعهم لذلك عند خاتمة القرآن كنحو ما يفعل بعض الأئمة عندنا من الخطبة على الناس عند الختمة في رمضان والدعاء فيها وتأمين الناس على دعائه، وهي كلها بدع محدثات لم يكن عليها السلف، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة... فرحم الله مالكًا فما كان أتبعه للسنة وأكرهه لمخالفة السلف(١).

وقال أبو بكر الطرطوشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأما ما أحدثه الناس من الخطب في أعقاب الختم، فقال مالك ليس ختم القرآن بسنة لقيام رمضان(٢).

وسئل الشيخ الحافظ أبو العباس أحمد بن قاسم القباب عن الدعاء عند خاتمة القرآن؟

فقال: لا أرى أن يدعو، ولا نعلمه من عمل الناس(٣).

وقال ابن الحاج في المدخل: وقد كان سيدي أبو محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا ختم عنده في شهر رمضان في المسجد في جماعة لم يزد على ما يعهد منه خلف المكتوبة شيئًا، وكنا لا نعرف دعاءه بعد الصلاة إلا حين يرمق السماء بعينيه، وهذا ضد ما يفعلونه في هذا الزمان عقب الختم، من قراءة القصائد، والكلام المسجع، حتى كأنه يشبه الغناء، لما فيه من التطريب والهنوك وخلوه من الخشوع والتضرع والابتهال للمولى الكريم سبحانه وتعالى، قالﷻ في كتابه العزيز: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل ٦٢] ولم يقل أمن يجيب القوال.

---

(١) البيان والتحصيل ١/ ٣٦٢.
(٢) الحوادث والبدع ص ٦٤.
(٣) المعيار المعرب (١/ ٢٨٤).

وقد جمع ذلك من البدع أشياء جملة يعرفها من له اطلاع على فعل السلف الماضين، فإن خير الهدي هدي محمد ﷺ، وما مضى عليه سلف الأمة الماضون ﷺ أجمعين.

وإذا كان ذلك كذلك فيتعين عليه أن يمنع ما يفعله بعض الناس بعد الختم وما انضاف إليه مما لا ينبغي[١].

فصل: الوقوف للدعاء عند دخول المسجد وعند الخروج منه

وسئل الإمام مالك رحمه الله عما يعمل الناس به من الدعاء حين يدخلون المسجد وحين يخرجون ووقوفهم عند ذلك؟

قال: هذا من البدع وأنكره إنكارًا شديدًا[٢].

قال ابن رشد رحمه الله: هذا مثل ما مضى من كراهة الاجتماع للدعاء في المساجد يوم عرفة بعد العصر[٣].

فصل: الدعاء عند ذبح الأضحية

سئل الإمام مالك رحمه الله هل يقول عند أضحيته: «اللهم منك وإليك»؟

فقال: لا، وهذه بدعة.

وقال: ليس هذا موضع الصلاة على النبي ﷺ[٤].

---

(١) المدخل لابن الحاج (٢/ ٤٧٢).

(٢) البيان والتحصيل (١/ ٣٧٦)، الحوادث والبدع (ص ٦٦).

(٣) البيان والتحصيل (١/ ٣٧٦)، الحوادث والبدع (ص ٦٦).

(٤) الحوادث والبدع (ص ١٤٤)، المدونة (٣/ ٦٧).

وقال ابن القاسم: إن في بعض الحديث موطنين لا يذكر فيهما إلا الله، الذبيحة والعطاس، فلا يقل: «بسم الله والله أكبر محمد رسول الله»، ولا في العطاس «الحمد لله محمد رسول الله»، ولو قال مع ذلك وصلى الله على محمد لم تكن تسمية له مع الله سبحانه.

وقال أشهب رَحِمَهُ اللهُ: لا ينبغي أن تجعل الصلاة على النبي ﷺ في هذا استنانًا(١).

فصل: الزيادة في الدعاء عند تقبيل الحجر

قال ابن القاسم رَحِمَهُ اللهُ: سألت مالكًا عن هذا الذي يقول الناس عند استلام الحجر إيمانًا بك وتصديقا بكتابك؟

فأنكره(٢).

قال سحنون: قلت لابن القاسم: أفيزيد على التكبير في قول مالك أم لا عند استلام الحجر أو الركن اليماني؟

قال: لا يزيد على التكبير في قول مالك(٣).

فصل: الدعاء بغير الألفاظ الواردة

وسئل عن الذي يقول في دعائه «يا سيدي»؟

فكرهه، وقال: أحب إلي أن يدعو بما في القرآن، وبما دعت به الأنبياء «يا رب» وكره الدعاء بـ «يا حنان»(٤).

---

(١) النوادر والزيادات (٤/ ٣٦٠).

(٢) المدونة (٢/ ٣٩٧).

(٣) المدونة (٢/ ٣٩٧).

(٤) البيان والتحصيل (١/ ٤٥٦)، (١٨/ ٤٣٠).

قال ابن القاسم: وصف مالك الذين يقولون «أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم، وأعوذ بك رب أن يحضرون إن الله هو السميع العليم» فعابه وكرهه، ونهى عنه.

فقيل له: إنما يحتج بقول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل ٩٨].

قال: أفرأيت قوله «وأعوذ بك رب أن يحضرون، إن الله هو السميع العليم»؟

قلت: أفتجيز له أن يستعيذ من الشيطان الرجيم؟

قال: لا ولكن هو أيسر(١).

سئل الفقيه أبو الوليد بن رشد رحمه الله عن الذي يقسم على الله تعالى بمعظم من خلقه في دعائه بالنبي ﷺ، والولي والملك، هل يكره ذلك أم لا؟

فأجاب: أما مسألة الدعاء فقد جاء في بعض الأحاديث أن رسول الله ﷺ علم بعض الناس الدعاء، فقال في أوله «اللهمَّ إني أقسم عليك بنبيك محمد نبي الرحمة» وهذا الحديث إن صح فينبغي أن يكون مقصورًا على رسول الله ﷺ، لأنه سيد ولد آدم، وأن لا يقسم على الله تعالى بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء، وأن يكون هذا مما خص به تنبيهًا على علو درجته، لأنهم ليسوا في درجته ومرتبته(٢).

---

(١) البيان والتحصيل (١/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦).

(٢) فتاوى ابن رشد (٣/ ١٦٢٣)، وقد عزا البرزلي (النوازل ١/ ٣٢٢) هذه الفتوى إلى العز بن عبد السلام.

فصل: الصلاة على النبي ﷺ عند التعجب أو في غير موضع الاحتساب

قيل لسحنون رحمه الله: أرأيت الرجل يقول عند التعجب بالشيء: «صلى الله على محمد النبي وسلم»، هل يكره ذلك؟

قال: نعم مكروه، ولا يجوز أن يصلى على النبي إلا في موضع الاحتساب ورجاء ثواب الله ﷻ[(١)].

وقال ابن القاسم رحمه الله: إن في بعض الحديث موطنين لا يذكر فيهما إلا الله، الذبيحة والعطاس، فلا يقل: «بسم الله والله أكبر محمد رسول الله»، ولا في العطاس: «الحمد لله محمد رسول الله»، ولو قال مع ذلك: «وصلى الله على محمد» لم تكن تسمية له مع الله سبحانه[(٢)].

وقيل لابن القاسم رحمه الله في الباعة إذا أخذت على شيء صلت على النبي ﷺ، فقال: ليس موضع صلاة[(٣)].

أخرج الترمذي[(٤)] عن نافع: أن رجلًا عطس إلى جنب ابن عمر، فقال: «الحمد لله، والسلام على رسول الله»، فقال ابن عمر: وأنا أقول: «الحمد لله، والسلام على رسول الله»، وليس هكذا علمنا رسول الله ﷺ، علمنا أن نقول الحمد لله على كل حال.

أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن الأعمش قال: سئل إبراهيم

---

(١) البيان والتحصيل (١٦/ ٤٢١)، النوادر والزيادات (١٤/ ٥٣٠).

(٢) النوادر والزيادات (٤/ ٣٦٠).

(٣) المعيار المعرب (١٢/ ٣٦٣).

(٤) السنن (٢٧٣٨).

عن الإمام إذا سلم فيقول: «صلى الله على محمد، ولا إله إلا الله»؟

فقال: ما كان من قبلهم يصنع هذا[١].

وأخرج عن الأعمش عن عطاء بن السائب عن أبي البختري قال: هذه بدعة[٢].

فصل: السجع في الدعاء

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ: ويكره السجع في الدعاء وغيره، وليس من كلام الماضين[٣].

وروى ابن وهب رَحِمَهُ اللهُ عن عروة بن الزبير، أنه كان إذا عرض عليه دعاء فيه سجع عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، قال: كذبوا، لم يكن رسول الله صلى الله عليه سلم ولا أصحابه سجاعين[٤].

فصل: في سبب كون هذه الأمور من الدعاء محدثات

ذكر الإمام أبو بكر الطرطوشي رَحِمَهُ اللهُ جملة من بدع الأذكار والأدعية ثم قال رَحِمَهُ اللهُ:

اعلم أن الحرف الذي يدور عليه هذا المذهب إنما هو حماية الذرائع، وألا يزاد عليه في الفروض ولا في السنن المسننة، وألا يعتقد أيضًا في النوافل المبتدأة أنها سنن مؤقتة، وهذا الأصل كل من أباه في

(١) المصنف (٢/ ١٨٤).
(٢) المصنف (٢/ ١٨٤).
(٣) الحوادث البدع (ص ١٥٧).
(٤) الحوادث والبدع (ص ١٥٧).

الجملة قد قال به في التفصيل، فنذكر أولًا موافقة أبي حنيفة والشافعي لمالك في هذا الأصل:

فمن ذلك أن **مالكًا** كره صيام ست من شوال ووافقه أبو حنيفة، فقال: لا أستحب صيامها، وخالفه الشافعي فقال يستحب صيامها!

والحديث منصوص فيه، رواه البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنه صام الدهر»[1].

ولا حجة لمالك وأبي حنيفة إلا أنهما قالا: التزام هذا يؤدي إلى الزيادة في الفروض، فيجيء الأعراب وينشأ الأطفال، فإن رأوا الأسلاف والعموم يداومون على صومه اعتقدوه فرضًا!!

وعلى هذا المنهاج تدرج صوم النصارى حتى صار خمسين يومًا، وذلك أن الله تعالى فرض عليهم صوم شهر رمضان، وذلك بيِّن في قوله ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة ١٨٣] فأقاموا عليه برهة من دهرهم، فاشتد عليهم لأنه ربما أتاهم في الحر الشديد أو في البرد الشديد، فيضرهم في أسفارهم ومعايشهم، فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم على أن يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف، فجعلوه في الربيع، وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا، فصار أربعين يومًا!!

ثم اشتكى ملك لهم فجعل لله عليه إن برئ من مرضه أن يزيد في صومهم أسبوعًا فبرئ فزادوه، ثم مات، فوليهم آخر، فقال لو أكملتموه خمسين يومًا؟

---

(١) الحديث خرجه مسلم في الصحيح (١١٦٤) وليس في صحيح البخاري.

قال الحسن والشعبي وجماعة من العلماء: وعلى هذا دل حديث عثمان في الإتمام في السفر.

ثم قال: لم لا يجوز أن نترك الخطب، ونصب المنابر عند الختم في رمضان خوفًا من أن يظن الناس أن الخطبة عقيب الختم في رمضان سنة ثابتة عند هذين الشيئين ـ أعني الختم والصوم ـ وأن الرسول ﷺ إنما سن قيامه وتلاوة القرآن فيه على هذا الوجه؟

وهكذا ذكر ابن شعبان في كتابه عند ذكره جملًا من هذه الأمور المحدثة، قال: إنما كرهه مالك خيفة أن يلحق بما يجب فعله حتى يتخذ أمرًا ماضيًا.

وما لنا نقدر ذلك، بل قد وجدنا ما كنا نحذر، فأكثر المسلمين اليوم يعتقدون أن الرسول ﷺ إنما شرع قيام رمضان على هذا الوجه، وإن ترك ذلك بدعة، مع القطع بأن الرسول ﷺ لم يجمع في رمضان إلا ليلتين، ولم ينقل أحد من المسلمين عدد الركوع ولا دعاء ولا خطبة.

فإن خالفنا أحد ممن لا يطلع على أسرار المذهب وأغوار الأصول، ولم يتحقق بالكليات، وإنما نظر في الأطراف والجزئيات، فقال إن هذا ذكر لله تعالى وتحميد وثناء ودعاء واجتماع من المسلمين على طاعة الله، وفيه إظهار شعائر الإسلام فينبغي أن يكون مشروعًا مستحبًا كنفس القيام؟

فالجواب أن نقول: الذكر والدعاء قد يكون استحبابه مشروطًا بشروط، كما في الصيام والأضحية، وكما أن قراءة القرآن في الركوع والتشهد بدعة، وإن كان على غير هذا الوجه قربة.

وينتقض بالخطبة والدعاء صبيحة الختم بالنهار، فلو أنه ختم بالليل ثم نصب كرسيه واختطب ودعا بالنهار لكان مبتدعا، وإن كان ذكرًا لله تعالى ودعاء.

وينتقض بالخطبة والدعاء في آخر الشهر، فإن الناس لو نصبوا الكراسي واختطبوا، ودعوا في أول ليلة من رمضان وحضوا المسلمين على صيامه وقيامه والتشمير للعبادة في ليله ونهاره، لكان مبتدعًا منهيًا عنه(١).

فصل: تلقين الميت بعد الدفن

سئل عز الدين: هل تلقين الميت بعد مواراته معتمد أم لا؟

فأجاب: لم يصح في التلقين شيء، وهو بدعة، وقوله ﷺ: «**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**» محمول على من دنا موته ويئس من حياته(٢).

فصل: الذكر والنداء على الجنائز

سئل الإمام مالك رحمه الله عن الجنائز يؤذن بها على أبواب المساجد؟

فكره ذلك، وكره أن يصاح خلفه: استغفروا له، يغفر الله لكم، وابتدأ ما هو فيه بالكراهية.

قال ابن القاسم: وسألت مالكًا عن الجنائز يؤذن بها في المساجد يصاح بها؟

(١) الحوادث والبدع (ص٦٦).
(٢) نوازل البرزلي ١/ ٥١٧

قال: لا خير فيه، وكرهه، وقال: لا أرى بأسًا أن يدار في الحلق يؤذن بها، ولا يرفع بذلك صوته[١].

سئل ابن وهب رحمه الله عن الجنائز؛ هل ينادى بها في المسجد؟

قال: لا ينادى بها في المساجد، ولا ينادى بها إلا على أبواب المساجد[٢].

قال ابن رشد رحمه الله: كره في رسم حلف من سماع ابن القاسم من كتاب الجنائز أن ينادى بالجنائز على أبواب المساجد، وأن يصاح خلفه: استغفروا له يغفر الله لكم، والوجه في ذلك أنه رآه من ناحية النعي المنهي عنه[٣].

وقال أبو مصعب الزهري رحمه الله: وأكره أن يقول قائل وراء الميت: استغفروا له غفر الله لكم، وليس هذا من عمل الناس فيما مضى[٤].

وسئل بعض متأخري التونسيين عن إخراج الميت الذي يظن صلاحه بالتزغريت لعلمه؟

فأجاب بأنه بدعة حدثت ينبغي أن يؤمر بقطعها من يمتثل أمره، ولم يثبت فيما علمت قول يقال عند الخروج بالجنازة كان السلف الصالح يستعملونه[٥].

---

(١) البيان والتحصيل (٢/ ٢١٧).
(٢) البيان والتحصيل (٢/ ١٦٠).
(٣) المصدر السابق
(٤) في مختصره في الفقه ـ باب السنة في الجنازة، مخطوط القيروان مبعثر غير مرتب.
(٥) نوازل البرزلي (١/ ٥٠٨).

وسئل أبو سعيد بن لب المالكي: عما يفعله الناس في جنائزهم حين حملها من جهرهم بالتهليل والتصلية والتبشير والتنذير ونحو ذلك على صوت واحد أمام الجنازة، كيف حكم ذلك في الشرع.

فأجاب: السنة في اتّباع الجنائز الصمت والتفكر والاعتبار، خرج ابن المبارك أن النبي ﷺ كان إذا اتبع جنازة أكثر الصمت، وأكثر حديث نفسه، قال فكانوا يرون أنه يحدث نفسه بأمر الميت، وما يرد عليه وما هو مسؤول عنه[(١)].

وذكر أن مطرفًا كان يلقى الرجل من إخوانه في الجنازة، وعسى أن يكون غائبًا فما يزيد على التسليم، يعرض عنه اشتغالًا بما هو فيه[(٢)].

فهكذا كان السلف الصالح، واتباعهم سنة ومخالفتهم بدعة.

وذكر الله والصلاة على رسول الله ﷺ عمل صالح مرغب فيه في الجملة، لكن للشرع توقيت وتحديد في وظائف الأعمال، وتخصيص يختلف باختلاف الأحوال.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٤٥) قال أخبرنا عبد العزيز بن أبي رواد قال كان رسول الله ﷺ، فذكره مرسلًا، وخرجه عبد الرزاق أيضًا (٢٦٨٢) مرسلًا عن ابن جريج قال حدثت أن النبي ﷺ.
وفي زهد ابن المبارك (٢٤٨) ومصنف عبد الرزاق (٦٢٨١) عن معمر عن قتادة عن الحسن قال أدركت أصحاب رسول الله ﷺ يستحبون خفض الصوت عند الجنائز، وعند قراءة القرآن، وعند القتال.
وخرج ابن المبارك (٢٤٧) وعبد الرزاق أيضًا (٦٢٨٣) عن محمد بن سوقة، عن إبراهيم قال: كانوا إذا شهدوا الجنازة عرف ذلك فيهم ثلاثًا.

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٤٦).

والصلاة وإن كانت مناجاة الرب، وفي ذلك قرة عين العبد، تدخل في أوقات تحت ترجمة الكراهة والمنع[١].

وسئل رحمه الله عن الجهر بالذكر أمام الجنازة على صوت واحد كيف حكمه؟

فأجاب: إن ذكر الله والصلاة على رسول الله من أفضل الأعمال، وجميعه حسن، لكن للشرع وظائف وقتها، وأذكار عينها في أوقات وقتها.

فوضع وظيفة موضع أخرى بدعة، وإقرار الوظائف في محلها سنة، وتلقي وظائف الأعمال في حمل الجنائز إنما هو الصمت والتفكر والاعتبار، وتبديل هذه الوظائف بغيرها تشريع، ومن البدع في الدين[٢].

قال أبو بكر بن المنذر رحمه الله: وكره سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والحسن البصري، والنخعي، وأحمد، وإسحاق، قول القائل خلف الجنازة: «استغفروا له».

قال عطاء: محدثة.

وقال الأوزاعي: بدعة.

قال أبو بكر بن المنذر: ونحن نكره من ذلك ما كرهوا، إلا أن ذلك الشيء أحدث[٣].

(١) المعيار المعرب (١/ ٣١٣).
(٢) المعيار المعرب (١/ ٣١٤).
(٣) الأوسط لابن المنذر (٥/ ٣٨٩).

فصل: القراءة على القبر

سئل **أبو عمر** أحمد بن عبد الملك الإشبيلي المعروف بابن المكوي رحمه الله[١] عن الرجل يؤاجر نفسه للقراءة على المقابر بأجر معلوم ليقرأ في كل يوم وليلة جزءًا من القرآن؟

فأجاب: هذه بدعة.

فقيل له: قد علمت أنها بدعة، فهل ما يأخذ على ذلك من الأجر حلال أم حرام؟

فقال هي مكروهة، وليس بالحرام[٢].

قال أبو القاسم البرزلي رحمه الله في مسائل القداح: وتقدم الكلام فيما أحدث اليوم من القراءة على القبر والتكرار إليه، وجرت عادة القرويين المتأخرين، يرفعون ختمة أجزاء في اليوم الآخر من مدة التكرار إليه في جدة الدفن، ويأخذونها أجزاء فيقرؤونها، وكان الشيخ أبو الحسن العبيدلي ينكره ويقول: إن الجمع لا يخلو من محدث أو جنب فيمس أجزاء القرآن وهو كذلك إما جهلًا أو مراءاة، ويقول أصل مذهب مالك أنه لا ينتفع بعمل الأبدان، وهذا منه[٣].

---

(١) أحمد بن عبد الملك الإشبيلي، شيخ الفقهاء الأندلسيين في وقته، قال ابن عفيف: إليه انتهت رئاسة الفقه بالأندلس حتى صار في مثابة يحيى بن يحيى في زمانه، واعتلى على جميع الفقهاء ونفذت الأحكام برأيه فحكمه الحكام، ووبعد صيته بالأندلس، وحاز رئاسة.، وقال ابن مفرج: كان أفقه أهل زمانه وأنفقهم للرأي. توفي سنة (٤٠١هـ) (ترتيب المدارك ٧/ ١٢٣).

(٢) الأحكام للقاضي المالقي ص ٣٢٠.

(٣) نوازل البرزلي (١/ ٥١٥).

فصل: رش القبر بالماء بعد الدفن

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا أعرف رش القبور بالماء حين يفرغ من دفن الميت[١].

فصل: في التبرك بتربة الرجل الصالح

قال بعض علماء تونس: وأما أخذ تراب قبر الرجل الصالح أيضًا، فإن خشي أن يكون خالطه أجزاء من الميت فهو نجس، وإلا فالتبرك على الحقيقة باستعمال ما كانوا عليه من الأوصاف الدينية واستعمال الأمور الشرعية.

وقد رأى الحسن البصري قومًا يزدحمون على جنازة رجل صالح، فذمهم وقال يزدحمون على نعشه، ولا يزدحمون على عمله!![٢].

فصل: الاجتماع للعزاء

قال أبو بكر الطرطوشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال علماؤنا المالكيون التصدي للعزاء بدعة ومكروه، فأما إن قعد في بيته أو في المسجد محزونًا من غير أن يتصدى للعزاء، فلا بأس به، فإنه لما جاء النبي ﷺ نعي جعفر جلس في المسجد محزونًا وعزاه الناس[٣].

قال الطرطوشي: وهذه المسألة مما وافقنا عليه الشافعي، قال أبو

---

(١) الحوادث والبدع (ص ١٥٨).

(٢) نوازل البرزلي (١/٥٠٨).

(٣) الحوادث والبدع (ص ١٧٠).

نصر بن الصباغ في الشامل: لم ينقل فيه شيء، وهو بدعة غير مستحب[١].

فصل: البدء بيمين نعش الميت

قال الإمام مالك رحمه الله: وقول الناس يبدأ بيمين النعش، هذه بدعة[٢].

وقال ابن القاسم رحمه الله: قلت لمالك من أي جوانب السرير أحمل الميت وبأي ذلك أبدأ؟

قال: ليس في ذلك شيء مؤقت، احمل من حيث شئت، إن شئت من قدام، وإن شئت من وراء، وإن شئت احمل بعض الجوانب ودع بعضها، وإن شئت فاحمل وإن شئت فدع، ورأيته يرى أن الذي يذكر الناس فيه يبدأ باليمين بدعة[٣].

فصل تقليم أظفار الميت وحلق عانته

وقال الإمام مالك رحمه الله: أكره أن يتبع الميت بمجمرة أو تقلم أظفاره وأن تحلق عانته ولكن يترك على حاله. قال وأرى ذلك بدعة ممن فعله[٤].

---

(١) المصدر السابق (ص ١٧١).
(٢) الحوادث والبدع للطرطوشي ص ١٤٤
(٣) المدونة (١/ ١٧٦).
(٤) المدونة (١/ ١٨٠).

فصل: وضع الخدين على الحجر

قيل لابن القاسم: أرأيت إن وضع الخدين والجبهة على الحجر الأسود؟

قال: **أنكره مالك وقال هذه بدعة**[١].

فصل: دفن الشعر والأظفار

قال ابن أبي أويس: كنت عند مالك فجاءه رجل، فقال: أليس قد أمر النبي ﷺ بدفن الشعر والأظفار؟

فغضب، وأمر بضربه وسجنه.

فقيل: إنه جاهل.

فقال: يقول النبي ﷺ: «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»، ثم قال: إن دفن الشعر والأظفار بدعة، فقد أعطى النبي ﷺ شعره للمهاجرين والأنصار، وكان عند أنس بن مالك شيء من ذلك[٢].

فصل: ما جاء في الصور والتماثيل

قال الإمام مالك رحمه الله: وما كان من التماثيل والصور في الطست والإبريق والقباب فإن كان خرطًا فهي أشد، وبلغني أن أول ما اتخذت الصور في موت نبي فصور لهم ليأنسوا بصورته، فما زال ذلك حتى صار إلى أن عبدت[٣].

---

(١) المدونة (٢/ ٣٩٧).

(٢) مناقب الإمام مالك للزواوي (ص١٣٢).

(٣) الجامع لابن أبي زيد (ص ٢٦١).

قال ابن الجلاب ﵀: ولا يجوز اتخاذ الصور والتماثيل من الخشب والحجارة والجص في البيوت، ولا بأس بذلك في الثياب والبسط[١].

فصل: في التعبد لله بالسكوت يومًا

سئل الإمام مالك ﵀ عن القنوت يومًا، يعني السكوت، فكرهه، وقال بلغني أنه نهى أن يقنت أحد يومًا[٢].

قال الأبهري في الشرح: إنما قال ذلك لأن هذا بدعة وحدث، وذلك مكروه، لأنه شيء لم يفعله رسول الله ﷺ، ولا أصحابه، وقد قال ﷺ لأبي ذر «وإملاء الخير خير من السكوت» وقال معاذ أوصني يا رسول الله، فقال: أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله. والكلام بخير خير من السكوت.

انتهى الكتاب، والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) التفريع لابن الجلاب (٢/ ٣٥٢).

(٢) شرح الأبهري على جامع ابن عبد الحكم (ص ١٣٤).

فهرس المحتويات